جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية – إيتاي البارود
قسم البلاغة والنقد

التصوير البياني

عند شعراء الرسول ﷺ

دراسة بلاغية نقدية مقارنة

رسالة ماجستير

إعداد الباحث / طاهر عبد المنعم على أبو يوسف

إشراف
الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر
الأستاذ الدكتور / على محمد العطار

إهداء

إلى من أسير بفضل الله ثم بفضل دعائهما ....إلى أبي وأمي ....أسأل الله أن يبارك فيهما .

إلى مـــن تبعـــث فيّ الأمـــل كلمـــا أحسســـت بالملـــل ، إلى أم أولادي .... أم حبيبة .

إلى صغاري .... حبيبة وعبد الله ، أسأل الله أن يحفظهما وأن يبارك فيهما ، وأن ينفع بهما الإسلام والمسلمين .

إلى أساتذتي ..الأستاذ الدكتور / رفعت السوداني ، والأستاذ الدكتور : أحمد سعد ناجي والأستاذ الدكتور / عبد الرازق عبد الحميد حويزي ، أسأل الله أن يبارك لهم وأن يرفع ذكرهم جزاء تواضعهم .

إلى أصـــدقائي ومـــن أحـــبهم قلـــبي الأســـتاذ /عبـــد العزيـــز الـــديب ، والأستاذ : رجب حماد .

شكر وتقدير

لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / **حسن أمين مخيمر** ...

أسأل الله أن يبارك له وأن يهبه الصحة والعافية في الدنيا والآخرة ، وأن يرفع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة .

لأستاذي الفاضل المرحوم الأستاذ الدكتور / **عبد الرازق مُحَمَّد فضل** ..

أسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته .

مُقَدِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِن المؤْمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين , مُعَلِم الناس الخير , صاحب البيان العَالي , خيرِ من تحدث العربية , تكفَّل الله بحفظه من المستهزئين حيث قال :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (1)

فقيّض الله له في كل زمان ومكان من يدافع عنه ﷺ ، ففي حياته سخّر الله نفرًا من أصحابه يردُّون عنه الأذى بسيوفهم ، و ألسنتهم , وبعد قبضِه سخّر الله له في كل زمان ومكان مَن ينصره ويدافع عن شخصه الكريم , ويردّ عنه كل محاولة لإيذائه بالأقوال أو الأفعال , حتى عندما يقصّر الناسُ في الدفاع عنه ، فإنَّ ما أيَّده الله به من معجزات باقية على مرِّ العصور والأزمان تشهد بأنَّه رسول الله ,فمن إعجاز فى آيةٍ قرآنية إلى إعجاز فى حديثٍ نبويٍّ شريف, يشهد له المنصفون حتَّى من الأعداء تحقيقًا لوعد الله جلَّ فى علاه حيث يقول :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾ (2) .

---

(1) سورة الحجر الآية (95)

(2) سورة فصلت الآية (53)

وإنَّه لمن دَواعي سُروري أن تخرج هذه الدراسة والتي تعرض في جانب منها نماذج للدفاع عن نبيّ الرحمة , وهجاءً للسفهاء الذين عاندوه وآذوه – في هذه الأيام التي يقوم فيها السفهاء من مشركي هذا الزمان بمحاولات لإيذاء الرسول ﷺ والصدِّ عن دين الله ، وموضوع هذه الدراسة :

﴿ التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ ﴾

وعلم البيان من أشرف علوم العربية , إذ به يتوصل الأدباء , بل والعَوَام إلى توضيح معانيهم ، والمبالغة في تأكيدها ومخاطبة وجدان المخاطبين ، والتأثير فيه وتحريك عواطفهم وإمتاعهم , " فالبيان بحسبه أنه يعبر عما في نفسك تعبيرا مؤثرا سليما بلغت به المراد " (1)

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها :

1- السبب الأول :

أنني رأيت الكثيرين* تسرّعوا في الحكم على الأدب الإسلامي ، وخاصة الشعر في صدر الإسلام بأنَّه ضعيفٌ , وبدأوا يَسْرِدُون أسبابًا لضعفه , بعيدا عن الواقع دون أن يتعمقوا في دراسته , وهذا الأمر بعيدٌ كل البعد عن المنهج العلمي ؛ فالأدب عامةً والشعر خاصة " لا نحكمُ عليه بقواعد المنطق ، وإنما نحكمُ عليه بأذواقنا ؛ فهي المعيار الذي نرجع إليه في تذوّق جماله " (2)

---

* منهم د/ محمد نجيب البهبيتي في تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ص 113وما بعدها ط دار الكتب المصري سنة 1950 .

(1) أصول البيان العربي د / محمد الصغير ط دار الثقافة بغداد ص65. .

(2) في النقد الأدبي د / شوقي ضيف ص91 .

فلما رأوا تقلُّصًا في بعض الأغراض التي هذبها الإسلام ، والتي تتعارضُ مع الأخلاق الإسلامية , والتي كانت من أوسع أبواب الشعر ، حَكَمُوا عليه بأنه ضعيف ، مع أنه استحْدَثَ أغراضا أُخَر بقدر ما حُذف , كما أنَّه من المعلوم أنَّ العِبرة ليست بكثرة الشعر ، وإنما العبرة ببلاغته ، "فما كان بليغًا كان جميلا "[1] ، " كما أنَّه ليس للاقتصاد ، والكثرة دخل في جودة الشعر , وإنما العِبرة بحسن التصويرِ وصحَّة التعبير " [2] .

إذنْ فالحكم على النص بأي عوامل منطقية بعيدة عنه كظروف العصر ، والانشغال بالحروب والفتوحات ليس صحيحًا ؛ فلكل نصٍّ " إشعاعات خاصة يحكم بمقتضاها المتلقي عليه " [3] . فليس هناك مجالٌ للأحكام العامة المجملة .

2- السبب الثاني :

أنَّني عندما قرأت بعض أشعار صدر الإسلام ، وبخاصَّة شعراء الرسول ﷺ الثلاثة , لاحظت أنها ما زالت بحاجةٍ إلى مَزيد من الدراسات , فالرُّوح الإسلامية والإلهام الإلهي يمنحها ظلالا ، وإيحاءات غاية في الدقة والإحكام .

---

(1) الجمال بين الفلاسفة والبلغاء د / بسيوني عرفة رضوان ص6 ط الرسالة سنة 1981م.
(2) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق د/ حفني شرف ص58 .
(3) الأسس الجمالية للنقد الأدبي د/ عز الدين إسماعيل ص111 ط دار الفكر العربي ط سنة 1947

وقد شجعني على خوض هذا الموضوع بالرغم من كثرة الدراسات حول الأدب الإسلامي , قول الأستاذ الدكتور / عبد الغني بركة في إحدى المناقشات : " ليس عيبًا كثرة الدراسات حول الموضوع ولكن المهم هو إظهار الشخصية وعدم الاكتفاء بالنقل عن الآخرين " * .وقول الأستاذ الدكتور / مُحَمَّد أبو موسى : " لقد ساد الاعتقاد بأنَّنا حين نبيّن مراد القائل , نكون قد وصلنا إلى قراره , وأفرغناه من كل ما فيه .... وأنَّه حين نقول " قال بعضهم " إنَّما يريد فلانًا , إلى آخر ما تجدنا نهتمُّ به , ثمَّ نعتقد أنَّنا لم ندع من الأمر شيئًا إلا كشفناه , ولهذا شاع القول بأنَّ التراث قد دُرِسَ ، وأنَّ فلانًا من المحدثين كتب عن فلان من القدماء , وهذا كله قاصرٌ جدًا " [1] .

وبالفعل وجدت بفضل الله وعونه صورةً مختلفةً تمامًا عمَّا أُشِيعَ عن الشعر الإسلامي , وجدت العمق والإيحاءات والظلال والمعاني الدقيقة التي صِيغَت ببراعة وإتقان , فقد كان شعراء الرسول ﷺ مُلهمين قال ﷺ لحسان ﴿ اهجُهم أو هاجهم وجبريل معك ﴾" [2]

وقد كنت أقف عند التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية لأول مرة أو لثاني أو لثالث مرة فلا أرى فيها إبداعا , حتى تنكشف محاسنها وتتبرَّج عن جمال مبهر وتنشقَّ أصدافها عن لآلئ مصونة أعان على الوصول إليها تدبُّر السياق قبلها وبعدها ودقَّة النظم وحسن اختيار حروف المعاني ..... الخ

---

* في مناقشة رسالة بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود بعنوان الشباب والشيب في شعر ابن الرومي .

(1) القوس العذراء وقراءة التراث ص 51 د/ محمد أبو موسى ط دار غريب القاهرة سنة 1402هـ / 1983م .

(2) صحيح البخاري ، حديث رقم 2974 كتاب بدء الخلق .

(3) في البلاغة القرآنية – أسرار الفصل والوصل أ.د/ صباح دراز ص 55 ط الأمانة القاهرة سنة 1406هـ/ 1986 م .

فأخذت عهدا على نفسي أن أدقِّق النظر مرات ومرات عندما أقف على تشبيه بسيط لا أرى له جمالًا أو استعارة بسيطة لا أرى لها لأول وهلة حسنا , فسرت واضعا نصب عيني قول ابن طباطبا / – رحمه الله – " فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يُحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول .... فابحث عنه , ونقب عن معناه , فإنَّك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها , وعلمت أنهم أدق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته " .[1]

وقد واجهتني في هذا البحث بعض الصعوبات منها :

أولا : قلة ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن رواحة , الأمر الذي جعلني أقلِّل من النماذج التي قمت بتحليلها من ديوانه , كما أنَّ ديوانه لم يكن متوفرًا حتى وفقني الله وعثرت عليه في معرض الكتاب .

ثانيا : كثرة الدراسات حول الأدب الإسلاموقد تغلَّبت على هذه الصعوبة بأن أرجأت الإطلاع على ما كُتب حتى أضع فى البحث كل طاقتي وما وهبني الله من فكر حتى لا أتأثر بغيري وحتى لا أقف عندما وقف عنده الآخرون .

وقد سرت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي البلاغي مراعيًا ربط الصور بالنظم , وسرت في دراسة التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ على الخطوات التالية :

أولا : قسمت النماذج التى حللتها حسب الأغراض المعروفة (المدح – الهجاء – الوصف – الرثاء)

ثانيا : قمت بتحليل المقطوعات التي اخترتها وتمثلت طريقة التحليل فيما يلي :

(1) راعيت في المقطوعات اكتمال الفكرة التي تناولتها المقطوعة .

---

(1)عيار الشعر صـ25ت ـ، دكتور / محمد زعلول سلام ط منشأة المعارف – الإسكندرية 1980

(2) ضبط كلمات المقطوعة .(3) نسبة الأبيات إلى بحرها العروضي (4) شرح المعنى العام للمقطوعة بإيجاز . (5) تحليل الصور البيانية في الأبيات مع بيان ظلالها وإيحاءاتها وبلاغتها ودور النظم في إظهارها ومدى دقتها .

وقد اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة , وتمهيد , وسبعة فصول وخاتمة .

أمَّا المقدِّمة فقد اشتملت على أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع والمنهج الذى سرت عليه.

وأما التمهيد فقد ذكرت فيه أثر الإسلام في حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية بإيجاز , ثم موقف الإسلام من الشعر , وأثر الإسلام في الشعر , ثم قمت بالتعريف بشعراء الرسول ﷺ الثلاثة.

وتحدثت عن مفهوم الصورة , ثم توقفت مع تعريف علم البيان ومنزلة التشبيه منه.

وأما الفصل الأول فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر المدح " , ومهدت له بتمهيد تحدثت فيه عن المدح قبل الإسلام وبعده , وتهذيب النبي ﷺ لهذا الفن , وقلة مدح الشعراء للنبي ﷺ وسببه . وقد درست الصور البيانية في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية :

أولا : تصوير نور النبي ﷺ .

1)تصوير نور النبي ﷺ الظاهر .

2) مدحه ﷺ بنور ظاهره وباطنه .

ثانيا : مدحه ﷺ بالهداية :

1) بعموم الهداية . 2) بالهداية والشجاعة.

ثالثا : مدح المؤمنين :

1)مدح المؤمنين بالقوة والكرم 2)مدح المؤمنين بالشجاعة.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان التصوير البياني وبلاغته في شعر الهجاء , وقد مهَّدت له بتمهيد ذكرت فيه أثر الهجاء وقيمته كسلاح من أهم أسلحة المسلمين في صدر الإسلام . وقد تناولت التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية

أولا : الهجاء بالسفاهة والجهل. ثانيا : الهجاء بالكفر والغدر .

ثالثا : الهجاء بالحقد والغيظ . رابعا : الهجاء بضعة الأصل .

خامسا: الهجاء باللؤم.

وأما الفصل الثالث فعنوانه " التصوير البياني وبلاغته في شعر الوصف " , وقد مهدت لهذا الفصل بتمهيد ذكرت فيه غلبة هذا الوصف وشيوعه في كل زمان , وتغير موضوعه في هذا العصر وكثرته , تعديل الإسلام لبعض موضوعاته .

وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية :

أولا : وصف أدوات القتال (الخيل – السيوف – الدروع – الرماح)

ثانيا : وصف المعركة وقد اشتمل هذا الغرض على مجموعة من الأغراض :

1) وصف المعركة وفرار الأعداء . 2) وصف شدة القتال وتصوير الموت .

3) وصف الحرب وشجاعة الصحابة فيها . 4) وصف الحرب وتشبيهها بالناقة.

ثالثا : وصف الموت وبيان حقيقة الحياة .

رابعا : وصف الأرق

1) وصف الأرق بسبب الحزن وطول الليل 2) وصف الأرق بسبب الخوف

خامسا : وصف الجروح .

سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية

سابعا : وصف جموع المشركين

(1) تشبيههم بموج البحر (2) تشبيههم بجبل حراء

ثامنا : وصف هداية الرسالة الإسلامية ,

تاسعا : وصف قوة الهجاء وأثره .

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر الفخر " وقد مهدت له بتمهيد تحدثت فيه عن الفرق بين الفخر الجاهلي والإسلامي .

وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض التالية :

أولا : الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام .

ثانيا : الفخر بالقوة والخبرة :

1) الفخر بكرم الأصل والشجاعة والقوة .

2) الفخر بالخبرة في الحرب .

ثالثا : الفخر بالشهادة .

رابعا : الفخر باتباع الإسلام .

وأما الفصل الخامس فهو بعنوان " التصوير البياني وبلاغته في شعر الرثاء وقد مهدت له بتمهيد ذكرت فيه قدم هذا الفن . واختلافه عن الرثاء في الجاهلية ."

وقد تناولت بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من

خلال الأغراض التالية :

أولا : رثاء النبي ﷺ . ثانيا : رثاء حمزة رضي الله عنه .

ثالثا : رثاء عثمان رضي الله عنه

أما الفصل السادس فهو بعنوان (الخصائص الفنية للتصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ) وتناولت فيه :

أولا : السمات الفنية للتشبيه من حيث : منزلته من البلاغة وسمات طرفيه من حيث الحسية والعقلية . والإفراد والتركيب والتعدد , ثم السمات الفنية لأدوات التشبيه وتوقفت عند الفعلين (خال – حسب) اللذين أرى أنهما من أدوات التشبيه وأنهمالايأتيان بعدتمام التشبيه للدلالة على قربه أو بعده قربه وذكرت الأدلة على ذلك . ثم تعرضت للتشبيه من حيث الإرسال والتأكيد . ثم تعرضت للخصائص الفنية لوجه الشَّبه من حيث الإجمال والتفصيل , والقرب والبعد .

ثانيا : تناولت الخصائص الفنية للاستعارة من حيث بلاغة التصوير الاستعاري . السبب في كثرة الاستعارات التبعية , والسبب في كثرة الاستعارة المكنية في تصوير الحرب والموت .

ثالثا : تناولت الخصائص الفنية للمجاز المرسل من حيث أكثر العلاقات ورودا في شعرهم . قلة استخدامه إذا ما قورن بالتشبيه والاستعارة – بلاغته . بسبب قلته في شعرهم

رابعا : تناولت الخصائص الفنية للكناية من حيث بلاغتها , درجاتها , كثرتها في شعرهم والسبب في ذلك .

وأما الفصل السابع فهو بعنوان " موازنات " وفي هذا الفصل قمت بالموازنة بين شعراء الرسول ﷺ وغيرهم من الشعراء في المعاني المشتركة بينهم .

وقد تناولت هذه الموازنات من خلال الأغراض التالية :

أولا : تصوير الأرق والليل ثانيا : تصوير الدروع

أ) تصوير شكلها وهيئتها ب) مسامير الدروع

ثالثا : تصوير الحرب . رابعا : الصبر على نتائج الحروب

خامسا : تصوير سيلان الدماء سادسا : تصوير الشجاع وتشبيهه بالأسد .

سابعا : تصوير السيوف : أ) تشبيه لونهاوبريقها بلون الملح .

ب) تصوير الضرب بالسيوف ج) تصوير لمعان السيوف والرماح.

وأما الخاتمة : فقد تضمنت أهم نتاج البحث , ثم بعض التوصيات .

وأخيرا فهارس البحث .

وبعـد

فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات , وأبرأ إليه من الحول والقوة , فما كان من توفيق فمنهُ وحده , وما كان من خطأ فمني ، كما أتقدمُ بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الجليل :

الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر

لما له من أثر وجهد كبير في إخراج هذا العمل بهذه الصورة , ولا أنسى أن أذكر فضل أستاذي المرحوم الأستاذ الدكتور / عبد الرازق مُحَّد فضل , والذي شرفت بإشرافه وتوجيهه في جانب كبير من هذه الدراسة أسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عنا خير الجزاء .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمِ ﴾ البقرة الآية (127)

الباحث

طاهر عبد المنعم علي أبو يوسف

تمهيد

أثر الإسلام في حياة العرب وأحوالهم

أولا : الحياة الاجتماعية والسياسية :

كان قوام الحياة السياسية والاجتماعية قبل الإسلام القوة والإغارة والهجوم على الغير قبل أن يبادر هو بالهجوم ، وملخص هذا الأمر قول شاعرهم :

وَمَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ ♦ يُهدّمْ ، وَمَنْ لا يْظْلَم الناس يظْلِمِ (1)

وهكذا فإن الناظر في تاريخ العرب قبل الإسلام يجد أن منطق القوة كان سائدا بسبب غياب الدين المؤثر في النفوس ، الموجِّه والمطهِّر لها ، مما تسبب في الفوضى والهمجيّة في العلاقات القبلية ، وزيادة الروح العصبية والحميّة الجاهلية ، فلما جاء الإسلام " جمع قبائل العرب تحت لوائه ، وألّف بين قلوبهم ، وقضى على العصبية الجاهلية ؛ فزالت الحزَّازَّات القديمة ، والثَّارات التي بين القبائل ، فخضعوا لحكم النبي ﷺ وأوامر القرآن الكريم ..... وكان حماس العربي للإسلام وولاؤُه له لا يقلُّ عن حماسته لوثنيته واستبساله في الذَّود عنها " (2).

وللسبب نفسه – غياب الدين القويم – انتشرت عاداتٌ جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان " كوأدِ البنات ،وامتهان المرأة في دمها وحياتها ونفسها " (3) وكانوا ينظرون إليها نظرة احتقار " فهذه كانت نظرتهم إلى المرأة ، حتى جاء الإسلام يُشَنّع بهذه العادات ، ويقبحها ، وينهي عن الوأد ويُغَلِّظ فعلته " (4) .

---

(1) شرح المعلقات السبع /الزوزني ص 158 ط مكتبة المعارف بيروت 1982 والبيت لزهير بن أبي سُلمى . (2) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور / حسن إبراهيم حسن ص 150 ط 1948 .

(3)الحياة الأدبية في العصر الإسلامي ...للدكتور / النبوي شعلان ص 16 ، 22 مطبعة المدني مصر 1401 هـ /1981م .

4) في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ج 6 ص 384 طبعة دار الشروق ط 25 ، 1417هـ / 1996م

ثانيا : الحياة الدينية :

كان العرب قبل الإسلام ضُلاّلاً في عقيدتهم ؛حيث تعددت أحجارُهم التي يعبدونها من دون الله ، وقد ذكر القرآن الكريم بعضًا منها ، قال الله تعالى :

(1)

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

وقد ترتّب على فساد عقيدتهم بعض العادات الجاهلية ، والتي توارثوها عبر الأجيال ، ومنها الاعتمادُ في بعض الأمور على الكهنة على أساس أن الكثير منهم يتنبّأ بما سيحدث في المستقبل ، معتمدين في ذلك على شياطينهم الذين يسترقون السمع قبل بعثة النبي ﷺ . " فعند بعثته انقطعت الكهانة ، فلم يُسمع في الإسلام بكاهن ، وهذا من معجزات نبوَّةسيدنا مُحَمَّد ﷺ " (2) .

فلما جاء الإسلام " سَرَى هديُه فيهم مسرى الروح ، ونزل وحيُه منهم منزلة الطبع ، وأثَّر في ألسنتهم وأفئدتهم ما لم يؤثِّره كتابٌ سماويٌّ آخر في أهله " (3) .

ثالثا : الحياة الثقافية

نبغ العرب في اللغة العربية ؛ فكانوا أربابَ الفصاحة والبيان " وكان القُرشيون خاصةً على قسطٍ من المعرفة والرقي الفكري ، وفيهم ذوقٌ ، ولهم مَلكاتٌ ناضجةٌ في النقد اللغوي "(4) .

ولذلك أُقيمت الأسواق للتجارة والبيع والشراء " وكانت مع ذلك مجمَعًا أدبيًا كبيراً ؛ حيث كان يجتمع فيها الشعراء والخطباءُ فيُنشدون ويخطبون ..... ومن أهم هذه الأسواق ، عُكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز " (5) .

---

(1) سورة النجم الآيتان (18،19)

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب / شهاب الدين النويري 3 / 124 طبعة دار الكتب المصرية 1924 م

(3) تاريخ الأدب العربي للأستاذ / أحمد حسن الزيات ص 60 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر 1935 م

(4) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي د محمد عبد المنعم خفاجي ص 26، 27 طبعة دار الجيل بيروت 1412 هـ / 1992 م (5) المرجع السابق صـ27

" ولقد بلغ العرب في ذلك الحين مبلغهم من تهذيب اللغة ، ومن كمال الفطرة ، ومن دقة الحسِّ البياني ، حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلا واحدًا ، باجتماعهم على بلاغَةِ الكلمة وفصاحة المنطق " [1] ؛ فجاء القرآن بالبلاغة العليا والمعجزة البيانية الكبرى من جنس ما نبغوا فيه ؛ فخشعت الأصوات ، وذلَّت الرقاب ، ولم يملكوا إلا أن يعترف منصفُهم أنَّه من عند رب العالمين ؛ وذلك لأنَّ " العالِم في فنِّه هو أكثر الناس استعدادًا للتسليم بالحقيقة فيه ، حين تنكشفُ له ؛ لأنَّه أقرب إدراكًا لهذه الحقيقة ممنْ لا يعرفون في هذا الفنّ إلا القشورَ " [2].

---

(1) تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي 2 / 168 ط أولى ، مطبعة الاستقامة القاهرة 1940 م
(2) في ظلال القرآن ج 3 ص 1350

موقف الإسلام من الشعر :

طلَع نور الإسلام على الدنيا مبدِّدًا الظلمات ؛ فاستنارَ به كلُّ شئ ؛ فمَحا ما يتنافى مع ما جاء به ، وهذَّب أشياءَ وقوّمها ، بحيث تتفق مع ما جاء به من العقيدة السمحة ، ومكارم الأخلاق ، ومن الأشياء التي هذَّب الإسلام أسسها ، وقوَّم سِنادها، و متنها – ما دامت مُتّفقة مع العقيدة الإسلامية ، بعيدةً عن النفاق ،والفجور والفحش والكفر – الشعرُ ، ولقد وَهِم البعض * أن الإسلام حرَّم الشعر ، ونهى عن قوله ، مُستندين إلي قوله تعالى :

(1) وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

وهذه الآيات كي نفهم معناها لا بد من وصلها بالآية التي تليها : إِلَّا ٱلَّذِينَ

(2) ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

إن الآياتِ السابقة ليست مانعةً وصادَّة عن قول الشعر ، وليست محرِّمة للشعر عامة ، وإنما مُوجِّهةٌ ومقوِّمة له كأي شيء جاء الإسلام ووجد فيه زيغاً وضلالاً ؛ فإنه يُعدِّل مساره ؛ فقد كان الشعراء في الجاهلية لا يتورَّعون عن هجاء من يغضبون عليه ولا يتورعون عن الغزل الفاحش ، وقد يمدح الواحد منهم شخصًا من أجل عطاياه ، فإذا منعها أمطره بوابل من السِّباب واللعن في هجائه ، وهكذا كان الشعراء ملاذًا للغوايةِ والعبث والضلال ؛ فجاءت هذه الآيات لتوجِّه الشعر والشعراء إلى الوجهة التي يرتضيها الإسلام ، وتحدِّد أهدافه ومراميه ، فهذه الأمَّة لم يعد للغوايةِ والعبث واللهو والضَّلال مكانٌ فيها ؛ لأنها الأمَّة الخاتمة التي تحمل الرسالة الخاتمة لأهل الأرض كافة .

---

* انظر الموازنة بين الشعراء د / زكي مبارك ص(35,34) ط ثالثة ط مطبعة مصطفى البابى الحلبي 1393/ 1973

(1) سورة الشعراء الآيات (224–226) (2) سورة الشعراء الآيات من (224- 227)

يقول الأستاذ سيد قطب في تعليل ذمّ الإسلام للشعراء في الآيات السابقة : " لأنهم يعيشون في عوالمَ من صنع خيالاتهم ومشاعرهم ، يؤْثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ! ومن ثَّم يقولون أشياءَ كثيرةً ، و لا يفعلونها ؛ لأنهم عاشوا في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقعٌ في دنيا الناس المنظورة ..... ، و أما حين يكون للروح منهجٌ ثابتٌ يهدف إلى غاية إسلامية ، ثمّ تعبّر عن ذلك شعرًا وفنًّا ، فأما عند ذلك فإن الإسلام لا يكره الشعر ، ولا يحارب الفن " [1] ، فعندما يقف الشاعر مجاهداً بسيفه ولسانه ، مدافعًا عن الحق وأهله ، عندها يحتضنُه الإسلام ، ويشجِّعه الرسول ﷺ ويستثنيهم الله عز وجل من الضُّلاَّل الغاوين فالآيات " مُستثنية فئة مؤمنة صالحة ذاكرةً لله ، ومشيرةً إشارة لطيفة إلى أن هذه الفئة ستنتصر للمسلمين من بعد ما ظلموا [2] " وهؤلاء انتصروا من بعد ما ظلموا ، فكان لهم كفاحٌ ينفثون فيه طاقتهم ؛ ليصلوا إلى نصرة الحق الذي يعتنقوه ". [3]

أما ما ذكره الدكتور / يحيى الجبوري في تعليله لذمّ الآيات للشعراء

من أن " الإسلام اتَّخذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعةَ المرحلة التي شهدتها الدعوة ، والمواقف الإسلامية تلك كانت منبثقة من ظروف الدَّعوة نفسها ، فنجد أن الدين قد ذمّ الشعر والشعراء ، و هوّن من أقدارهم في الفترة الأولى ، فترة البدء بنشر الدعوة حين كان الشعر يهاجم الدين ويَنْتَقِصُ منه ، ويرمي المرجمون الرسول ﷺ بأنه شاعرٌ ، وقولَه الشعر ؛ فهو سلاحٌ من أسلحة الشرك ، ثُّم يكون الإسلام مُشجِّعًا وموجِّهاً للشعر والشعراء ، و ذلك حين أُتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر سلاحاً من أسلحة الحرب ، يقاتلون به أعداءهم المشركين . [4]

---

(1) في ظلال القرآن ج 5 ص 2622 .

(2) الأدب في صدر الإسلام د / محمد عبد الرحمن عبد الظاهر ، ص 77 ، مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة 1996 م .

(3) في ظلال القرآن ج 5 ص 2622 .

(4) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، د / يحيى الجبوري ، ص 40 ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ثانية ، 1401 هـ / 1981 م .

ولا أتَّفق مع الدكتور يحيى فى ذلك ؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية لا تعرف النفعيَّة , فتحرِّم الشيء عندما يتعارض مع مصلحتها, وتحلَّه عتدما يكون فى صالحها , نعم قد يتدرَّج الإسلام فى تحريم شيء كالخمر مراعاةً للطبيعة البشريَّة ، و لكنه لا يعرف النفعيَّة مُطلقًا ,كما أنَّ المشركين لا يعبؤن بتحريم الإسلام للشعر فهم مستمرُّون فى هجائهم , كما أنَّ دعواهم أن القرآن شعرٌ دعوى ظاهرة البطلان ؛ لأنَّ الجميع يعرف طبيعة الشعر , وأنَّ القران ليس شعرًا ، وقد يتَّخذُ البعض من حديث النبى ﷺ الذى قال فيه ﴿ **لأَن يَمْتَلِىء جَوْفَ أحَدكُم قَيْحًا فيُرِيَه, خَيرٌ لَه مِن أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْرًا** ﴾ "[1]

قد يتَّخذُ البعض هذا الحديث دليلاً على تحريم الإسلام للشعر، ولكن الرِّواية التالية للحديث توضح مقصدَ النبيﷺ ﴿ **لأَن يَمْتَلِىء جَوْفَ أحَدكُم قَيْحاً فيُرِيَه, خَيرٌ لَه مِن أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْرًا مِمَّا هُجِيتُ به** ﴾ [2] و هي رواية ابن عدي عن جابر، وهذه الرواية تبين أن الشعر الذي ذمَّه النبي ﷺ ،ونهي عن روايته هو الشعر الذي يسيءُ إلي شخصِه ﷺ ، و القرآن الكريم يُؤَيِّد ذلك ؛ فالله سبحانه وتعالي نهى عن الجلوس في مكان يُستهزَأ فيه بآيات الله قال تعالي :

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ
إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ (3)

وقال تعالي "

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟
فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ
ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ (4)

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب " ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان " جـ1 صـ109 ، ط دار الفكر استنبول .

(2) كنز العمال ، 3 / 576 ، المتقي الهندي ، ت / بكر حياني وصفوت السقا ط مؤسسة الرسالة بيروت

3) سورة النساء الآية (40) (4) سورة الأنعام الآية (68)

ومما يدل على تخصيص الشعر المنهيّ عنه بالشعر الذي هُجِيَ به الرسول ﷺ ، ما رُوى من أن النبي ﷺ امتدح الشعر في حديثه الذي رواه أصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ﴿ إنَّ مِن البَيَانِ سِحْرًا وإنَّ من الشِّعر حكمًا﴾ [1] ، وقد يسأل سائلٌ إذا كان الإسلام والنبي ﷺ لم يحرّم الشعر ! فلماذا لم يَقُلْ النبي ﷺ شعراً ؟! ولم نزَّهه الله عن قول الشعر في قوله تعالي :

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ [2]

أليس هذا ذمّا للشعر والشعراء ؟!

ذكر صاحب الأغاني سبباً لعدم قول النبي ﷺ الشعر، حيث قال " ولو كان الرسول شاعرًا ، لنسب العرب فضيلته وحجَّته البالغة إلي تأثير الشِّعر ، لا إلي فضل الرِّسالة ، ولا يكون إذْ ذَاك الكلام الذي يُلقي إليه وحيًا من عند الله ، بل إلهامًا من شيطان الشِّعر – وما أكثرَ شياطينَ الشُّعراء ! " [3] وأري أنَّ هذا ليس بسببٍ ، ويمكن الردُّ عليه بعبارة واحدة ، فلْيدعوا كل شعرائهم وشياطينهم ، فالعرب كان أغلبهم شعراء أَلَمْ يتحدَّهم الله في قوله تعالى :

فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ [4]

أليست شياطين الشُّعراء واحدة ؟! فلماذا عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مِّثله ؟! ألم يتحدَّ الله الشياطين في قوله تعالى :

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ [5]

---

(1) سنن أبى داود حديث رقم 4358

(2) سورة يس الآية (69)

(3) الأغاني 15 / 142

(4) سورة الطور الآية (34)

(5) سورة الإسراء الآية (88)

وقد ذكر السيوطيُّ سبباً لعدم قول النبي ﷺ الشعر قال " إن علماء العَروض والإيقاع مُجْمعون على أنَّه لا فرق بين صناعةِ العروض وصناعة الإيقاع .....فلمّا كان للشِّعر ميزانٌ يناسب الإيقاع ، والإيقاع ضربٌ من الملاهي ، لم يصلحْ ذلك للرَّسول ﷺ " . (1)

ولعل السبب الحقيقي في عدم قول النبي ﷺ الشعر ، وتنزيه الله له عن قوله , أنَّ النبي ﷺ هو القدوة والمعلم لهذه الأمَّة ، وستنقل عنه الأمَّة الوحي من قرآنٍ وسنَّةٍ ، وهما – كما نعلم – منهجٌ للحياة ، ودستور للأمة في كل زمان ومكان ، فلو قال شعرا – معاذ الله – لنقله عنه أصحابه رضوان الله عليهم ، فكيف يخرج من فيه ﷺ الوحي وهو أعلى مراتب الإعجاز والجدّ ، ثم يصدر عنه النقيض وهو الشِّعر بما يتصف به أغلبُـــــــــــــــــــه مـــــــــــــــــن هـــــــــــــــــزلٍ وخيـالٍ ، ووهمٍ ، وكذبٍ وافتراءٍ ؟! ، تعالى الله الذي نزَّه رسوله عن مثل هذا التناقض .

ولو قال ﷺ شعراً لاقتدت به الأمة ، ولصار أغلبُهم شعراءَ بدافع الاقتداء بالرسول ﷺ ، ولأن الشِّعر هو الضرب من الكلام الذي يمكن مُحاكاتُه والإتيان بمثله دون القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولو حدث ذلك لانصرفت الأمَّة عن القرآن الكريم والحديث الشريف إلي اللهو والعبث التي يتناقض مع مهامِّ هذه الأمَّة ، وقد استنشد الرسول ﷺ الشعر " واستحسن ما قِيل من الشّعر في النَّضح عن الإسلام ، والذَّود عنه وعن آله ؛ فكانت آراؤُه هذه وشبيهاتُها آراءَ الأنبياء فيما يحمدون من كلامٍ ، لأنَّهم بُعثوا لتعليم الناس دروس الخير والصَّلاح ولم يُبعثوا ليلقنوهم دروسا في قواعد النَّقد والإنشاء ". (2)

كما ورد أن النبي ﷺ حثَّ حسّان على قول الشعر ودعا له : ﴿ **اللهُمّ أيِّدْه بِرُوحِ القُدُسِ** ﴾ (3) ، إلي آخر ذلك من الأخبار التي تُثبت استحسانَ النبي للشِّعر وحثَّه عليه ، ومعرفته به .

---

(1) المزهر للسيوطي 291/2، 470/2 طبعة دار إحياء الكتب

(2) عبقرية محمد للأستاذ /عباس محمود العقاد صـ 77 طبعة دار نهضة مصر للطباعة الفجالة - القاهرة د.ت
(3) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الشعر في المسجد 453 جـ1 / 116 ط دار الفكر استنبول

وقد يقول قائل : أليس هذا مناقضًا لتنزيهه ﷺ عن قول الشعر ؟! أقولُ : فرقٌ بين أن يستنشده ،ويحثَّ عليه ، ويسمعه ويستحسنَه فَيُجِيزَهُ ، وبين أن يقوله فيَسُنَّه ، وقد استلهمت من كلام الإمام العلاَّمة عبد القاهر الجرجاني سببًا في إجازة النبيّ ﷺ قول الشعر وروايته وهو أن النبي ﷺ لم يُرِدْ أن يُغلق الباب أمام رواية الشعر وقوله ؛ لأنَّ روايته وقوله سيعود على الإسلام بفائدة عظيمة ، وهى استبيان معجزة القرآن وبلوغ حجة الله ، يقول رحمة الله في معرض التَّقريع لمن ذمُّوا النَّحو والشِّعر لضعف هممهم : " وذاك أنّا إذا كنَّا نعلم أنَّ الجهةَ التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، ودانت وبهرت هي أن كانت على حدٍّ من الفصاحة تقصُر عنه قوّة البشر ، ومنتهيًا إلي غايةٍ لا يُطمَح إليها بالفكر ، وكان مُحَالاً أنْ يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشِّعر الذي هو ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، والذي لا يشكّ أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان ، وتنازعوا فيهما قصب الرِّهان ، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل وزاد بعض الشِّعر على بعض ، كان الصَّادُّ عن ذلك صادًّا عن أن تُعرف حجةُ الله ، وكان مثلُه مثلَ من يتصدَّى للناس ، فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالي ، ويقوموا به ويُقرِئُوه " . (1)

إذن فالنبي ﷺ لم يرد أن ينصرف النَّاس عن الشعر ؛ لأنَّه أسمى صورَ البيان العربي ، ومن أراد أن يدرك الهُوَّة بين الإعجاز الإلهي والتعبير البشري – وأن الله سبحانه وتعالي لم يتحدَّ عَجَزةً ، وإنما تحدى أرباب فصاحةٍ وبلاغةٍ وبيانٍ ودقةٍ ومهارة لغويةٍ – فلْينظر في الشعر الذي هو ثمرة عقول العرب وديوانهم ، وشاهد حضاراتهم .

---

(1) دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق الأستاذ / محمود محمد شاكر صـ 9 طبعة دار المدني – القاهرة 1412ه

1991م

أثر الإسْلام في الشّعر

لقد جاء الإسلام ، وغيَّر من قيم العرب وعاداتهم ودياناتهم الوثنيَّة ، ولأنَّ الشعر مرآة عصره ، كان طبعيا أن يؤثِّر هذا الحدث العظيم في الشّعر العربي ، كما أثَّر في نفوس قائليه ، ولقد وصف د/ مُحَمَّد طه الحاجري هذا الأثر بأنه " صراعٌ بين القيم الإنسانية الحقَّة الخالصة التي جاء بها الإسلام ،وبين القيم التى كوَّنتها الجهالة "[1]

وأرى أن يطلق على أثر الإسلام في الشعر " تحوُّل " لا " صِراع " ، كما أطلق عليه الأستاذ الدكتور / صفوت زيد [2] ، "ولم يكن هذا التحوُّل والتغيُّر الذي طرأ على القصيدة العربية وليد يومٍ وليلة ، وإنما استغرق زمنًا حتى بَدَت معالمه واضحةٌ ؛ لأنَّ القرن الأوَّل الهجرى كان بمثابة المحصِّلة المشتركة التي استطاعت فيها معالم الحياة العربية أن تتكيّف ويتَّضح معدِنها ، حتى أصبح بإمكاننا أن نحدِّد بوادر التجديد في البناء الفني للقصيدة . [3]

---

(1) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، د / يحيى الجبوري صـ 3

(2) في عنوان كتابه التحول الشعري في عصر البعثة المحمدية طـ التركي طنطا دـت

(3) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية د / أحمد شاكر غضيب ص21 ط دار الضياء الأردن 2001

ولقد أثَّر الإسلام في بناء القصيدة العربية في شكلها وفي معاني الشعر وفي موضوعاته

أولا : أثر الإسلام في شكل القصيدة العربية

إنَّ تأثير الإسلام في شكل القصيدة العربية يتمثل في تأثيره في المطلع والمقدِّمة والتخلُّص من غرضٍ إلي غرضٍ وطول أبيات القصيدة وقصرها والخاتمة .

1- أثر الإسلام في مقدمة القصيدة :

يتمثَّل أثر الإسلام في مطلع القصائد في سهولة المطلع ، وبُعده عن النُّموذج الجاهلي ، فبعد أن كان الجاهلي يبدأ القصيدة ببكاء الأطلال والتغزُّل في المحبوبة ووصف الناقة " نجد المطلع الإسلامي ، وقد تخلَّص من هذه التقاليد الموروثة ؛ بسبب ظروف العصر التي اقتَضَتْ الارتجال والرَّد السَّريع " [1] ، على أنَّ المقدِّمات الجاهلية وُجِدَت على استحياءٍ عند بعض الشعراء فنجد الشاعر يقدِّم لقصيدته ببيتين أو ثلاثة على المنهج الجاهلي من غزلٍ أو بكاءٍ للأطلال ، ثم يتخلَّص إلي غرضه ، فعلى سبيل المثال نجد شاعراً مثل كعب بن مالك يقدِّم لمرثيته التي يرثي فيها شهداء أُحُد بيتين من الغزل ، حيث يقول : [2]

طَرَقَتْ هُمُومَك فَالرُّقادُ مُسَهَّدٌ ... وَجزَعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ

ودَعَتْ فُؤَادَكَ لِلهَوَى ضَمَرِيَّةٌ ... فَهَوَاكَ غُورِيٌّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ

ثم تخلص من هذه المقدمة الغزلية الموجزة إلي غرضه الأصلي :-

فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْغِوَايَةِ سَادِرَاً ... قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الغِوَايَةِ تَفْنَدُ

ولعل السبب الأول والرئيسى في انحسار هذه المقدمات ، هو أن الشاعر وجد نفسه مطالباً بسرعة الرَّد في المواقف التي تقتضى الدِّفاع عن الرسول ﷺ وعن المسلمين ؛ فتندفع المعاني اندفاعًا ، وتتزاحم العبارات على لسانه فلا يُعقل أن يقاوم هذه التيارات الجارفة ويعوقها بمقدماتٍ لا تتلاءم مع المقام ؛ ولذلك فإنَّ كعب بن مالك نراه يعيب على من يفتتِح قصائده ببكاء الدمن في مطلع قصيدة يرثي بها عثمان رضي الله عنه حيث يقول [3] :

يَا لَلرِّجَالِ لأَمْرٍ هَاجَ لِيْ حَزَنَا ... لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدَّمن

---

(1) المرجع السابق ص 26 بتصريف يسير

(2) ديوان كعب بن مالك تحقيق د / سامى مكي العاني ص189 مطبعة المعارف بغداد ط أولي 1966/1386

(3) المرجع السابق صـ282

2- أثر الإسلام في التخلُّص من غرضٍ إلى غرض

لقد أثَّر انحسار المقدمة الجاهلية فى طريقة انتقال الشعراء من غرض إلى غرض " فالشاعر الجاهلى كان يثبُ بين موضوعاته داخل القصيدة الواحدة عبر مرتكزات فنّية جاهزة تعكس إحساسه بالوحدة ..... بينما أصبح تحوُّل الشاعر الإسلامى تحولاً فجائياً " [1] ؛ فحسّان بن ثابت يقدِّم بمقدمة طللية عددها أربعة أبيات يقول بعدها يستهلُّ قصيدته :

فَدَع عَنْكَ التَّذَكُّرَ كلَّ يومٍ ... وَرُدّ حَرارةَ الصّدرِ الكَئيبِ
وَخَبِّرْ بِالَّذِى لا عَيبَ فِيهِ ... بصدقٍ غَيْرَ إخبارِ الكَذوبِ
بِمَا صَنعَ المَليكُ غَداةَ بَدرٍ ... لنَا فى المُشركين مِن النّصيبِ

وكأن هذا الانتقال الفجائى يوحى للسَّامع بعدم اهتمام الشاعر بهذه المقدِّمة ، وأنَّه ما قالها إلا تقليدًا ، يتوصَّل منه إلى غرضه ، وقضيَّته الأهم ، وهو غرضه الذى قال فيه القصيدة .

3- أثر الإسلام في طول القصيدة وقِصَرِها:

" لعل من أهم الملاحظات فى هذا الشعر الإسلامى فى إطاره العام – أنَّه شعرُ مقطوعات ، وليس شعر قصائد ، وهذا النوع لا يتطلَّب مقدماتٍ ؛ لأنَّ ظروفه تدفع الشاعر إلي موضوعه مباشرةً دون تقديمٍ "[3] ، فأصبح القِصَرُ هو السمة الغالبة على القصائد فى صدر الإسلام ، يتَّضح ذلك بالمقارنة بين القصائد الإسلامية والجاهلية لشعراء الرسول ﷺ " ، يتبيَّن بوضوحٍ مدى الازدياد الملحوظ فى قصَار القصائد فى ظلِّ الإسلام ؛ فحسان بن ثابت قصائده الجاهلية القصيرة تِسْعُ قصائد ، بينما نجد له خمسًا وثمانين قصيدة إسلامية قصيرة عددُ أبياتها عشرون بيتًا فما دون " .[4]

---

(1) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية ص30 بتصرف .
(2) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د / سيد حنفى حسنين ص 134 ط دار المعارف د-ت .
(3) دراسات فى الأدب الجاهلى والإسلامى د / عبد المنعم خفاجى ص 321 ، 322 .
(4) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية ص 35 بتصرف .

وأرى أن هذا الانحسار الذى حدث لِبنْية القصيدة العربية ، واختفاء بعض لوحاتها له أثرٌ بالغٌ على التصوير البيانىّ لدى شعراء صدر الإسلام ؛ لأنَّ القصيدة العربية فَقَدتْ ينبُوعًا من ينابيع التصوير البياني ، فالأجزاء التى أُهملت كانت ميدان الإبداع فى التصوير البيانى ؛ لاعتمادها الأساسى على الوصف مثل بكاء الأطلال والغزل ، ووصف النَّاقه ، ورحلة الصَّيد ، ووصف الخيل ..... إلى آخر هذه الأغراض التى يكثر فيها استخدام الألوان البيانية .

أثرُ الإسْلام في مَعاني الشّعر

من المعلوم والمتوقَّع أن نظامًا جديداً قَلَب الضلالات الجاهلية رأسًا على عقب ، وغيّر معتقداتها وقيمها وعاداتها ، طبيعيٌّ – أن مجيء الإسلام وما واكبه من تعاليمٍ سمحةٍ وقيمٍ أخلاقيةٍ رفيعةٍ تنبع من القرآن الكريم والأدب النَّبوي المتمثِّل في الحديث الشريف – أن يؤثِّر هذا التحوُّل الديني والثقافى والأخلاقى فى الشعر , خاصَّة أنَّهم رأوا البَوْن شاسعاً بين نور الإسلام ، وظلماتِ الجهل ، والجهالة الوثنيَّة فذاقوا حلاوة الإيمان ؛ فانطبعت أشعارهم بهذا النور ، كما انطبعت وتأثرت به قلوبهم ، فجاءت أشعارهم متأثِّرة بقيم الإسلام ومبادئه ، ومن يتصفَّح دواوين شعراء الرَّسول ﷺ وشعراء صدر الإسلام عامَّة يرى أسلوبًا جديدًا في الفخر والهجاء والمدح ، فبعد أن كان الفخر بالآباء والأجداد والأيام أصبح الفخر باتباع دين الله ورسوله الأمين ﷺ هو أساس الفخر ، وبعد أن كان المدح بالكرم والشَّجاعة والصفات الأخرى من قوة وبطش ، انضم إليها المدح بالإيمان والأخلاق الحسنة المستمدَّة من الإسلام .

" والنظرة الناقدة لا يخطئُها أنْ تلمح أثرًا إسلاميًّا في المعاني الشعرية في شعر من لم يسلم من أهل هذا الصدر " [1] غير أن طبيعة الهجاء في تلك الفترة اقتضت أن تظل فيه الروح الجاهلية من التعيير باللؤم والأيَّام والتنابز بالألقاب ، الأمر الذي دفع الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد حسن إلى القول بأنَّ " هجاء الشعراء ظل متمسكاً بأسلوبه القديم فى نهش الأعراض وقذف الناس بأحسابهم وأنسابهم " [2] لقد كان هناك داعٍ للرَّد على المشركين بمثل هجائهم .

وأحسب السبب فى ذلك أنَّهم – أىْ المشركون – لا يعنيهم ولا يؤثِّر فيهم مثقال ذرةٍ أن يُعيَّرُوا بالكفر والشرك ، لأنَّهم لا يؤمنون بهذا الدين ، وإنما الذى كان يوجعهم ويؤلمهم وكان " أثرُه فى نفوسهم لا يقلّ عن أثر السيوف فى أجسادهم " [3] هو الهجاء بالأنساب والأعراض لحرص العربي على أن يكون حسيبًا مصون العرض .

---

(1) قيم جديده للأدب العربى 59/1 د / عائشة عبد الرحمن ط دار المعرفة 1961م

(2)الهجاء والهجاؤن في الإسلام د / محمد محمد حسن ص7 طبعة مكتبة الآداب 1948م بتصرف يسير

(3)الحياة الأدبية في العصر الإسلامي د / النبوي شعلان ص150 مطبعة المدني القاهرة1401/ 1981م

وقد أشار إلى هذا السبب صاحب الأغانى ، حيث يقول " فكان حسّان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة ، يعيّرهم بالكفر ، فكان فى ذلك الزمان أشدَّ القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحه ، فلما أسلموا وفقُهوا كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة " [1] ولعل الشعر الذى يصفه الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد حسن بأنَّه فيه نَهشٌ للأعراض وقذفٌ للناس بأحسابهم لعله مما " أضيف إلى حسان مما لم ينظمه " [2]

---

(1) الأغاني جـ4 / 138

(2) حسان بن ثابت شاعر الرسول د / سيد حنفي حسنين صـ155 ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .د-ت

مُصطلح

شعراء الرسول

مصطلح شعراء الرسول ﷺ

مصطلح شعراء الرسول ﷺ يُطلق على ثلاثة شعراء هم ، حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك

" وهكذا تطوَّع من الأنصار ثلاثة شعراء خزرجيين ، هم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة لأداء هذه المهمّة ، وتولِّى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، والردِّ على شعراء الكفر الكثيرين ، وكان يؤازرهم شعراء آخرون من المهاجرين والأنصار ، أمثال طالب بن أبى طالب ، وعلى بن أبى طالب ، وخَوَّات بن جُبير الأنصارىّ ، وبعض الشواعر المسلمات مثل هند بنت أثُاثة ، وصفيَّة بنت عبد المطلب ، ولكن أولئك الثلاثة كانوا أشعر القوم ، وأقدرهم على القيام بهذا الدور ، وهم الذين عُرفوا بشعراء الرسول ﷺ دون غيرهم " [2] .

وقال عنهم البيضاوىّ " هؤلاء الثلاثة حسّان وكعب وعبد الله شعراء المسلمين فى المدينة " [3] .

وقال عنهم د / سيد حنفى حسنين " ولم يكن حسّان وحده هو الذى يفعل ذلك ، وإنما شاركه شاعران آخران ، هما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة "[4]

---

(1) ديوان عبد الله بن رواحه تحقيق د / وليد قصاب ص 80 ط ثانية - دار الضياء - الأردن 1408هـ/1988م

(2) تفسير البيضاوى " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ص367 ط 2 المطبعة البهية المصرية 1925م

(3) حسان بن ثابت شاعر الرسول د/ سيد حنفى حسنين ص 155 ،156

التعريف

بشعراء الرسول

أولاً : حَسّان بنُ ثابت رضي الله عنه

نَسَبُه :

" هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجَّار – وهو تيم الله – بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ابن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن ابن الأسد بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ يشجب بن يعرب بن قحطان...خزرجيٌّ من جهة أبيه وأمه" (1)

حياته :

" عاش نصف عمره فى الجاهلية يستلهم من صحراواتها قيم الفتوّة وعنجهيَّة البداوة ..... ومرارة القتال ، ثم إذا هو يعيش نصف عمره الآخر فى الإسلام يستحلب حَلاوة العقيدة ، ورحيق الأخوة " . (2)

شاعريته :

كان حسّان من الشعراء المجيدين المدافعين عن الدعوة وأهلها ، كما كان ذائع الصيت فى الجاهلية ، وهو وإن قلَّ شعره فى الإسلام ، إلا أن الرسول ﷺ اعتمد عليه كثيراً فى مواجهة المشركين فى المعركة الكلاميّة ؛ فَيُروى عن البراء بن عازب أنّ الرسول ﷺ قال لحسّان : ﴿ اهجُهمْ أو هَاجِهِمْ وجِبْريلُ مَعَك ﴾ " (3)

---

(1) تراجع ترجمتة وأخباره فى الأغانى جـ 134/4 وطبقات ابن سلام 216/1 ت محمود شاكر ط الهيئة العامة لقصور الثقافة / والشعر والشعراء لابن قتيبة 305/1 /ومعاهد التنصيص 209/1 ت محمد محى الدين عبد الحميد ط عالم الكتب بيروت د. ت أحمد محمد شاكر ط دار المعارف د- ت .

(2) حسان بن ثابت شاعر الرسول صـ5 دار المعارف 1964م .

(3) صحيح البخاري ، حديث رقم 2974 كتاب بدء الخلق .

قال الأصمعى عن شعر حسّان : " إنّه كان من أجْود الشعر فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ضعف شعره ، فالشعر نكدٌ يقْوى فى الشرّ ، ويسهُل فإذا دخل فى الخير يضعف ؛ هذا لأنَّ حسان بن ثابت فَحلٌ من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره "[1] ولعله يقصد أنّ الشعر يقوى ويشتدّ مع الغضب وشدة العداء ، كما أنَّه فى الجاهلية لم يكن يحكمه شرعٌ فكان الغزل الفاحش ، وكان الهجاء اللاذع ، وكان النفاق من أجل التكسب بالشعر من أقوى أسباب اتقان الشعر .

يؤيد ذلك قول الأصمعى " لأنه دخل فى باب الخير ، وترك طريق الفحول من هجاء ومديح وتشبيب وفخر "[2] ، وقيل لحسان " لاَنَ شعرك وهرم يا أبا الحُسام فقال للسائل : يا ابن أخى إنَّ الإسلام يحجز عن الكذب "[3]
ومع ما قيل عن ضعف شعر حسّان فى الإسلام إلا أن النبي ﷺ قال : ﴿ أَمَرْتُ عَبْدَ الله بنَ روَاحةَ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ كَعْبَ بنَ مَالك فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، وَأَمَرْتُ حَسّانَ بنَ ثَابتٍ فَشَفَى واشْتَفَى ﴾[4]

إسلام حسان :

من الواضح أن قصة إسلام حسَّان لم يتحدث عنها أحد من العلماء أو المؤرخين ، إلا أن د/ سيد حنفى حسنين يرى أنَّه " بالرَّغم من عدم وجود مصدر فيه نصٌ صريحٌ يدل على توقيت دخول حسان فى الإسلام ، إلا أن الخزرج عامَّةً وبنى النجار خاصَّةً ، قد حالفوا الرسول ﷺ وأبدوا استعدادهم للدُّخول فى دينه ، والدفاع عنه منذ وقتٍ مبكر ، وقبل هجرته عليه السلام إلى مدينتهم ، فلا شكَّ أن حسّان قد فعل مثلهم " [5]

---

(1) أسد الغابة 4/2/ابن الأثير ط جمعية المعارف مصر والموشح للمرزبانى ص64 ,65، ط السلفية – القاهرة 1929م .
(2) الموشح للمرزبانى ص 65 . (3) أسد الغابة 4/2 .
(4) الأغانى 143/4. (5) حسان بن ثابت شاعر الرسول ص 135.

جهاده فى سبيل الله :

جاهد حسان فى سبيل الله بلسانه دون سيفه على ما تذكره الأخبار والرِّويات التى يُتَّهم فيها حسان بالجبن وعدم القدرة على القتال ، منها الرِّواية التى روتها صفية بنت عبد المطلب عن رفض حسان الخروج لقتل اليهودى الذى كان يطيف بالحصن فى يوم الخندق " [2] ، وقد دافع عنه الواقدى ونفى عنه صفة الجبن " بأنَّ قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا ولكنَّه أقعده الحرب أن أكْحُله قد قطع فذهب منه العمل فى الحرب " . [3]

وفاته:

اختلف الرواة فى سنة وفاته بالرغم من اتفاقهم على " أنّه عاش ما يقرب من مائةٍ وعشرين عاماً " . [4]

---

(1) الأغانى 165/4 ،166 ، تاريخ الطبرى 3 / 50 .
(2) تاريخ ابن عساكر 126/4 ط أولى ط العربية دمشق .
(3) الاستيعاب لابن عبد البر مادة (حسان) نقلا عن حسَّان بن ثابت شاعر الرسول ص237.

كعب بن مالك رضي الله عنه

نسبه :

" هو كعب بن مالك بن أبي كعب ، وهو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سلِمه – بكسر اللام – بن سعد بن على الأنصاريّ السلميّ بفتح السين واللام, ثمَّ الخزرجيّ " [1] ، وأبوه " مالك بن أبي كعب كان شاعرًا " [2]

إسلامه:

كان كعبد الله بن رواحة من السابقين فى الإسلام من أهل يثرب ،حيث "كان من الثلاثة وسبعين رجلاً الذين بايعوا النبي ﷺ فى العقبة الثانية " [3] وكان قد اعتنق الإسلام قبل هذه البيعة ، يدل على ذلك ما رواه ابنه عبد الرحمن حين سأله :

" يا أبَتِ مالك إذا سمعت الآذان بالجمعة صلَّيت على أبى أمامة ؟ فقال : أىْ بُنى كان أول من جمّع بنا بالمدينة ... قلت كم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً "[4]

شاعريته :

شعر كعب بن مالك رضي الله عنه من أجود الشعر فى معانيه وصوره على ما نرى فى هذا البحث إنْ شاء الله ؛ لذلك نجد النبى ﷺ يزكّى شعره، حيث قال له ﷺ : **﴿إنَّكَ لَحَسَنُ الشِّعْر ﴾** [5]

---

(1) راجع خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ص 373 / صفى الدين أحمد بن عبد الله- ط الخيرية مصر 1322هـ .

(2) الأغانى 226/16 .

(3) طبقات ابن سعد 393/4 وتاريخ الطبرى 360/2. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ط – دار المعارف مصر د- ت .

(4) معجم ما استعجم للبكرى 571/2 الطبعة الأوربية .

(5) الأدب المفرد / البخارى صـ172 ط العثمانية – مصر 1309هـ .

قال عنه الصفدى والبغدادى "كان مجوّدا مطبوعًا " [1] وكما أُعجب النبى ﷺ بشعر كعب أثنت عليه السيدة عائشة وروته تقول السيدة عائشة : ﴿ **الشِّعْرُ منه حَسَنٌ ومنه قَبيحٌ ، خُذِ الحَسَن وَدَعِ القَبِيحَ ، وَلَقَدْ رَوَيْتُ مِنْ شِعْرِ كَعْب بن مالك أشْعَارًا مِنهَا القَصِيدةُ فيها أَرْبَعُون بَيْتًا ودُون ذَلِك** ﴾ [2]

منزلته وجهاده

لم يتخلَّفْ كعب عن غزوات النبىﷺ إلا في تبوك وبدر قال كعب : ﴿ **لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ فى غزوة إلا فى غزوة تبوك غير أنِّى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنها** ﴾ [3] ، وقد أمره الرسول ﷺ بالجهاد بلسانه ، كما يجاهد بسيفه ، حيث قال : ﴿ **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه** ﴾ [4] وقد أَبلَى كعب بلاء حسناً يوم أحد ، حيث قيل " إنّ مظهره عن بُعد كان يشبه الرسول ﷺ ، ولبس لأْمة النبىّ ﷺ، وكانت صفراء ، ولبس النبى ﷺ لأْمته فجُرِحَ كعبٌ أحد عشر جرحاً " [5] ، وبالرغم من هذا الإيمان القويّ ، والحرص على افتداء النبى ﷺ إلا أن كعباً تخلف عن غزوة تبوك ، وأمر النبى ﷺ صحابته بمقاطعة هؤلاء الثلاثة "كعب بن مالك ومرارة بن أبى الربيع وهلال بن أميَّة " [6]

---

(1) نكت الهيمان فى نكت العميان ، ص 230 / الصفدى ط مصر 1911م وخزانه الأدب 22/3 البغدادى- ط السلفية القاهرة . د ت .

(2) المزهر علوم اللغة 309/2 .

(3) صحيح البخارى- 40/6 .

(4) مسند الإمام أحمد جـ6/ 387- ط دار صادر بيروت د.ت .

(5) الاستبصار فى أنساب الأنصار ص143 (مخطوط) دار الكتب المصرية (رقم " 349 " تاريخ).

(6) مغازى رسول الله / الواقدى ص-44 ط السعادة – مصر 1367 هـ .

وقد﴿نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ﴾ [1] حتى تاب الله عليهم ونزلت الآيات ، حيث قال تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ (2)

وفاته :-

توفى كعب بن مالك " فى المدينة وكان قد كُفَّ بَصَرُه عام خمسين من الهجرة على أرجح الأقوال " [3] .

جَزى الله كعبَ بن مالك خيرَ الجزاء عمّا قدَّم لدين الله .

---

(1) السيرةالنبوية- بن هشام 116/4 ت عمر محمد عبد الخالق ط دار الفجر للتراث - القاهرة ط أولى 1420 هـ /1999 م .

(2)سورة التوبة آية (118) .

(3) البداية والنهاية 48/8 ط السعادة – مصر 1932 م .

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

نسبه :

" هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى ، وأمُّهُ كبشة بنت واقد بن عمر بن الإطنابة الخزرجية " .[1]

حياته :

شاعرٌ مخضرِمٌ " عاش في الجاهلية والإسلام ، وشارك قومه فى حروبهم بسيفه ولسانه ، فلما ظهر الإسلام ، وأصبح واحدًا من أتباع الرسول ﷺ قام بدوره السالف ، إلا أنَّه صار مدافعا عن الإسلام ورسوله وأتباعه ، لا عن العصبية الجاهلية " ومما يدل على أنَّه نشأ مُسوَّدًا منذ نعومة أظفاره ، أنه كان يكتب فى الجاهلية وكان يكتب للرسول ﷺ والناس فى ذلك العهد أميّون ". [2]

إسلامه :

كان عبد الله من السابقين الأولين فى الإسلام من أهل يثرب ، ففى السنة الثالثة عشرة من البعثة ، لقى النبي ﷺ وفداً مكوَّناً من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ؛ فأسلموا وكان منهم عبد الله بن رواحة فقال لهم النبي ﷺ : **﴿ أَخْرِجوا إليَّ منكم اثنى عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وكان ابن رواحة أحد هؤلاء النُّقباء الذين اختارهم القوم ﴾** [3] " ولمّا قَدِمَ النبى ﷺ مهاجراً آخى بينه وبين المقداد بن الأسود " [4]

---

* تدور المادة حول الكثرة والسعه ، والقطع ، الهجين ، الشاعر المدرك لعصرين / اللسان مادة خضرم

(1) الطبقات الكبير ، محمد بن سعد 486/3 ت . د/ على محمد عمر ـط مكتبة الأسرة 2002 م

(2) راجع قصة إسلامه فى سيرة بن هاشم 65/2 وما بعدها ط دار الفجر .

(3) الإصابة فى تمييز الصحابة 1 / -306 ط -التجارية – القاهرة 1939 (4) نفسه

شاعريته :-

أثنى النبى على تقوى عبد الله فى كلامه ،حيث قال ﷺ :﴿ إنّه لا يَقُولُ الرفث ﴾ [1] " وقد ذكر النّقاد أن عبد الله بن رواحة من الشعراء المجيدين ؛ فقد وضعه ابن سَلام فى طبقة شعراء القرى العربية وهى (المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين) ، ثم يقول ابن سلام بعد ذلك وأشعرهن قرية المدينة شعراؤها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس ، فمن الخزرج من بنى النجار (حسّان بن ثابت) ومن بنى سلمة ، (كعب بن مالك) ومن بلحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة " [2] ؛ إذن فعبد الله " مع قلَّة شعره الذى وصل إلينا إلا أنّه يُعد من الشعراء الفحول ، وهذا دليلٌ على أنَّه كان له شعرٌ كثيرٌ ولكنَّه ضاع ، والدليل على ذلك أنَّ كثرة الشعر الذى قاله الشاعر مُقدمةٌ عند ابن سلام على الجودة ، ومعيار من معايير المفاضلة بين الشعراء عنده ".[3]

منزلته عند النبى ﷺ:

ورد أنَّ " عبد الله بن رواحة فى بعض أسفاره مع النَّبى ﷺ فى اليوم الحارَّ الشَّديد الحرارة –كان يصوم وما فى القوم صائمٌ إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة " [4] " لذلك كان عبد الله مقربًا من رسول الله ﷺ ، أثيرًا عنده " [5]

جهاده فى سبيل الله :

" شهد عبد الله بدراً ولمَّا أفاء الله على رسوله أرسل عليه السلام ابن رواحة إلى أهل العالية يزفُّ إليهم البشرى " [6] " وشهد أحداً والخندق وبنى المصطلق وخيبر ، وغيرها الكثير " [7]

---

(1) صحيح البخارى حديث رقم 6151 . (2) ديوان عبد الله بن رواحة ص48 .
(3) نفسه .
(4) الاستيعاب 362/1 بتصرف نقلا عن شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ص(27).
(5) طبقات فحول الشعراء ص186 .
(6)الروض الأنف السهيلى -151/5 ط الجمالية 1332هـ -1914م .
(7) راجع سيرة بن هشام 127/3 ، طبقات بن سعد 135/3 .

استشهاده فى سبيل الله :-

لما استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما فى مؤتة ، أخذ الراية القائد الثالث وهو عبد الله بن رواحة فلما رأى فى نفسه بعض الإحجام قال : **" يا نفس إلى أى شئ تَتُوقين ؟ إلى فلانة - امرأته - فهى طالق وإلى فلان وفلان - غلامان له - فهم أحرار ، وإلى معجف - حائط له ؛ فهو لله ورسوله "** [1] ولما أصيب ابن رواحة أخذ الدم بيده فدلّك به وجهه ثم جعل يقول : **يا معشر المسلمين ذبُّوا عن لحم أخيكم فجعل المسلمون يحملونه حتى يحوزوه فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه "**[2]

جزاه الله خيراً على ما قدّم للإسلام .

---

(1) أسد الغابة 159/3 .

(2) نفسه .

مفهوم الصورة

الصـورة

تعـدّدت وجهـات النَّظـر فى تحديـد هـذا المصـطلح ، فأبسـط دلالـة لكلمـة الصـورة " وأقربها إلى الأذهان هو دلالتها على التجسيم ، أو على الأشياء القابلة للرُؤْية البصرية " [1] ، وهذا المفهوم هو ما كان عليه القدماء من البلاغيين ، فالتَّصوير عندهم لم يكن مقتصرًا على أساليب علم البيان (التشبيه ، والمجاز ، والكناية) ، وإنما كان يشمل التَّعبير بالحقيقة أيضا ، فمعناه عندهم " هو معناه عند اللغويين " [2] ، يدلُّ على ذلك أن المتأخرين من علماء البلاغة العربية تحدّثوا عن الصورة كمرادف للمعنى "[3]

أمّا الإمام عبد القاهر فإن المصطلح عنده أكثر تحديدًا، حيث جعل الصورة " تمثيلٌ وقياسٌ ، لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا " [4] ؛ فهو هُنَا فى هذا الموضع يتحدَّث عن تصوير المعانى الذِّهنية كلّها " ؛ فالصورة فى كلامه يعنى بها عملية النَّظم يتّضح ذلك جليّا فى قوله : " واعلم أنّ قولنا الصورة ، إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس ، تكون من جهة الصُّورة فكان تبيُّن إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصيَّة تكون فى صورة هذا لا تكون فى صورة ذاك ..... ثم وجدنا بين المعنى فى أحد البيتين وبينه فى الآخر بينونة فى عقولنا وفرقًا عبّرْنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأنْ قلنا للمعنى فى هذا صورة غير صورته فى ذلك ، وهو يريد بهذا الكلام اختلاف المعنى المُدْرَك من الفِقْرة أو البيت باختلاف طريقة نظمه وإن اتَّحدت كلماته ، وهو هنا يوضح مقصده ويبيِّنه بمثال وقياس على المحسوسات فالأمور الحسّيّة يُميّز بين المتشابه منها بالصورة .

وكذلك يميّز بين المعاني المتقاربة – حتى وإن اتحدث الكلمات التى عبرت عنها – بالنظم أى باختلاف هيئة ترتيب الكلمات ، واختيار حروف المعانى ومواضعها والتقديم والتأخير ، وهو ما يُعدُّ لثباته كالصورة التى هى من خصائص المحسوسات .

---

(1) التعبير البيانى د / شفيع السيد ص 139 ط دار الفكر العربي ط ثانية 1982م
(2) الصورة الفنية د / جابر عصفور ص 282 ط دار المعارف
(3) شروح التلخيص 3 / 312 ط دار السرور بيروت د ت (4) دلائل الإعجاز ص 508 (5) نفسه

" فتصوير أى معنى يعنى صياغته ونظمه وتشكيله على هيئة مُعيّنة ، وهذا المعنى كَثُر ورودُه فى دلائل الإعجاز ، نظرًا لطبيعة القضيّة الأساسية التى يعالجها الكتاب وهى قضيّة النظم " [1]

وفى العصر الحديث :

تعدّدَت التفسيرات والتعريفات لمفهوم الصورة بحسب اختلاف التخصصات ، فعند علماء النفس وعلماء الجمال " تتمثَّل الصورة فى أنها استحضار العقل أو التَّوليد العقلي لما سبق إدراكه بالحواس " [2]

ويرى آخرون أن التَّصوير نشاط لغوى غير مفارق للتَّركيب ، بل إن نشاط عناصر التركيب هو نشاط تصويرى " [3] وهذه الرؤية هى نفسها رؤية الإمام – عبد القاهر .

---

(1) الصورة بين القدماء والمعاصرين د عبد الحليم محمد شادى ص23 ،24 بتصرف- ط أولى 1991/1411 ط السعادة

(2) التعبير البياني د شفيع السيد ص141 ط دار الفكر .

(3)مداخل إلى علم الجمال الأدبى د / عبد المنعم تلمية ص11 ط دار الثقافة مصر 1982

الصُّورة البَيَانيّة

ينظر علماء البلاغة منذ الإمام عبد القاهر وحتى العصر الحديث إلى الصورة البيانيَّة على أنَّها مكوِّنٌ من مكونات النظم ، تتفاعل مع عناصر النصِّ ومكوناته , فالصورة " فى موقعها من النص خليّة من خلاياه التى تحقق كيانا متواشجةٌ علاقاته مع بنيته الكلِّيَّة ، خليّةٌ تقوم بدورها التفاعلى المتبادَل مع النص فى تكوين معناه " [1] ، وهكذا يراها أيضا الأستاذ / أحمد حسن الزيات , فهى تتفاعل مع " مجموعة من العلاقات المتداخلة والمتكاملة لطاقات اللغة وإمكاناتها من دلالة , وتركيب , وإيقاع وحقيقة , وصور مجازية ، وترادف وتضاد ..... وغيرها من وسائل التعبير الفني , يمزج بينها الشاعر ؛ لتخرج معانيه على درجة من الإبداع "[2]

والصورة البيانية لا تنقل الواقع نقلًا وإنَّما هى " إعادة تشكيل الواقع ونقله بطريقة إبداعية يسهم فيها الخيال ، بحيث لا يُنقل الواقع أو ينُسخ ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادَّة أو المتباعدة فى وحدة " [3]

وليس هذا الكلام بجديد ، وإنما هو ترديد وإعادة صياغة لفكر الإمام عبد القاهر , فالإمام عبد القاهر عندما يتحدَّث عن بلاغة وجمال التشبيهات يقول : " وهكذا إذا استقريت التَّشبيهات ، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد ، كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، ..... وذلك أنّ موضع الاستحسان ..... أنّك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ، ومؤتلفَين مختلفَين ، وترى الصورة الواحدة فى السماء والأرض " [4] .

وقد أشار الإمام عبد القاهر أيضاً إلى كون الصورة البيانية متفاعلة متداخلة مع النظم ، حيث يقول " إن فى الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم ، والوقوف على حقيقته " [5]

---

(1) الصورة البيانية د / محمود محمدين ص 7 بدون معلومات عن الطباعة .

(2) دفاع عن البلاغة أ/ أحمد حسن الزيات ص62 بتصرف .

(3)الصورة الفنية د / جابر عصفور ص 373 .

(4) أسرار البلاغة ص130 .

(5) دلائل الإعجاز ص 100 .

وقفة مع

تعريف علم البيان

البيان فى اللغة :

بمعنى الإيضاح ، والظهور ، وبمعنى الفصاحة ، وبمعنى إظهار المقصود بأبلغ لفظ ؛ فهو يدور حول الكشف والظُّهور "[1]

أما مفهومه الاصطلاحى :

فلم يتحدد ويصبح مصطلحاً بلاغيًا ذا دلالة خاصة إلا على أيدى رجال مدرسة التقعيد والتقنين فى البلاغة العربية ابتداءً من أبى يعقوب السكاكى ، ومَنْ سار على نهجه من البلاغيين ؛ فقد أصبح البيان عندهم خاصًّا بمباحث التشبيه والمجاز والكناية ، وقبل أن يتحدَّد هذا المفهوم باقتصاره على هذه المباحث الثلاثة أدلى كثيرٌ من العلماء بدلوه فى محاولةٍ لتعريف وتوضيح المقصود بكلمة " البيان " .

فهو عند الجاحظ " اسمٌ جامع لكلِّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يُفضى السامع إلى حقيقته .....) [2] ، وهو عند الإمام عبد القاهر " مرادف لكلٍّ من الفصاحة والبلاغة والبراعة " [3] ، نعود إلى أصحاب المدرسة التقعيديَّة فى البلاغة العربية ؛ لنرى تعريفهم لعلم البيان ، ونقف عند هذا التعريف قليلاً ، لنرى مدى الابتكار فيه.

.فالسكاكى هو أوَّل من عرَّف علم البيان التعريف الشائع الذى تناقلته كتب البلاغة حتى يومنا هذا، حيث عرَّف علم البيان بأنَّه " معرفة إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ؛ ليُحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام المقتضى الحال" [4]

---

(1) لسان العرب مادة (بين) .
(2) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ص 76 ط الهيئة العامة لقصور الثقافة 2003 .
(3)راجع دلائل الإعجاز ص43 .
(4) مفتاح العلوم ص 329 ط دار الكتب العلمية بيروت ط1 ، 1987.

التلخيص إلىاقتضاب التعريف الذى توصل إليه السكاكى مسقطاً عباراتٍ غاية فى الأهمية فى تحديد المصطلح، حيث عرّف علم البيان بأنَّه " علمٌ يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفةٍ فى وضوح الدلالة عليه " [1] ، وتعريف السكاكى لعلم البيان أدقُّ من تعريف الخطيب لما سأوضحه بعد قليل .

والسؤال هل تَفَتَّقَتْ عبقرية السكاكى عن هذا التعريف ؟ لقد لاحظت صلةً وثيقةً بين تعريف السكاكى السابق لعلم البيان ، وبين الكثير مما كتبه الإمام عبد القاهر عن مباحث هذا العلم ، حيث أدرك الإمام السكاكى ما يريده الإمام عبد القاهر ، وفهم كتابيه فهماً عميقاً ، فاستخرج هذا التعريف وصاغه بدقةٍ بالغة مما كتبه الإمام عبد القاهر ثم صاغه بأسلوبه بذكاء شديد ، ولنرجع إلى دلائل الإعجاز ، وتحديداً قول الإمام عبد القاهر عندما تحدث عن فضل الكناية والاستعارة والتَّمثيل على الكلام المتروك على ظاهره ، حيث يقرِّر " أن المبالغة التى تُدَّعى لهذه الأجناس ليست فى نفس المعانى التى يقصد المتكلم الإخبار بها ، ولكنها فى طريق إثباته لها وتقريره إياها "[2]

ثم يفسّر – رحمه الله – كلامه قائلاً : " تفسير هذا : أنْ ليس المعنى إذا قلنا إنَّ الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنَّيت عن المعنى زدت فى ذاته ، بل المعنى أنك زدت فى إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشد ، فليست المزية فى قولهم " جمُّ الرماد " أنّه دلّ على قرىً أكثر ، بل إنَّك أثبت له القرى الكثير من وجهٍ هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو أشد " [3] ثم يقرر نفس القاعدة على الاستعارة فيقول " وكذلك ليست المزيَّة التى تراها لقولك " رأيت أسداً "

---

(1) الايضاح فى علوم البلاغة تحقيق د / عبد القادر حسين ص246-- ط مكتبة الأداب 1416هـ/1996م

(2) دلائل الإعجاز ص71بتصرف يسير.

على قولك رأيت رجلاً لا يتميَّز عن الأسد فى شجاعته وجرأته , أنك قد أفدت بالأول زيادة فى مساواته الأسد ، بل أنك أفدت تأكيداً وتشديداً وقوة فى إثباتك له هذه المساواة ، وفى تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة إذن فى ذات المعنى وحقيقته , بل فى إيجابه والحكم به " [1]

ثم يقرر نفس القاعدة على التمثيل " وهكذا قياس " التمثيل ، ترى المزيَّة أبدا فى ذلك تقع فى طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه ، فإذا سمعتهم يقولون : " إنَّ من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعانى نبلاً وفضلاً ، وتوجب لها شرفاً ، وأن تفخِّمها فى نفوس السامعين ، وترفع أقدارها عند المخاطبين ، فإنَّهم لا يريدون الشجاعة والقرى وأشباه ذلك من معانى الكلِم المفردة ، وإنما يعنون إثبات معانى هذه الكلم لمن تثبت له ويخبر بها عنه ". [2]

ولننظر إلى كلام الإمام عبد القاهر السابق ونقارن بينه وبين تعريف أبى يعقوب السابق لعلم البيان وبالمقارنة بينهما يتَّضح الآتى :

1- الملاحظة الأولى :

أن المقصود بالمعنى الواحد فى تعريف السكاكى ما تحدث عنه الإمام عبدالقاهر من عدم تزايد المعانى ، وإنَّما الذى تعتريه الزيادة والنقصان هو الإثبات أو تأكيد المعنى, وبذلك يتضح تماماً أن السكاكى أخذ هذه الجزئية من تعريفه لعلم البيان من الإمام عبد القاهر .

2- الملاحظة الثانية :

أن قول السكاكى فى التعريف " بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنقصان " وهذه العبارة أيضاً توضيح للعبارة السابقة " المعنى الواحد "، حيث إن اختلاف هذه الطرق ليس فى أصل المعنى ، وإنما فى وضوح الدلالة كما أنَّ فيها إشارة إلى تفاوت أساليب علم البيان فى البلاغة ، والتَّأكيد الأمر الذى ذكره الإمام عبد القاهر عندما ذكر أن " الكناية أبلغ من الإفصاح ..... وأن للاستعارة مزيةً وفضلاً ، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة " [3]

---

(1) نفسه (2) نفسه (3) دلائل الإعجاز صـ 70

كما يلاحظ فى عبارة الإمام السكاكى – بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه وبالنُّقصان " – أنَّها مختلفة عن عبارة الخطيب وذلك ؛ لأنَّ السكاكى صاغ التعريف بدقة ؛ لأنَّه استوعب كلام الإمام عبد القاهر فتحرَّى الدِّقة فى صياغة هذا التعريف ، أما الخطيب فأظنُّ أنَّه لم يدرك صنيع السكاكى ، وكان همُّه الأول هو التلخيص ، فكلمة بالزيادة والنقصان فى وضوح الدلالة على المعنى الواحد تعنى تفاوت أساليب علم البيان فى درجة التأكيد من طريقة إلى أخرى ، فالتشبيه أقل تأكيداً من الاستعارة والاستعارة أقل تأكيداً فى الإثبات من الكناية كما يتفاوت كل نوع من هذه الأنواع فى بلاغة أساليبه وتأكيدها ، فعلى سبيل المثال نجد أنَّ التَّشبيه بـ " الكاف " ليس كالتَّشبيه بـ " كأن " والتَّشبيه المرسل ليس كالتَّشبيه المؤكَّد وكما يقول استاذنا الأستاذ الدكتور مُحَمَّد أبو موسى " فإذا كانت العلاقة بين طرفى التَّشبيه فى صورتها الأولى ذكرتَ الطرفين والأداة والوجه وقلتَ هو كالغيث فى كذا وإذا قَوِيتْ العلاقة قليلاً حذفتَ الوجه وقلت هو كالغيث فإذا ما قويتْ أكثر حذفتَ الآداة وقلتَ هو غيثٌ " [1]

3– الملاحظة الثالثة :

فِي قول الإمام السكاكى " ليُحترَز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لمقتضى الحال " [2] يعنى بذلك الاحتزاز عن الخطأ فى مستوى التأكيد اللازم للمقام والذى يناسبه لون من ألوان البيان دون غيره ، وذلك بحسب حال المخاطب ، كما أنَّ " لكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضُّمور ومن القوة والضعف " [3] ، ويكون ذلك بحسب العاطفة والمقام ، كما سنعرف فى هذا البحث أنَّ كثرة وشيوع لون معين من ألوان البيان فى غرضٍ معين أو فى زمن ما يرجع إلى مناسبة هذا اللون البيانى لهذا الغرض . ولعل ما يؤكِّد ما سبق أن أشرت إليه من أن السكاكى أخذ هذا التعريف من كلام الإمام عبد القاهر ما قاله الأستاذ الدكتور مُحَمَّد أبو موسى عن السكاكى وشرَّاح التلخيص " وهؤلاء الذين أقول فيهم : إنَّ مادتهم البلاغية لا تعدو أن تكون

---

(1) دراسة فى البلاغة والشعراء د/ محمد محمد أبو موسى ص 94

(2) مفتاح العلوم ص329 (3)البلاغة العربية بين القديم والحديث د عبد الحليم شادى ص171 ط الأمانه ط ثانية 2003/1424

صياغة ثانية لكتابَى عبد القاهر إلا فى مسائل محدودة ، ولو نَفَضتَ مفتاح العلوم – الذى هو رأس هذا الطريق – من تراث عبد القاهر لكان أكثرة صحفاً بيضاء ..... وبهذا يظهر ظهورًا قاطعًا أن كتاب المفتاح هو الشكل المصنف والمقنَّن لتراث عبد القاهر "[1]

نعم لقد نقلوا ما كتبه الإمام عبد القاهر بطريقة حوَّلت البلاغة إلى " علم عبارة عن قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس إذْ سُلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحارة " [2] حقاً لقد جفَّت البلاغة وأصبحت ثقيلة على نفوس وعقول طلاب العلم بكثرة التَّقسيمات والقواعد المنطقية التى ابتليت بها البلاغة العربية على يد هؤلاء الملخصين والشرَّاح ، ولا أجد لهم شبهاً إلا بنحويّ وقف يلقى خطبةً على جمع من الناس فدفعه شغَفُه وحبُّه لقواعد النحو أن يعرب كلَّ كلمة يتفوَّه بها فأخذ يقول " إن الحمد لله " إن حرف توكيد ونصب والحمد إسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة.... فمزّق خطبته شرَّ ممزَّق وشتَّت أذهان النَّاس وصرفهم عن الاستمتاع والاستماع له ولأمثاله وصار بسامعيه إلى طريق غير التى قصدوها .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ما منزلة التشبيه من ألوان البيان هذه ؟ هل هو مبحثٌ رئيسٌ من مباحث البيان ؟

لقد اضطرب البلاغيون فى تحديد مكانة التشبية من علم البيان أ هو مبحثٌ أصلىٌ أم أنَّه مقدمةٌ وتمهيدٌ لغيره ، ولعل تعرُّض أصحاب مدرسة التقعيد إلى مبحث الدِّلالة لتفسير عبارة السكاكى :" فى وضوح الدلالة "– له دور كبير فى هذا الاضطراب ، لأنَّهم قسَّموا الدلالة ثلاثة أقسام " دلالة المطابقة ، دلالة التضمُّن ، ودلالة الالتزام ، وجعلوا تأدية المعنى بطرقٍ مختلفةٍ – والتى هى وظيفة أساليب البيان تتأتَّى بالدلالتين التضمُّنية والالتزاميَّة ، ولا تتأتَّى بالدلالة المطابقية ، وبناءً عليه أخرجوا التَّشبيه من مباحث علم البيان الأصلية ؛ لأنَّ دلالته مطابقية أو وضعية فهو من وادى الحقيقة لا المجاز " . [3]

---

(1) دراسة فى البلاغة والشعر د / محمد أبو موسى ص 118

(2) انظر البلاغة تطور وتاريخ د / شوقى ضيف ص 288 ط دار المعارف ط ثالثة د – ت والبيان العربي د / بدوى طبانة ص58 ، صـ347 ط الانجلو المصرية ط رابعة 1968م.

(3) راجع فن التشبيه د على الجندى ص20وما بعدها - ط -الانجلو المصرية ط 2 1386هـ/1969 م.

وبالرغم من هذه النظرة إلى التشبية إلا أنَّهم يوردون أمثلة التشبيه فى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ؛ لذلك نجد أن بعض العلماء تنبهوا إلى هذا الاضطراب الذى وقع فيه البلاغيون فسعد الدين التفتازانى يقول : بعد أن شرح تعريف علم البيان على طريقة البلاغيين " هذا هو الكلام فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى وأنت خبيرٌ بما فيه من الاضطراب ، والأقرب أن يُقال علمٌ يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية " [1] .

وأرى أن التشبيه مبحث أصيل من مباحث علم البيان ، وأنَّه يفيد ما يفيده غيره من أساليب البيان من تأكيد المعنى بطريقةٍ غير مباشرةٍ ، وقد تحدث الإمام عبد القاهر عن التشبيه بما يبيّن أنَّه يؤكد المعنى بطريقٍ غير مباشر (اللزوم) ، وبذلك يدخل فى مباحث علم البيان الأصلية ، ففى حديثه عن اتفاق الشاعرين فى معانى بعض الأبيات يقول : " اعلم أنَّ الشاعرين إذا اتفقا لم يخلُ ذلك من أن يكون فى الغرض على الجملة أو فى وجه الدِّلالة على ذلك الغرض ، والاشتراك فى الغرض على العموم أن يقصد كل واحد منهما وصف ممدوحه بالشجاعة والسَّخاء ..... وأما وجه الدلالة على الغرض فهو أن يذكر ما يستدل به على إثباته له الشجاعة والسخاء مثلاً وذلك ينقسم أقساماً : منها التشبيه بما يوجد هذا الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة كالتشبيه بالأسد ، وبالبحر فى البأس والجود "[2] .

فقد جعل الإمام التشبيه وسيلة لإثبات المعنى بطريقةٍ غير مباشرة مثلما أثبت ذلك للكناية والاستعارة والتَّمثيل عندما تحدث عن المعنى ومعنى المعنى " تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يقضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " [3]

---

(1) المطول ص 310 سعد الدين مسعود التفتازاني الهروي ط مطبعة أحمد كامل 1330 هـ .
(2)أسرار البلاغة ص.338
(3) دلائل الإعجاز ص .263

ومعنى كون التشبيه وصفًا غير مباشر أو تأكيدًا غير مباشر أنَّ المشبه يلحق بالمشبه به فى صفةٍ غير مُصرَّحٍ بها فى الكلام فى بعض طرق التشبيه بل فى الكثير منها ، وذلك مثل قولنا " مُحَمَّد كالأسد " ألحقنا مُحَمَّد بالأسد ووصفناه بما يوصف به الأسد وهى الصفة الغالبة المشتهرة فى الأسد وهى الشجاعة وهى وصف لم يُصرَّح به فى الكلام . وهكذا جاءت أغلب تشبيهات الشعراء فى كل زمان بدون ذكر وجه الشبه على ما سنراه إن شاء الله فى فصل الخصائص الفنية .

وأرى أن هذا الأمر يعدُّ من اللزوم بمكان إلا أنه لزومٌ لا يستفاد من كل طرف من طرفى التشبيه على حِدة وإنَّما يستفاد من تعلقهما والرَّبط بينهما بآداة التشبيه سواء كانت ملفوظة أم مقدرة .

وبذلك يكون اللزوم أو معنى المعنى موجوداً فى التشبيه أيضًا إلا أنه أضعف من اللزوم فى المجاز والكناية ، وذلك لسرعة الوصول إلى الصفة اللازمة لقلة الوسائط بخلاف المجاز و الكناية ، على أنَّه توجد تشبيهات تحتاج إلى تأمل وإعمال فكر لاستخراج وجه الشبه وهذه يمكن أن نقول عنها إنها تقترب من اللزوم فى المجاز .

والدليل أيضاً على وجود اللزوم فى التشبيه أن الإمام عبد القاهر لاحظ وجود هذا اللزوم أو الانتقال من معنى إلى معنى آخر فى التَّشبيه, الأمر الذى دعاه إلى التفرقة بين التمثيل والتشبيه باعتبار الحاجة عند استخراج وجه الشبه إلى تأوُّل من عدمه والتأوُّل هذا الذى عناه الإمام عبد القاهر هو اللزوم .

يقول الإمام عبد القاهر " اعلم أن الشيئين إذا شُبِّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما : أن يكون من جهة أمر بيّنٍ لا يحتاج إلى تأوُّل والأخر أن يكون الشبه مُحصَّلاً بضرب من التأوُّل "[1] " ثم إن ما طريقة التأوُّل يتفاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ..... ومنه ما يُحتَاج فيه إلى قدرٍ من التأمُّل ، ومنه ما يدِقّ ويغمُض حتى يُحتَاج فى استخراجه إلى فضل رويَّة ولطف فكرة " [2].

وفى بيان معنى " التأول " يقول " وليس ههنا عبارة أخصّ بهذا البيان من " التأوُّل " ؛ لأنَّ حقيقة قولنا " تأوَّلتُ الشيء " أنك تطلّبت ما يؤول إليه من الحقيقة ، أو الموضوع الذى يؤول إليه من العقل " [3] .

والسيد الشريف الجرجانى يرى أنَّ التشبيه مبحثٌ رئيسٌ من مباحث علم البيان وله مراتب مختلفة فى الوضوح والخفاء مع أن دلالته وضعيةٌ "[4] "كما أن دلالة طرفى التشبيه وإن كانت دلالة وضعية يفهم منها معناها الوضعى , إلا أنَّ المقصود الأصلى ليس المعانى الوضعية فقط ، فإنَّ قولنا وجهٌ كالبدر ، لا تريد مفهومه وضعا بل تريد الوجه المتناهى فى الحسن ، لكنَّ ذلك لا ينافى إرادة المعنى الوضعى للطرفين ". [5]

---

(1) أسرار البلاغة صـ90 (2) المرجع السابق صـ 93 (3) نفسه صـ98

(4) راجع حاشية السيد الشريف على المطول صـ310 نقلا عن فن التشبيه د/على الجندى ص24

(5) شرح الفوائد الغياثيه بتصرف صـ195نقلا عن فن التشبيه د/ على الجندى ص 24

وبعد :

فقد اتضح من خلال ما سبق كون التشبيه مبحثًا رئيسًا من مباحث علم البيان ، واتضح أيضا أن للتشبيه درجاتٍ متفاوتةً فى الوضوح والخفاء ودرجات متفاوتة فى اللزوم .

والعجيب أنه بعد كل هذه الميزات التى يمتاز بها التشبية , عدَّه بعض العلماء مقدمة لدراسة الاستعارة لابتناء الاستعارة عليه وليس من مباحث علم البيان الأصلية وليس هذا صحيحاً ؛ لأنَّ ابتناء الاستعارة على التشبيه لا تلزمه دراسةٌ تفصيليةٌ للتشبيه ومباحثه ، والأشد عجباً أن أحد دعاة الحداثة الذين يرغبون فى هدم هذه اللغة ونقض أسسها يزعم أنَّ الشبيه لا قيمه له ، وأنَّه ينبغى أن يخرج من حيِّز الصورة الشعرية لا من حيز المجاز فقط بحجة أنَّ التشبيه " يبقى على الجسر الممدود فيما بين الأشياء ، فهو لذلك ابتعاد عن العالم ... فتشعرأنَّ التشبيه ينظر إلى الأشياء باعتبارها أشكالا لا معانى أو وظائف – هو إذن لا يمتلكها لا يتوحَّد معها ، لا يقبض عليها "[1]

أين هذا المدَّعى من أمثلة التشبيه القرآنية والشواهد الشعرية التى تفيض بالايحاءات والجمال .!! ولكنَّها الرغبة فى المخالفة .

---

(1) زمن الشعر د/ على أحمد سعيد (أدونيس) ص104 نقلا عن الصورة البيانيَّه د /محمود بن ص11

التصوير البيانى
وبلاغته فى
شعر المدح

المدح :

المدح فنٌ أصيل طرَقه الشعراء فى العصر الجاهلى ،حيث كان الكثير منهم من أمثال حسّان والنابغة الذبيانى يمدحون الملوك رغبة فى التقرُّب منهم ونَيْل عطاياهم ؛ فقد مدح حسان والنابغة ملوك الغساسنة ونالا عطاياهم ، فلما جاء الإسلام وطهَّر هذه النفوس من النفاق والتعلُّق بأطماع الدنيا ، تحوَّل الشعراء وعلى رأسهم حسَّان من مدح الملوك والعظماء إلى مدح الإسلام ونبىّ الإسلام وأتباعه فقد عظُمت مكانة النبي ﷺ وشعروا بأنَّه ﷺ كما وصفه ومدحه القرآن الكريم بأنَّه نور قال تعالى :

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ (1)

وقال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ (2)

فانطلق الشعراء يصوِّرون النورين نور النبى ﷺ ونور الرسالة ، ولكنَّ النبى ﷺ لم يكن ليفعل مثل ملوك الدنيا ، يفرح ويطرب للثناء والمدح ، فلم يطلق العنان للشعراء فقد " كان هذا الصدر من أهل الإسلام يكفُّون ألسنتهم عن ذكره صلوات الله وسلامه عليه بثناء إلا ما أمروا به " [3] وهذا دليل على أنَّ النبى ﷺ لم يكن يحب المدح والثناء على طريقة أهل الجاهلية .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا ۞ "(4)

---

(1) سورة المائدة الآية (15) . (2) سورة الأحزاب الآيتان (45 ، 46) .
(3) قراءة فى الأدب القديم د / محمد محمد أبو موسى ص80 . *العرج/ قرية بالقرب من المدينة .
(4) صحيح مسلم جـ5/7 كتاب الشعر حديث رقم 90 ط دار الفكر بيروت د .ت .

كما أنَّ النبي ﷺ قال :

إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ (1)

كما نهى النبى ﷺ أمَّته عن المبالغة فى مدحه وتعظيمه حيث قال ﷺ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ (2)

والمتأمِّل فى شعر هذه الفتره يجد أن مدح الشعراء للنبى ﷺ إنَّما كان يتعرض له الشاعر فى أبياتٍ محدودةٍ ممتزجًا بغيره من المعانى الإسلامية, من هداية الرسالة ومدح الصحابة ، كما أنَّهم لم يمدحوا النبى ﷺ إلا بما مدحه به الله سبحانه وتعالى كما سيتضح فى تحليل أبيات المدح .

وخير شاهد على ذلك أنَّ القصيدة الطويلة التى يعتذر فيها كعب بن زهير للنبى ﷺ لم يوجِّه له فيها مدحاً مباشراً إلا فى بيتٍ واحد . وهو قوله "–

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستيضَاءُ به ♦ مُهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ "(1)

وقصيدة حسان التى يجيب فيها شاعر بنى تميم ، لم يتعرض فيها بالمدح للرسول ﷺ مباشرة ، وإنما نراه يكتفى بوصف النبى ﷺ بأنَّه نبيُّ الهدى، حيث يقول :–

أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهم ♦ فما ونَنصرُهم عنه وما نَزَعوا "(4)

ثم يذكر النبى ﷺ فى بيت آخر مفتخراً بقيادته، حيث يقول :–

أكرِم بقومٍ رسولُ اللهِ قائدُهم ♦ إذا تفرَّقت الأهواءُ والشِّيَعُ " (5)

وسنرى فى هذا الباب مزيدا من التفصيل والتوضيح لهذا الأمر من خلال تحليل أبيات المدح ، وسنبدأ بمدح النبى ﷺ.

---

(1) صحيح مسلم حديث رقم5323

(2) صحيح البخارى جـ 142/4ط دار الفكر استنبول وفتح البارى لابن حجر جـ 398/3 ط دار المعرفه بيروت ط 3 .د .ت . (3) شرح ديوان كعب بن زهير / لابى سعيد بن الحسن السكرى ص 23 ط ثالثة ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة 1423هـ/2002 م. (4) ديوان حسان ص 239 البيت رقم (16) (5) نفسه البيت رقم (21)

أولا : تَصْوير نُور النبىّ ﷺ

(1) تصوير نور النبي ﷺ الظاهر

يقول حسان : يوم بدر " [1] [من البسيط]

فينـا الرسـولُ وفينـا الحـقُّ نتبعُـه ... حتـى الممـاتِ ونصـرٌ غيـرُ محـدودِ
مبـارِكٌ كضـياءِ البـدرِ صـورتُه ... مـا قـالَ كـان قضـاءً غيـرَ مـردودِ
مُستعصـمِين بحبـلٍ غيـرِ منجـذمٍ ... مسـتحكمٍ مـن حبـالِ اللهِ ممـدودِ

يفتخر حسان فى هذه الأبيات بوجود النبى ﷺ فيهم وبتمسكهم بالعقيدة وطاعتهم لكل أوامر النبى ﷺ ؛ لأنَّ ما جاء به من الهدى , هو الحبل المتين الذى يصلهم بالله جلَّ فى علاه ,ويشبِّه حسان النبى ﷺ فى البيت الثانى بالبدر فى صورته بجامع الإشراق وحسن الطَّلعة ، وتشبيه الوجه المشرق بالبدر شائعٌ عند كثيرٍ من الشعراء ، إلا أنَّ مناسبة الأبيات ونظمها يعطى للتشبيه جدَّة ودقَّة .

فحسّان يصوِّر هيئة النبى وصورته ﷺ بصورة البدر فى الإشراق والنور وحسن الطلعة ، فى مقام لا يُتوقَّع فيع بشاشةٌ ولا إشراقٌ ، وإنما يُتوقَّع فيه اضطرابٌ وخوفٌ وعبوسٌ ، فهذه فئةٌ قليلةٌ فى العدد والعدة تواجه فئةً كثيرةَ العدد والعدة ولكنَّ النبى ﷺ لمَّا كان واثقاً من نصر ربِّه كان منشرح الصَّدر مشرق الوجه ، ثم إنَّ هذه الصورة التشبيهيه تزداد قيمتها البلاغية " بمراعاة المقام ودقة النظم وتضامن الأسلوب وصدق الشعور ومعانقة التشبيه للون ببيانى آخر هو الكناية "[3] ، حيث إن وصفَ الرجل فى حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر " [4] كناية عن كمال الشجاعة كما أنَّ هذه الصورة كناية أيضا عن إيمان النبى ﷺ وثقته بربه .

---

(1) ديوانه صـ242 قصيدة رقم (16) من قصيدة له يصف جيش المسلمين .
(2) الجذم- القطع ص 54 أساس البلاغة مادة جذم ط - دارإحياء المعاجم العربية – القاهرة ط أولى 1372هـ/1953م.
(3) فى رحاب البيان العربى دراسة بلاغية تحليليه أ . د / صباح دارز .أ. د/ أحمد ناجى ص 16 ط 1424هـ/2003م. (بتصرف)
(4) أسرار البلاغة ص338.

وهذا المعنى وهو المدح بإشراق الوجه والثَّبات فى مواطن الخوف والفزع عبر عنه كثيرٌ من الشعراء مثل قول المتنبى "[1]

تمـرُّ بـك الأبطـالُ كلْمَـى هزيمـةٍ ♦ ووجهُـــك وضَّـــاحٌ وثغـــرُك باســـمُ

ويقول الأعشى[2]

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من القو ♦ م إذا مـــا كَبَـــت وجـــوهُ الرِّجـــالِ

ونرى سيدنا حسان يحذف المسند إليه فى قوله"مباركٌ "لسبق ذكره ومبالغةً فى إثبات الصفة للنبى ﷺ ثم تلتحم الاستعارة التمثيليَّة فى البيت الثالث بالصورة التشبيهيه الكنائية فى البيت الثانى، حيث تبين سبب الإشراق والتهلُّل فى هذا المقام الذى لا يُعهَد فيه إشراقٌ ولا تهلُّل – وهو اعتصامهم بدين الله، حيث صوَّر هيئتهم ، وقد استظهروابدين الله وطاعة رسوله بهيئة من يتشبَّث بحبلٍ متينٍ هو سبيل نجاته ، وقد عبَّر بالحال فى قوله "مستعصمين" للدلالة على دوام تمسكهم بدين الله.

وقد جاء نظم الأبيات مؤازراً لهذه الصور البيانية فقول حسّان " ما قال كان قضاءً غير مردود " تعليل آخر لإشراق وجه النبى ﷺ فى هذا المقام وهو أنَّه مُطاعٌ فى أصحابه وأنَّهم مانعوه ولن يخذلوه أبداً ، كما أنَّ إيثار الشاعر " ما الموصولة " وهى " اسم مبهم غاية فى الإبهام ".[3] يدلُّ على أنَّ النبى ﷺ مُطَاعٌ فى كلِّ ما يقوله ، وأنَّ كلَّ قولٍ يصدر عنه كالقضاء النافذ الذى لا يُردُّ، حيث شبه أوامر النبى ﷺ بالقضاء . بجامع الإلزام ثمَّ يؤكِّد أمر الطاعة بقوله "كان قضاءً " باستخدام الماضى الذى يدل على تحقق الوقوع ، وألمح فى تشبيهه ﷺ بالبدر مقصداً آخر لحسان يوحى به قوله " ونصر غير محدود " فى البيت الأول وقوله " مباركٌ " فالتشبيه بالبدر يوحى بعلو منزلةِ النبى ﷺ على كل مرتقٍ فهو ينال من أعدائه ولا ينالون منه .

---

(1) ديوانه ص 428/3 ت عبد المجيد دياب ط ثانية - دار المعارف 1992 م .

(2) ديوانه ت/د/محمد محمد حسين ص61/ت-د-محمد محمد حسين-ط مؤسسة الرسالةبيروت-1993م

(3)البرهان فى علوم القرآن /398/4 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ط ثانية طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت د ت .

كما أنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يمنع رسالة النبى ونوره عن الانتشار كما لا يستطيع أحدٌ أن يحجب نور البدر, حتى وإن توارى خلف الغمام قليلاً فإنَّه لا يلبث أن يظهر مهما كانت الحجب فإنها لابد أن تزول ويظهر نوره ، وهذا هو النصر غير المحدود .

وهكذا تشعُّ الأبيات نوراً وثباتاً على العقيدة ، وعمق محبةٍ للنبى ﷺ، والذى يدل على عمق محبتهم للنبى ﷺ إيثار حسان حرف الجرّ" فى " دون الظرف " بين " ؛ لأنَّ "ٍ" فى " تدل على التمكُّن والاستقرار في قوله " فينا الرسول " ، وألمح في تقديم المسند في قوله (فينا الرسول – فينا الحق) ألمح نبرة الفخر بوجود الرسول ﷺ فيهم وما أُنزل عليه من الكتاب والحكمة .

(2) مدحه ﷺ بنوره الظاهر والباطن

يقول عبد الله بن رواحة "[1] [من البسيط]

تحملُـه النَّاقـةُ الأدمـاءُ * معتجـراً [2] بـــالبردِ كالبـــدرِ جلَّـــى ليلـــةَ الظَّلَـــمِ
وفـــى عطافَيـــهِ أوأثنـــاءَ بُردتِـــه مـــايعلمُ اللهُ مـــن ديـــنٍ ومـــن كـــرمِ

يشبِّه عبد الله النبى ﷺ ، وقد علا ناقته بالبدر فى نوره ثم يثبت له بعد ذلك صفتين من أبرز صفاته ﷺ وهما صفتا الكرم والدين .

والصورة التشبيهيه فى البيت الأول صورةٌ رائعةٌ التقى فيها التشبيه مع ثلاث صور بديعية هى الاحتراس [3] فى قوله " معتجراً" والايغال " [4] فى قوله " جلَّى ليله الظُّلَمِ " والجناس بين البرد والبدر .

فقوله " معتجراً " يخلِّص المعنى مما لا يريده الشاعر فالشاعر أراد أن يثبت لوجه النبى ﷺ استدارةً مع إشراقٍ يُشْبِه بها البدر, والاستدارة لا تتحقق إلا بهذه الهيئة " الاعتجار " ، وهى أن يتعمَّم الرجل دون أن يلقى شيئاً تحت لحيته . إذن فالصورة التى يقصدها الشاعر هى أن يشبِّه النبى ﷺ وقد علا ناقته معتجراً ببرده مستديرَ الوجه فى تمام نوره – بالبدر المكتمل ، وقد علا وارتفع فجلى الظلمات ، وقد جاء بالإيغال وهو نوع من أنواع الإطناب"[5] ليدل به على معنى زائد وذلك فى قوله " جلَّى ليلة الظلم " فقوله كالبدر أفاد الإشراق والاستدارة والنور إلا أنه جاء بالإيغال ليؤكد تمام النور حيث إنَّه يبدِّد الظلمات

---

*الأدمة : فى الإبل لون مشرب سواداً أو بياضاً.

(1) ديوانه ص 164 تحقيق د / وليد قصاب ط دار الضياء الأردن .

(2) الاعتجار / لف العمامة دون التلحِّى ، وهو أن يلفَّها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه (اللسان) جـ 9ص 292 .

(3) الاحتراس " أن يأتى فى كلمة بما يخلصه من الدخل (4) " والايغال " أن يأتى بالقافية بعد المعنى لتفيد معنى زائداً راجع تحرير التجبير لابن أبى الإصبع تحقيق د / حفني شرف-ص 245,233 ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط 1416هـ/1995 م.

والبديع فى البديع لأسامة بن منقذ ص90 تحقيق على مهنا ط دار الكتب العلمية بيروت 1407هـ /1997م

(5) قبسات من بلاغة المعانى د عبد الحليم محمد شادى-ص10- ط أولى مطبعة الأمانة 1409هـ/1989

وليدل على دوام نور النبى ﷺ وعظيم نفعه وذلك ؛ لأنَّ البدر فى ليلة تمامه يستغرق الليل كله من بعد الغروب وحتى طلوع الفجر وهذا يدل على تمام فضله وعظيم نفعه . وللجناس بين البرد والبدر موقعه وحسنه ، وذلك لما بين اللفظين من تقاربٍ يعطى جرساً موسيقياً وكما أثبت للنبى ﷺ نوراً لوجهه وهو نورٌ حقيقيٌ ظاهرٌ عاد فأثبت له نورَ باطنٍ متمثل فى صفتين جامعتين لكل صفات الخير ، وقد سلك لبيان ذلك طريق الكناية عن نسبة وهو أبلغ فى إثبات هاتين الصفتين له ﷺ فكأنَّه أراد أن يقول أن هذا الجسد المتوارى فى هذا البرد إنما هو دين وكرم ، وتمام هذه الصورة قوله " ما يعلم الله " أى أنَّ دينه وكرمه ﷺ وإنْ رأى الناس منهما جانباً إلا أنَّهما لكثرتهما وعظمتهما لا يحيط بهما إلا الله وقد خصَّ عبد الله هاتين الصفتين لأنهما جامعتان لكل أصناف الخير .

وهكذا يحيط عبد الله بصورته هذه بنور النبى ﷺ ظاهراً وباطنا " فالصورة الشعرية لا تكتمل إلا حين يحيط الوصف بجميع صفات الموصوف " [1]

---

(1) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك ص 9 مطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ط ثالثة 1393/1973 م

ثانيا : مدحه ﷺ بالهداية

(1) المدح بعموم الهداية

وكما مدح الشعراء الرسول ﷺ بنور وجهه ونور باطنه صوروا أيضا نور هدايته ودعوته يقول حسان :

واللهِ ربـــي لا نفـــارقُ ماجـــداً ... عـــفَّ الخليقـــةِ ســـيّدَ الأجـــدادِ
متكرمـــاً يـــدعو إلـــى ربِّ العـــلا ... بـــذلَ النَّصـــيحةِ رافـــعَ الأعمـــادِ
مثـــلَ الهـــلالِ مباركـــاً ذا رحمـــةٍ ... ســـمحَ الخليقـــةِ طيِّـــبَ الأعـــوادِ
إنْ تتركـــوهُ فـــإن ربـــي قـــادرٌ ... أمســـى يعـــودُ بفضـــلِه العـــوَّادِ

يقسم حسّان على دوام نصرهم للنبي ﷺ، ويمدحه بقيامه بأمر الدَّعوة إلى الله ونصح الناس ، ويشبهه ﷺ بالهلال يزداد نوره يوماً بعد يومٍ ، والله يحفظه ويرعاه حتى لو تخلّى عنه الناس ، وقد شبَّه حسان النبي ﷺ بالهلال مع أن العادة جرت أن يُشبَّه الإنسان بالبدر في العلو والإشراق والضياء ، إلا أن هذا التشبيه له غرضه وملائم للمعنى الذي قصده الشاعر ، فالشاعر أراد أن يثبت للنبي ﷺ علواً ورفعةً وزيادةً فى الفضل والهداية والأنصار يوماً بعد يوم وحتى قيام الساعة واتّباعه لأمر الله وسيره بأمره وبتقديره ، وتجدُّد دعوته واستمرارها , هذه الأمور كلها وجدها حسان فى الهلال ، وإذا ما وازنَّا بين طرفى هذه الصورة ، وجدناها غاية فى الجمال والدِّقة فالهلال عالٍ مرتفعٌ مباركٌ يزداد نوره يوماً بعد يومٍ ، ومطالِعُه ومنازله ثابتةٌ بتقدير الله ولا دخل لأحدٍ فيها ، وشأنه هذا ثابتٌ إلى يوم القيامة . والرسول ﷺ عالى المنزلة فى كل زمانٍ يزداد رفعةً ونوراً وهدايةً يوماً بعد يومٍ ، كلما نظر الناس فى القرآن والسنة واكتشفوا الإعجاز فيهما ، وهذا الأمر قائمٌ ومستمرٌ حتى قيام الساعة .

---

(1) ديوانه ص338 من قصيدة له يمدح فيها النبى صلَّى الله عليه وسلَّم.

قال تعالى :

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (1)

و ي [illegible] ق ولا يوقف دعوته أحدٌ ، وهكذا تتطابق الصورتان ، وهكذا نرى المعنى " لا ينحصر فى الصورة فى دلالةٍ وضعيةٍ وحيدةٍ وإلا فليس هو بشعرٍ وإنما هناك هالةٌ من الدلالات الإيحائية تواكب الصورة وتسمح للكلمة بممارسة تأثير ما فى المستمعين " (2)

وقد أشار الشاعر بإشاراتٍ ترمز إلى هذه المعانى وترسم خطوط هذه الصورة وتميز ألوانها ، فيرمز إلى زيادةِ هدايته ونوره بقوله " مباركاً " وعن استمرار فضله ﷺ وتجدد رسالته بقوله : " فإن ربى قادرٌ أمسى يعود بفضله العوّاد " فكما يتجدد نور الهلال كل شهر تتجدد رسالة النبي ﷺ ، ولشدة تلاؤم هذه الصورة يلاحظ أن الشاعر استخدم من أدوات التشبيه " مثل " دون " كأنَّ " وذلك ؛ لأنَّ استخدام هذه الأداة يدل على أن " التشبيه يرقى إلى مرتبة التشابة القائم على ادعاء تساوى الطرفين فى وجه التشبه " (3)

---

(1) سورة فصلت الآية (53)

(2) الصورة البيانية دراسة تطبيقية د / محمود محمد بن ص-8- بدون معلومات عن الطباعة.

(3) التبيان فى أسرار البيان ص63 د/ عبد الحليم محمد شادى ط- الأمانة –ط- أولى 1420ه / 1999 م

(2) المدح بالهداية والشجاعة

يقول كعب بن مالك " (1) [من البسيط]

فينـــا الَّرســـولُ شـــهابٌ ثـــم يتبعُـــهُ ... نـــورٌ مضـــئٌ لَـــهُ فضـــلٌ علـــى الشُّـــهبِ
الحـــقُّ منطقُـــهُ والعـــدلُ ســـيرتُه ... فمـــنْ يُجِبـــهُ إليـــه يـــنجُ مـــن تبـــبِ (2)
نجـدُ المقـدَّمِ ماضـى الهـمِّ معتـزِمِ ... حـين القلـوب علـى رجـفٍ مـن الرعـبِ
يمضى ويذمُرُنا (3)عن غيرِ معصيةٍ ... كأنَّـــه البـــدرُ لـــم يُطبَـــعْ علـــى الكـــذبِ
بـــدَالَنَـــــا فـــاتَّبعنَـــــاه نصـــدِّقُـــه ... وكـــــذَّبُوه فكنَّـــــا أســـــعَدَ العـــــربِ

فى هـذه الأبيـات يبـيّن كعـبٌ فضـل النبى ﷺ وأنَّـه نـور يهـدى ويُخـرجُ النـاس مـن ظلماتِ الجهل والضلال ، وأنَّه لا ينطق إلا بالحقِّ ولا يقضى إلا بالعدل فمن أجابه إلى الحق الذى جاء به والعدل الذى سار عليه ، فقد نجا من الهلاك ، وهو شجاع مِقدَام فى المواقف التى ترتعد فيها الفرائس وتُوجِف فيها القلوب ، فهو لا يتخلف عن الظهور والحضور فى الوقت الذى يُرجَى حضوره فيه ، ثم يمدح قومه باتّباعهم له ﷺ.

وقد استعان كعب بالتصوير البارع فى هذه الأبيات، حيث يبدأ بتشبيه الرسول ﷺ بالشـهاب ، وقـد اختـار الشـهاب دون البـدر أو الـنجم " ؛ لأنَّ السـياق الحـربى الـذى وردت فيه الصورة اقتضى اضفاء هذه الحركة السريعة والتى يقتضيها المشهد " (4) كما أنَّه أراد أن يثبت له ﷺ هداية وإرشادًا لأصحابه وإحراقاً وإهلاكاً لأعدائه . وقد حرص كعب ابتداءً على المزج بين نور النبى ﷺ ونور الرسالة وذلك حين استعار النور للرسالة على سبيل الاستعارة التصريحية وجعلها تابعة له ﷺ " ثم يتبعه نور " فهو ليس مجرد مبلغٍ وموصل للرسالة وإنما هو بشخصه وفعله جزءٌ من هذا النور ، وما أجمل التطابق بين الهيئتين هيئة الشهاب ، وقد اتصل به نور تابع له وهيئة النبي ﷺ .

---

(1) ديوانه ص174 ،ص175 من قصيدة له يوم بدر مطلعها (2) التبب : الخسران والهلاك – الوسيط مادة " تبّ " ص 81 (3) يذمرنا : يحضنا ويدفعنا – الوسيط مادة " ذمر "
(4) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية صـ 87 .

وقد جاء بالرسالة الهادية التابعة له والتى تظهر فى سلوكه وأقواله وحركاته وسكناته فهى تابعةٌ له ، ثم يبرهن على ذلك بالبيت الثانى وذلك فى قوله " الحق منطقه والعدل سيرته " ففى الجملتين تقديم وتأخير ، وأصلهما" منطقه الحق "،" سيرته العدل " ولكنه قدم المصدر للتوكيد وإظهارا لصفات النبى ﷺ فالتعبير بالمصدر يدل على تمام الصفة ، وقد أكَّد نور الرسالة بوصف فى معناه، حيث إن من معانى النور الإضاءة ، وهو احتراسٌ جميلٌ ليدلَّ على تمام نور الرسالة وكمالها ؛ لأنَّ النور قد يكون خافتاً إذا كان مصدره ضعيفا .

وفي البيت الثالث نراه يصوِّر شجاعة النبي ﷺ عن طريق الكناية فى قوله " حين القلوب على رجف من الرعب " وهى كناية عن شدة الحرب وضراوتها ، وقد أثبت قبلها للنبى ﷺ إقداما وهمَّة فكونه ﷺ مقداما هماما فى هذا الموقف العصيب دلالة على شجاعته ﷺ ، وفى البيت الرابع يؤكِّد صفة الشجاعة التى وصف بها النبى ﷺ فى البيت الثالث بصورة تشبيهيةٍ بديعة ، حيث يشبِّه النبى ﷺ فى عدم تخلفه عن الغزوات وهدايته لأصحابه فى هذه المواقف العصبية ، وتبديد جموع أعدائه ، بالبدر لا يتخلف عن موعده أبداً ولا عن وظيفته ، فهو يسير بنظامٍ دقيق قدَّره رب العالمين وهو دائماً يظهر فيكشف الظلمات ويهدى السائرين . وهذا التشبيه من إبداعات كعب فلم أجده عند غيره ، وقد استخدم الأداة " كأن " ؛ لتأكيد التشبيه .

واحتراس كعب بقوله " عن غير معصيةٍ " احتراسٌ رائعٌ حتى لا يُظنَّ أنَّ دفع النبى ﷺ وحثَّه إياهم على القتال بسبب إباءٍ أو جبن منهم .

وقوله فى البيت الأخير " بدا لنا " مناسبٌ لتشبيهه النبى ﷺ بالبدر ، كما أنه يدلُّ على أن النبي ﷺ قد تحلّى بصفات النبوَّة حتى قبل بعثته ثم ظهرت ببعثته وذلك ؛ لأنَّ الفعل بدا يعنى" أن شيئا كان مستترا تحت شئ ثم ظهر " [1]

---

(1) الشباب والشيب فى شعر ابن الرومى ص113 رسالة ماجستير - كليه اللغة العربية - ايتاى البارود

وقد عبر كعب عن الاتِّباع بالفعل الماضى الذى يدلُّ على تحقُّق الوقوع وسرعة

الاستجابة, وعن التَّصديق بالفعل المضارع " نصدِّقه " الذى يدل دوام التصديق وتجدُّده ، والطباق بين نصدقه وكذَّبوه يوضِّح مدى المفارقة بين الحالين حال المؤمنين وحال المعاندين الجاحدين ، وفى قوله " أسعد العرب " مراعاة نظير، حيث إن السُّعود والنحس مناسبان للبدر والنجوم والشهب .

ثالثا : مدح المؤمنين

(1) المدح بالقوة والكرم :

يقول كعب بن مالك فى خبير :ـ (1) [من الطويل]

(1) ونَحـنُ وردنَـا خيبَـراً وفُروضَـه(2) بكـلِّ فتـىً عـارى الأَشـاجِع (3) مِـذوَدِ
(2) جَوادٌ لدى الغاياتِ لا واهن القُوى جـرىءٌ علـى الأعـداءِ فـى كـلِّ مشـهدِ
(3) عظـيمُ رمـادِ القِـدرِ فـى كـلِّ شـتوَةٍ ضَـرُوبٌ بنصـل (4) المَشْـرَفّيّ المهنَّـدِ
(4) يرَى القتل مدحـاً إنْ أصابَ شهـادةً مـن الله يـــرجُـوها وفـــوزاً بـأحمـدِ
(5) يـذُودُ ويحمِـى عن ذِمـارِ(3) محمَّـدٍ ويـــدفَعُ عنـــهُ باللسَـــانِ وباليَـــدِ

الكرم خلقٌ عربىٌ أصيلٌ ، كثيراً ما تغنَّى به الشعراء مفتخرين أو مادحين ، وكم من أناسٍ خلَّد الكرمُ ذكرهم ، وصفة القوة هى الأخرى من الصفات التى تناولها الشعراء فخراً ومدحاً ، وكعب فى هذه الأبيات يفتخر بقوة وكرم المحارب المسلم ، فيصور قوَّته وكرمه ، وشجاعته فى الحروب وحرصه على الشهادة فى سبيل الله دفاعاً عن النبي الأمين ﷺ وعن دين الله ، ولأنَّه يفتخر فقد عرَّف المسند إليه بالضمير افتخاراً على هؤلاء اليهود ، وقد يكو ن التعريف بالضمير للقصر ، أى قصر الورود والغزو على المسلمين لا على اليهود كما كانوا يزعمون من أنَّهم سوف يخرجون النبى والمؤمنين من المدينة فيكون من قصر القلب.

وقد سلك كعبٌ فى هذه الأبيات طريق الكناية ، ففى البيت الأوَّل كنايةٌ عن صفةٍ وهى صفة القوة فى قوله " عارى الأشاجع " وهى كناية متداولة عند كثير من الشعراء يقول حسان " (6)

بكـلِّ فتـــىً عـــارى الأشـــاجعِ لاحَـهُ قـراعَ الكمَـاةِ يرشـحُ المسـكَ والـدَّمَا

---

(1) ديوانه ص196 قصيدة رقم (15) .
(2) فروضه : فرضة النهر مشرب الماء منه - اللسان مادة(فرض) جـ11 ص161.
(3) الأشاجع : عروق ظاهر الكف وهو مغرز الأصابع جـ8 ص27 اللسان مادة(شجع).
(4) نصل / النصل حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض : اللسان مادة (نصل) جـ14 ص 274 .
(5) ذمار / ذمار الرجل كل ما يلزمك حفظه وصيانته وحمايته والدفع عنه اللسان جـ 6 ص72 مادة(ذمر)
(6) ديوانه ص 130 .

وهى كناية عن القوَّة ؛ لأنَّ الأشاجع هى أعصاب ممدودة فوق السلامى عاريةً من اللحم وعُريُها من اللحم دليلٌ على قوتها بسبب كثرة التدريب والممارسة للقتال ، ثم يكنِّي عن صفةِ الكرم بقوله " عظيم رماد القدر فى كل شتوة "، وهى أيضاً من الكنايات الشائعة ، وجاء بكلمة" عظيم "دون كثير للمبالغة فى إثبات الصفة ، وقيَّد رماد القدر بقوله " في كل شتوة " ؛ لأنَّ زمن الشتاء تقل فيه الحركة ويكثر فيه الجوع

ثم انظر كيف جمع لهذه اليد بين الكرم مع الأضياف والشدَّة على الأعداء، حيث عبَّر عن شدته على أعدائه بقوله "ضروب بنصل المشرفى المهنَّد " ، وقد عبَّر عن هذه الشدة بصيغة المبالغة " ضروب " على وزن فعول .

وفى قوله يرى القتل مدحاً "كنايةٌ عن صفةٍ هى قوة الإيمان ، فالإنسان المؤمن يقبل على الموت لتيقُّنه من عظيم ثواب الشهادة ، وقد أكَّد كعبٌ على أنَّ حرصه على الموت هو ابتغاء الشهادة من الله بقوله " إن أصاب شهادة ، وذلك ؛ لأنَّ هذا المعنى الذى عبَّر عنه كعب موجود فى كل الأمم ، فقد يندفع الإنسان إلى الموت بدافع الحمية أو العصبية الجاهلية أو النَّجدة أو الدفاع عن الأهل والعرض والمال فهو يخلِّص هذه الصفة من أى دافع آخر غير ابتغاء وجه الله ،

؛ ولذلك نجد هذا الكناية موجودة فى شعر الجاهليين والإسلاميين فى العصور المتأخرة يقول عمرو بن كلثوم "[1]

بفتيانٍ يرون القتل مجداً وشيبٍ فى الحروب مجرِبِينَا

ويقول السموأل "[2]

وإنَّا أناسٌ لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

ولاحظ وجود فعل اليقين"يرى" عند الشعراء الثلاثة مما يدل على أنَّ هذا الأمر – وهو الحرص على الشهادة عند كعب والحرص على القتل دفاعاً عن الأهل عند عمرو – إنما هو أمرٌ لا شك فيه .

---

(1) شرع المعلقات السبع للزوزنى ص175.

(2) ديوانه ط بغداد 1955 ص79.

ولاحظ تعليق كعب رؤية القتل مدحاً على اسلوب الشرط " إن أصاب شهادةً " ثمَّ انظر إلى ما توحى به كلمة أصاب من القصد والحرص والوعى ، ثم انظر إلى بلاغة تقديم لفظ الجلالة مع حرف الجر كيف أفادكون الشهادة من الله " أى شهادة من الله له بالجنة ", وفى الوقت نفسه أفاد التَّقديمُ القصرَ أى أنه يرجو الثواب من الله لا من الناس ، وهذا من كمال الإخلاص , وأحسب أن إيثارة اسم " أحمد " دون " مُحَمَّد " عند حديثه عن الفوز بالرسول ﷺ مع أن اسم مُحَمَّد ﷺ هو الشائع عندنا– نحن المسلمين – أرى فى إيثاره لأحمدَ إشعالاً لنار الحقد وتأجيجاً للغيظ فى نفوس اليهود ، لأنَّهم كانوا يستفتحون به على المشركين ويعرفونه باسم أحمد قال تعالى :

وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ (1)

فكأنَّه يحسِّرُهم على عدم اتِّباعهم له وفوز العرب بشرف النُّبوة، حيث بُعثِ فيهم ومع أن الكناية السابقة–يرى القتل مدحا– شائعة ومتداولة إلا أن النظم أعطاها دقةً ولطفاً .ولكعب بيت آخر فيه كنايةٌ قريبةٌ من هذه الكناية إلا أنَّها أقل دقةً منها، حيث يقول(2) :

وإنَّـا أنـاسٌ لا نـرى القتـل سـبةً ولا ننثـى عنـد الرمـاح المـداعس(3)

فهذه الكناية وإن كثرت فيها الوسائط فيُنتقل منها أولاً إلى أنَّهم يرونه مدحاً ثم إلى الشجاعة والإقدام ، إلا أن البيت ليس فيه من التفصيل ودقة النظم ما يرقى به إلى البيت الأول، حيث يُلاحَظ أنَّه فخرٌ محضٌ كفخر الجاهلية وشبيه به جداً بيت السموءل السابق ثم يأتى كعبٌ بالمجاز المرسل فى البيت الأخير ليؤكِّد قوة المؤمنين, وحرصهم على الدفاع عن دين الله بكل جوارِحهم وموطن المجاز هو قوله " ويدفع عنه باللسان " فإنَّ اللسان لا يدفع وإنما الذى يدفع هو الكلام والشِّعر, فعبَّر باللسان عن الكلام والشعر ؛ لأنَّ اللسان هو آلته فالعلاقة الآلية وهى"كون الشئ واسطة فى إيصال المؤثِّر إلى المتأثر " (4)

---

(1) سورة الصف الآية (6) . (2) ديوانه ص217 قصيدة رقم 31.

(3) المداعس : المدعس من الرماح ، الغليظ الشديد الذي لا ينثني ، الوجيز مادة (دعس) ص 228 .

(4) الرسالة البيانية للصبان- ص- 197 المطبعة الأميرية ط أولى 1315 هـ .

ثمَّ انظر إلى تتابع الأفعال المضارعة (يذود – يحمى – يدفع) فهى تدل على التجدُّد والاستمرار بمعنى أنَّهم مستمرُّون فى الدفاع عنه ﷺ، كما أن معانى الأفعال الثلاثة متقاربةٌ وهذا التقارب يزيد المعنى تأكيداً ؛ فاللسان واسطة فى إيصال شعر الهجاء إلى أعداء الله انظر كيف حول المجاز هذا اللسان تلك المضغة الصغيرة الضعيفة إلى سلاح يضارع اليد قوةً وبطشاً.

وبعد فيُلاحَظ فى هذه الأبيات أن كعباً عدَل عن التشبيه والاستعارة إلى الكناية والمجاز المرسل ، ولعل السبب فى ذلك هو رغبتُه فى التعريض باليهودوصفاتِهم القبيحة " فالرمزية هى أساس لموضوع الكناية وما يتصل بها من تلميح أو إشارة أو تلويح " [1] فاليهود جبناء قال تعالى

لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ [2]

وهم محبون للحياة كارهون للموت قال تعالى :

﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ (3)

وهم من أبخل الناس ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [4]

وهكذا رأينا كيف كان الساحر دقيق فى اختيار صوره مراعاه لحال المخاطبين فاختار الكناية لأنها هى اللون البيانى المناسب للمقام والذى يفى بغرضه ويحقق مآربه فالكناية " كلما كانت أتم تحقيقاً للغرض الذى من أجله سِيقَت كانت أتمَّ قوةً وأجلَّ روعةً " [5]

وهذا لايعنى أنَّ التعريض لا يتأتى بالحقيقة.

---

(1)الأصول الفنية للأدب للأستاذ عباس حسن ص106 .

(2) سورة الحشر الآية (14) . (3) سورة الجمعة الآية (7) . (4)سورة النساء الآية (37) .

(4)البلاغة التطبيقية د/ أحمد موسى ص263، 264 ط مطبعة المعرفة د.ت.

(2) مدح المؤمنين بالقوة والشجاعة

يقول حسان بن ثابت " (1) [من المتقارب]

فطـــارُوا شِـــلالاً[2] وقـــد أُفزِعُـــوا ... ورُحنَـــا إلـــيهِم كأُســـدِ الأَجَـــمْ [3]

علـــى كـــلِّ سَـــلْهَبةٍ[4]فـــى الصِّـــيا ... نِ لا تســـــتَكينُ لطـــــولِ السَّـــــأَمْ

وكـــــلٌّ كميـــــت مُطَـــــار الفـــــؤادِ ... أمـــينِ الفُصُـــوصِ كمثـــلِ الـــزَّلَمْ

عليهـــا فـــوارسُ قـــد عـــــاودوا [5] ... قِراعَ الكُمَـــاةِ [6] وضـــربِ

لُيـــوثٌ إذا غَضِبُـــوا فـى الحـــــــرو ... البُهَـــــمْ

يصوّر حسان فى هذه الأبيات قوة قومه وشجاعتهم فى الحروب فيبدأ ببيان هزيمتهم لأعدائهم وفرارهؤلاء الأعداء فى فزع وخوفٍ, فى حين أنَّ قومه يتَّصفون بالثَّبات والقوة كالأسود فهم فوق خيولهم كالأسود الغاضبة تقاتل فى قوةٍ ، وقد بدأ حسان لوحته بالاستعارة فى قوله " طاروا "، حيث استعار الطيران للسرعة الشديدة على سبيل الاستعارة التبعية .

وقد شبه قومه بالأسود فى البيت الأول والأخير من المقطوعة بجامع الشجاعة والقوة "وفرقٌ بين ما يدلُّ عليه لفظُ الشجاعة ، وما تدل عليه صورة الأسد ببطشة وإقدامه وبأسه وشدته فالمعانى التى تفيض بها : الأحداث والصور أغزر وأبين وأمكن " [8] وهذه هى ميزة الايحاء التى يمتاز بها التصوير البيانى بصفةٍ عامَّةٍ

---

(1) ديوانه ص138 قصيدة 32 من قصيدة له يمدح فيها قومه مطلعها :

أولئك قومي فإن تسألى * كرام إذا الضيف يوما ألمّ

(2) شلالاً / الشل والشلل : الطرد ... شل الَعيْرُ أُتُنه والسائق إبله / اللسان مادة(شل) جـ8 ص124 .

(3) الأجم / الأجمة الشجر الكثيف الملتف والجمع أجْمُ ، أُجُمُ ، وآجام / اللسام مادة (أجم) ط جـ1 ص61 .

(4) سلهبة / فرس سلهب وسلهبة للذكر إذا عظُم وطال ، وطالت عظامه مادة (سلهب) جـ7 ص247 / اللسان .

(5) الزلم / الجمع أزلام وهى السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها جـ7 ص52 / اللسان .

(6) الكماة / الكمىّ اللابس السلاح وقيل هو الشجاع المقدم الجرى كان عليه سلاح أو لم يكن اللسان مادة (كمى) جـ13 ص115.

(7) ينكلون / نكل الرجل عن الأمر ينكل نكولا إذا جبن عنه / اللسان 356/14 مادة (نكل) .

(8) التصوير البيانى د محمد محمد أبو موسى ص7 .

* اختلف العلماء فى أمثال هذا التشبيه هل هو استعارة أم تشبيه والأصح أنَّه تشبيه راجع " التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز د / عبد العظيم المعنى ط مكتبة وهبه ط أولى 1423هـ/2002 م.

فالتشبيه في البيت لأول غرضه بيان قوة قومه وسرعة انقضاضهم على أعدائهم كما يسرع الأسد إلى فريسته فى قوة وينقضُّ عليها فى سرعة خاطفةٍ ، والغرض من التشبيه فى البيت الأخير بيان إقدام قومه وعدم نُكوصِهم لأنَّهم شجعان مقاديم كالأسود المتعاركة وقد حذف المسند إليه الذي هو مُشبَّه ؛ لتقوية دعوى الاتحاد بين الطرفين ، وبذلك يتَّضح اختلاف وجه التشبه فى الصورة الأولى عنه فى الصورة الثانية ، وقد ساعد النظم على دقَّة التصوير فى هذه الأبيات ، فمجيئِه بالحال الثانية " ، وقد أفزِعوا " جملة فعلية مؤكدة بقد مقترنة بالواو دون " مفزوعين " – ؛ لأنَّ مجئ الحال على هذه الهيئة يؤكد فزعهم ,وجاءت الواو بين الجملتين لأنَّه أراد أن يستأنِف بها حالا ثانيةً فقد أراد أن يجمع لهم الهيئتين هيئة الطرد وهيئة الفزع .

وفى هذا البيت – الأول – هيئتان متناقضتان جمع بينهما حسَّان فى دقةٍ بالغةٍ . الهيئة الأولى هيئة أعداء قومه الذين فرُّوا فى سرعةٍ وفزعٍ, والهيئة الثانية هيئة قومه المطمئنين الثابتين كالأسود .

وقد ذكر د / سيد حنفى أن رواية " وطرنا إليهم " أجود [1] ، ولكنى أرى أن " ورحنا إليهم " هى الملائمة للتصوير فى البيت ، فقد عبَّر حسان بالفعل (رحنا) (فى جانب قومه) مقابل (طاروا) (فى جانب الأعداء) ؛ لأنَّ هناك تفاوتا فى القوة والسرعة فى الجانبين ، فالفار المفزوع يعوقه الفزع عن الجرى ويتخبط فى سيره " وذلك أنَّ الخوف كما ذكر الأطباء" يشلُّ الأعصاب ويجعل الفريسة فى حال غياب كاملٍ عن الواقع "[2] فالفأرُّ المفزوع يخيل إليه أنه لا يبرحُ مكانه أما القويُّ الآمن فإنَّه يمشى ثابتا فأدنى سرعة منه تجعله يدرك هذا المفزوع المعوق , كما يلاحظ أنه قال " إليهم " دون وراءهم ، التى يستدعيها ظاهر الكلام ، إلا أن استخدام حرف الجر " إلى " التى تدل على " انتهاء الغاية " [3] فهى تفيد أمرين الأول : أن هؤلاء المهزومين هدف وغاية لقوم حسان لن يتراجعوا دونها .

---

(1) ديوان حسان ص138 والرواية الثانية للبيت فى سيرة بن هشام جـ 4 ص 138

(2) فى رحاب البيان العربى ص105

(3) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ص104 ط دار الفكر بيروت ط أولى 1992/1412 والمقتصد فى شرح الايضاح للإمام عبد القاهر الجرجانى جـ824/2 تحقيق د / كاظم بحر المرجان ط وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة 1982

الثانى : أنَّ هؤلاء الفارّين يتخبطون فى سيرهم كأنهم فريسة مجروحة لا تلبث أن تسقط فيراقبها الأسد من بعيد حتى إذا ما سقطت ذهب إليها دون أن يُتعب نفسه جرياً وراءهاوهذا يؤيد ماذكرته سابقا من ان رواية رحنا إليهم أرجح.

أما التشبيه فى البيت الرابع من المقطوعة . فهو تشبيهٌ حذف منه المشبَّه " هم " وآداة التشبيه ووجه الشبه للمبالغة إلا أنه ذكر ما يشعر بوجه الشبه وهو قوله " لا ينكلون ولكن قدم " فهو يشبه قومه بالليوث بجامع الاقدام مبالغة فى قوتهم وشجاعتهم .

التصوير البيانى وبلاغته

فى شعر الهجاء

الهجـاء

لقد كان أكثر ما يؤرّق العربى فى الجاهلية هو أن يُهجى بقصيدة تتناقلها الألسن ، فتنتشر بين الناس حاملةً صفةً خِلقيةً أو خُلقيةً يعيَّر بها ، فالشعر بحقٍ كان يرفع أناساً ويخفض آخرين ،فلما جاء الإسلام لم يتغيَّر الوضع وظلَّ الشعر محتفظاً بسلطانه ، وظل للهجاء أثرُه كسلاح ماضٍ له أثره [1] وذلك ؛ لأنَّ " نهج الشعر الإسلامى ظلَّ كالشعر الجاهلى طريقةً ومعنىً وجزالة عبارةٍ وفخامة لفظٍ " [2]

ولذلك فإن الشعر كان سلاحاً من أمضى الأسلحة فى المعركة بين الوثنية والتوحيد وإنَّه ظل محتفظاً بكل سلطانه على وجدان العرب "[3] " واتخذت المواجهة فن الهجاء ، فى شكله المعدل ، دون إيغال فى ذكر معايبهم على نحو ما كانوا يفعلون قبل ذلك "[4]

ومع ذلك فقد وُجد بعضُ الهجاء الذى يتعرَّض للأعراض كبعض هجاء حسَّان – ولعله من الشعر الموضوع عليه لأنَّه سِبابٌ محضٌ – الأمر الذى دفع الأستاذ مُحَمَّد مُحَمَّد حسين إلى القول بأنَّ " هجاء الشعراء قد ظلَّ متمسكاً بالنَّهج القديم فى نهش الأعراض وقذف الناس "[5] إلا أن الهجاء بالأنساب والأحساب كان ضرورياً مع الهجاء بالكفر والشرك .

وقد أدَّى الهجاء دوره المنشود حق الآداء " وإذا أصاب النَّبَّال بنبله الجسوم أصاب الشاعر بكلماته النفوس ، بتخذيل الأعداء وتحميس الأولياء " [6] ، وقد تنوع الهجاء فهناك الهجاء بالسَّفه والجهل – والهجاء بالكفر – والهجاء بالحقد والغيظ – والهجاء بضعة الأصل – والهجاء باللؤم ويلاحظ أن حسَّان كان له السبق فى هذا الميدان ؛ لذلك كثرت المقطوعات التى حلَّلتها له فى الهجاء .

والآن مع تحليل أبيات الهجاء

---

(1) راجع هذا الموضوع ص(15) من هذا البحث" أثر الإسلام فى معانى الشعر" .
(2) النقد الأدبى عند العرب د/ طه أحمد إبراهيم ص90 ط دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى 1409 هـ /1989م . (3) قيم جديدة للأدب العربي د/ بنت الشاطئ جـ 59/1 ط دار المعرفة 1961م
(4) التحول الشعرى فى عصر البعثة المحمديه د / صفوت زيد ص --35 -ط التركى بطنطا
(5)الهجاء والهجاؤن فى الإسلام الأستاذ / محمد محمد حسين صـ 190 ط مكتبة الآداب 1948
(6) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك ص 395

أولا : الهجاء بالسفاهة والجهل

يقول كعب بن مالك فى يوم أحد [1] [من البسيط]

(1) سُـقتم كنانَـةَ جهـلاً مـن سـفاهَتِكم إلـى الرَّســـول فجنـــدُ اللهِ مُخـزِيهـــا
(2) أوردتُمُوها حياضَ الموتِ ضاحيةً[2] فالنـــارُ موعـــدُها والقتـــلُ لاقِيهـــا
(3) جمَّعتمُوهـا أحابِيشـاً[3] بـلا حسـبٍ أئِمـــة الكفـــرِ غـــرَّتكم طواغِيهـــا
(4) ألا اعتبَـرتـُم بخيـلِ اللهِ إذ قتلـتْ أهـلَ القَليـب[4] ومـن ألقينَـه فيهـا
(5) كـمْ من أسيـرٍ فكَـكْنـاهُ بلا ثمـنٍ وجـزّ نـاصيـةٍ كـنَّا مَوالِيـهـا

يصور كعبٌ فى هذه الأبيات سفاهة وجهل المحرِّضين والمحرَّضين على حرب الرسول ﷺ ؛ لأنهم أوردوا أنفسهم وغيرهم موارد الهلاك، وبيَّن أنَّهم لو كان لديهم أدنى عقلٍ لاعتبروا بما حدث يوم بدر ،حيث قُتِل من قُتل وأُسر من أُسر ، والتصوير فى هذه الأبيات تصويرٌ دقيقٌ اختيرت كلماتُه وصوره بدقةٍ وعنايةٍ ، وجاء بعبارات البيت معبرةً تماما عن غرضه في بيان جهلهم ، و كلمة "أحابيشاً" هنانكرة تأكيدًا على عدم انتمائهم لقبيلة ولا لوطن ؛ إمعاناً فى إثبات حقارتهم ، وقد عبّر بالحال و جاء بعدها بالمفعول لأجله " من سفاهتكم " ، مقارباً لهافى المعنى ؛ ليؤكد معنى الحال به ، كما أنَّ اختياره حرف الجر " من " الذى من معانيه التبعيض – يؤكد الغرض الذى من أجله جاء بالحال والمفعول لأجله ، وهو الدلالة على كثرة جهلهم وسفاهتم ،وكأنَّ هذه الفَعْلَة جزءٌ بسيطٌ من سفاهاتٍ غيرِ متناهيةٍ ،وعبارة " إلى الرسول " بحرف الجر " إلى " دون " اللام " توحى بأنهم لم يسوقوا من ساقوهم لحرب الرسول ﷺ وإنما ساقوهم قرابين وذبائحَ قدموهاله

---

(1) ديوانه ص 292 قصيدة رقم (71) .
(2) ضاحية / ضاحية كل شئ ناحيته البارزة / مختار الصحاح ص212 .
(3) أحابيش / جبل بأسفل مكه يقال منه سمى أحابيش قريش وذلك أن بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده محالفوا فريش وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا / اللسان مادة (حبش) جـ4ص 16 .
(4) القليب / البئر ... وقيل سميت قليب لأنه قلب ترابها ... وفى الحديث أنه وقف على قليب بدر اللسان مادة (قلب) جـ12 ص170 .

فكعبٌ يصور أولاً من دُفِعوا إلى حرب ﷺ ، وسِيقُوا إليها بالأنعام التى تُساق ، فقد بدأ الأبيات باستعارة " السوق " للدَّفع على سبيل الاستعارة التبعية ، دلالةً وإشارة

إلى الانقياد الأعمى عن غير بصيرةٍ وتفكيرٍ ، ثم ثنَّى فى البيت الثانى بالاستعارة المكنية ، ليكْمل الصورة ويؤكِّدَ المعنى الذى بدأه ، وهو الاندفاع فى جهلٍ للهلاك ، حيث صوَّر تدافعهم لملاقاة الموت على يد جند الله بالإبل تُساق وتتدافع إلى حياض الماء ، ويا لها من استعارةٍ مكنيةٍ رائعةٍ موحيةٍ ، حيث شبَّه الموت بمورد ماءٍ ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى الحياض فقد "جعل للموت حياضاً يردها الناس وكأنَّ الموت له حياضٌ يردها الناس " [1] ، وتَخَيُّل الموت مشروباً خيالٌ مثيرٌ يوحى بسهولة تحصيله على يدجند الله ، كما أنَّ كونه فى حياضٍ يبين أنه مضمون لهم فقد قصدوا الموت من الجهة التى لا يفوتهم فيها ، كما أن فيه مبالغةً فى إثبات جهلهم ، حيث خلطوا بين ما ينفعهم وما يضرهم ولم يميّزوا بين هذا وذاك ، وهذه الاستعارة سُبِق إليها كعب فقد وردت فى معلقة طَرَفة " [2] ، حيث يقول:

وإن يقذفُوا بالقذعِ عِرضَك أسقِهِمْ بكأسِ حِياضِ الموتِ قبلَ التهدُّدِ

ووردت فى اعتذارية كعب بن زهير يقول [3]

لا يقعُ الطَّعنُ إلا فى نُحُورِهم ومَا لَهم عَن حِياضِ الموتِ

ونظم الكلام عند كعب بن مالك مناسبٌ للاستعارة فالمجئ بالحياض جمعا يدلُّ على تنوُّع أسباب الموت وكثرتها ، كما أن قوله " ضاحيةً " فيه تصعيدٌ لمعنى السفاهة والجهل التى يصوّرها الشاعر فى هذه الأبيات ، فقد سِيقوا إلى الموت طائعين مع وضوح العاقبة ، فليسوا بأحسن حالاً ممن هلكوا فى بدر ، فهم كمن يساق إلى الموت نهاراً جهاراً طائعاً وهو ينظر إلى عاقبته ويراها .

---

(1) قراءة فى الأدب القديم د/ محمد محمد أبو موسى ص 89 (2) شرح المعلقات السبع ص 93.
(3)اعتذاريات الشعراء للرسول / أحمد الجدع- ص123 -ط دار الضياء عمان الأردن 2000/1421

كما أنَّ قوله أوردتموها ترشيحٌ للاستعا ـ 66 ـ أنَّ الورود مناسب للماء ، ثم يفرّع كعب من هذه الاستعارة خيالاً رائعاً ، حيث إنَّه ذكر فى بداية الشطر الثانى قوله

" فالنار موعدها " ، وكأنَّ هذا الشراب " الموت " – لا يطفئ غلةً ولايروى ظمأً بل هو على عكس جميع الأشربة – لا يروى ولا يريح – لأنَّه سيشعل فيهم النار بمجرد أن يتذوَّقوه قال تعالى :

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا (1)

وموقع الفاء [illegible] من " السببية والترتيب والتعقيب " [2] ؛ ولذلك حسُنَ تقديم دخولهم النار – " فالنار موعدها " على قوله : " والقتل لاقيها " لأنهم يرون مقاعدهم من النار قبل أن تزهق أرواحُهم كما يرى المؤمنون منزلتهم من الجنة قبل أن تخرج أرواحهم ، وكأن قوله " والقتل لاقيها " تأكيدٌ لوقوع القتل عليهم والذى أفادته الاستعارة من قبل .

ثم جاء بالبيت الثالث ليبرهن على سفاهة وجهل المسَاقين ومن ساقوهم فجهل المسَاقين لأنهم أحابيش لا يجمع بينهم سوى التعاهد على حرب الرسول ﷺ فهم أشتات فى الفكر والعقيدة جُمعوا لأمر لا شأن لهم به ، وسفاهة من ساقوهم لأنَّهم " أئمة الكفر " بمعنى أنَّهم شديدو التعصب للكفر ، فهم يندفعون للدِّفاع عن كفرهم بدون عقلٍ أو وعيٍ رغبةً فى الانتقام والثأر ، وإمعاناً فى الوصف بالجهل والسفاهة يتصاعدُ بالمعنى عن طريق الاستفهام الإنكارى التوبيخى لعدم أخذهم العبرة والعظمة مما حدث لهم ببدرٍ فالعقلاء . يتعلمون مما حدث لهم فى الماضى . وقوله " خيل الله " استعارةٌ لجند الله من المؤمنين – استعارة تصريحية أصلية – حيث شبه " الجنود "بالخيل " في السرعة والانطلاق وخفة الحركة ، ولعله آثر أن يستعير " خيل الله " لجند الله ، حتى لا يكرر ؛ فقد قال فى البيت الأول " فجند الله مخزيها " وأضاف " جند " إلى لفظ الجلالة ؛ تكريما وتشريفا ؛ وليبين أن معهم أعظم أسباب النصر وهو انتسابهم إلى الله

---

(1) سورة نوح الآية (25) .

(2) المقتصد فى شرح الايضاح للإمام عبد القاهرة الجرجانى ص- 941 -ط وزارة الثقافة " الإعلام العراقية 1982م .

ثم انظر إلى الصورة فى البيت الأخير كيف [illegible] ظلالها على بقية الأبيات فتصدير البيت بـ " كم من أسيرٍ فككناه " يدل على كثرة الأسرى وهو كنايةٌ عن امتلاكهم زمام الأمور فى هذه

الحرب مع قلة عددهم .

ولاحظ اختياره " فَكَكْنَاهُ " دون " افتديناه " أو " أطلقناه " ؛ لأنَّ " فككناه " توحى بأنَّ هؤلاء الأسرى كالأنعام المقيَّدة ، فقبل أن يطلقوها قاموا بفكها ، ثم جاء بلفظةٍ مناسبةٍ لهذه الصورة الإيحائية وهى قوله " بلا ثمنٍ " ولم يقل " بلا فداءٍ " فالذى يُؤخَذ مقابل الثَّمن هى الأنعام ، كما أن قوله " جزّ ناصيةٍ "يتمم هذه الصورة التى ذكرتُها وهى أن جعلهم أنعاماً ، والخيل ليست مجازاً مرسلاً بمعنى أنه ليس القصود بها الفرسان ؛ لأنَّ المسلمين "لم يكن معهم يوم بدر إلا فرسان " [1] وأرى أنَّ المقصود بجند الله فى البيت الأول الملائكة ، والمقصود " بخيل الله " فى البيت الرابع الجيش الإسلامى من الصحابة رضوان الله عليهم .

والدليل على ذلك أنَّه قال فى البيت " إذ قتلت أهل القليب " وفاعله خيل الله بدليل تأنيث الفعل ، ثم قال ومن ألقينه فيها ، أى ومن قلته الملائكة وألقته خيل الله فى القليب ، لأنَّه أيضاً أنَّث الفعل " ألقينه " والذين ألقوا القتلى فى القليب هم المؤمنون ، وقد قتلت الملائكة أعداداً من المشركين " فكانوا يضربون أعناق المشركين ويضربون منهم كل بنان فكان" يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل لا يدرى من قطعها " [2]

قال تعالى :

إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ (3)

---

(1) مختصر الرحيق المختوم ص 138 - صفى الدين المباركفورى ط رحمة للنشر والتوزيع الإسكندرية مصر ط أولى 2004 م

(2) المرجع السابق ص142 (3) سورة الأنفال آية (13)

وهكذا تتلاقى الصور البيانية مع 68 لتلقى بظلالٍ وإيحاءاتٍ كثيرةٍ تجعل النَّصَّ لوحةً فنيةً متناسقةَ الألوان ، ولفظة " القليب " لفظةٌ موحيةٌ ، فهى تُشعر بالانكفاء

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾

والانكباب والتعثُّر ، وهو لفظٌ ملائمٌ للأشياء المهملة التى تُلقى بغير اهتمام فتتكبكب على غير نظام قال تعالى :

(1)

وقد جاء بالفعل " ألقينه " دون " دفنَّه " المناسب للموتى ، تأكيداً على عدم الاهتمام بشأن هؤلاءِ الكفار وكأنَّهم لكفرهم صاروا جيفاً لأنعامٍ تلقى ولا تدفن .

---

(1) سورة الشعراء آية رقم 94

ثانيا : الهجاء بالكفر والغدر

يقول حسان فى يوم الخندق "[1] [من الكامل]

وكفَـــى الإلـــه المـــؤمنين قتـــالهُم ... وأثا بهـــم فى الأجـــرِ خـــيرَ ثـــوابِ
مـــن بعـــد مـــا قنطـــوا ففـــرَّج عـــنهمُ ... تنزيـــلُ نـــصِّ مليكنـــا الوهَّـــابِ
وأقـــــــرَّعين محمد وصـــــــحابِهِ ... وأذلَّ كـــــلَّ مكـــــذِّبٍ مرتَـــــابِ
مستـــشـــعرٍ للكفـــر دون ثيـــابـــه ... والكفـــر ليـــس بطـــاهـرِ الأثـــوابِ
علـــقَ الشقـــاءُ بقلبـــه فـــأرنـــه[2] ... فى الكفـــر آخـــرَ هـذه الأحقـــابِ [3]

يوضِّح حسَّان أنَّ الله سبحانه وتعالى كفى المؤمنين شرَّ الأحزاب ، وأذلَّ هؤلاء الأحزاب وردَّهم خائبين خاسرين وجاء الفرج والفرح للمؤمنين ، مبشراً بنصر الله بعدما عظُم البلاء ، ولقد قرَّت عين النبيِّ ﷺ والمؤمنين بنصر الله وخَزِىَ كل مكذِّبٍ كافرٍ عَلِقَ بِهِ الكفر ولازمه ملازمةَ ثيابه ، ويسلك حسان فى هذه الأبيات مسلك الكناية ، فيبدأ بالكناية عن قناعة النبى ﷺ وصحابته ورضاهم واطمئنانهم لنصر الله ، وذلك فى قوله " وأقرَّ عين مُحَمَّد وصحابه " " فالعين القَرِيرَة هى العين القانعة بأنْعُمِ الله ، الراضية والمطمئنة بما قسمه الله ، فيشعُّ منها الأمن والرضا والسلام " [4] وتقابلها العين الهَلِعة " وهى العين التى تدور هلعاً من شدة الخوف والرُّعب [5] يقول تعالى :

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ [6]

---

(1) ديوانه ص 120 قصيدة رقم (25) .
(2) أرانه / الرين " أن يسود القلب من الذنوب / اللسان جـ6 ص280 مادة (دين).
(3) الأحقاب / الحقب / الدهر ، والأحقاب الدهور وليس هذا مما يدل على غاية / كما يظن بعض الناس ،وإنما يدل على الغاية التوقيت ، خمسة أحقاب أو عشرة / اللسان جـ 4 ص174 مادة (حقب) .
(4) مقال فى جريدة الأهرام بعنوان " أحوال العين فى القرآن الكريم أ. د / صلاح أحمد حسن فى عددها الصادر بتاريخ 2003/3/29 م
(5) نفسه. (6) سورة الأحزاب الآية (19).

ثم يكنِى عن نسبة الكفر لهؤلاء الكين بقوله " مستشعرٌ للكفر دون ثيابه " بمعنى أن ثيابهم لا تنطوى على أجسادهم وإنما تنطوى على أجساد يحيط بها الكفر ،

والصورة معبرةأيّما تعبير عن ملازمة الكفر لهم ، خاصةً أنَّه جعلهم يشعرون بالكفر قبل أن يشعروا بثيابهم ، ثم انظر إيثارة كلمة " دون " بدلاً من كلمة " تحت " لما فيها من معنى الضَّعة والانحطاط الذى يلائم الكفر . والكناية عن نسبة أبلغ في إثبات الصفة يقول الإمام عبد القاهر " إنّهم يرومون وصف الرجل ومدحه ، وإثبات معنى من المعانى ، فيدَعون التصريح بذلك ويكنُّون عن جعلها فيه بجعلها فى شيءٍ يشتمل عليه ويتلبَّس به "[1] ثمَّ يكمل الصورة ويشفع هذه الكناية بكنايةٍ عن صفة وهى قوله " والكفر ليس بطاهر الأثواب "كناية عن النجاسة ، والكناية أبلغ من التصريح ، ثم انظر كيف عبَّر عنهم بالمصدر " الكفر " مبالغةً فى إثبات الصفة لهم وكأنَّهم لما تمادوا فى الكفر والضلال امتلأت نفوسهم كفراً ، ولعلّ اللفظة من قبيل المجاز المرسل والعلاقة الحالِّية .

فهم بمثابة المحل لهذا الأمر المعنوى وهو الكفر ، وبذلك يكون حسَّان قد صعد المعنى مبتدئا بملازمة الكفر لهم عن طريق الكناية عن نسبة الكفر لهم ، ثم أثبت للكفر نجاسة عن طريقة الكناية عن صفة ، ثم جعل البيت كلَّه كنايةً عن نجاستهم وبذلك تدرَّج حسَّان فى إثبات نجاستهم على النحو السابق .

ولذلك عطف الشطر الثانى من البيت على الأول لارتباطه به وليتم له استقصاء المعنى واستكماله ، ثم يسترسل حسان فى تأكيد المعنى السابق وهو ملازمة الكفر لهم ، وذلك عندما يشبِّه الشقاء بطفيلٍ أو شئ له تعلقٌ وتشبُّثٌ بغيرهفى قوله علق الشقاء ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التعلق وهذه الصورة تدل على التمكن والملازمة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات هذا اللازم استعارة تخيلية ، وهي قرينة المكنية .

وتأمل معي إيحاءات هذه الصورة وظلالها الرائعة ، فالشقاء انجذب إلى قلب هذا الشَّقي ، وهذا يعنى أنَّ به جاذبيةً واستعداداً للشقاء ثم إن هذا الشقاء هو الآخر نشيطٌ جذابٌ ،جذب إليه كفراً فوق كفرٍ ، حتى ران على قلبه والكلمة التى أوحت بهذه الصورة هي كلمة " أرانه " فالأشياء تنجذب إلى أشباهها .

---

(1) دلائل الإعجاز ص 306 .

والشاعر أرانا في هذه الأبيات 71 سلل الكفر إلى هذا القلب المظلم حتى طمس عليه فازداد ظلمةً وسواداً يكفيه أحقاباً ، ونكاد نبصر تلك الحركات الواعية

المتتابعة من الشقاء والكفر من الخارج إلى الداخل في هذا المشهد الخيالي الرائع ، والذي أضفى عليه الحياة والحركة هو " الاستعارة المكنية " ، ويلاحظ أنّ حسّان بدأ حديثه عن هؤلاء الكفَّار بقوله " وأذلَّ كل مكذِّب مرتاب " ليعمهم جميعا بالحكم بكلمة "كل " التي تفيد الإحاطة والشمول ، وليثنى له أن يبنى الأبيات بعد هذا البيت على إفراد المخاطب ليثبت هذه الهيئة لهم جميعا فرداً فرداً .كما يلاحظ قوة الأثر القرآني في هذه الأبيات،فالبيت الأول فيه اقتباس من الآية الكريمة

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ (1)

وانظر إلى كلمة "أرانه" تلك اللفظة القرآنية التي وردت فى قوله تعالى :

كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ (2)

كيف كان لها مزيدُ فضلٍ وإيحاءٌ بالتراكم حتى الامتلاء .

---

(1) سورة الأحزاب الآية (25) .

(2) سورة المطففين الآية (14) .

وفى الهجاء بالكفر أيضا

يقول كعب بن مالك [1][من الوافر] يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

(1) فمـــنْ يتبعْـــه يُهـــدَ لكـــلِّ رُشـــدٍ ومـــنْ يكفـــرْ بـــه يُجـــزَ الكفُـــورُ
(2) فلمَّـــا أُشـــرِبوا غـــدراً وكفـــراً وحـــادَ بهـــم عـــن الحـــقِّ النفـــورُ
(3) أرَى الله النَّبـــيَّ بـــرأيِ صِـــدقٍ وكـــانَ الله يحكـــمُ لا يجـــورُ

يبيّن كعبٌ فى هذه الأبيات جزاء من يتَّبع النبي ﷺ وعاقبة من يكفر ، ويبين عاقبة هؤلاء اليهود لما تمادَوا فى كفرهم وغدرهم ، وقد صوَّر كعب امتلاء هؤلاء اليهود بالغدر والكفر بالاستعارة فى قوله " أُشرِبوا " فقد شبَّه قلوبهم – وقد امتلأت بالحقد والغدر الناتج عن توالى تكذيبهم بالنبى ﷺ والمكرله – بمن يُسقَى شراباً ، على سبيل الاستعارة المكنية ، ومعلومٌ أنَّ المقصود بأُشربوا غدراً وكفراً أنَّ قلوبهم مُلئَت غدراً وكفراً ؛ لأنَّ القلوب هى ، موطن هذه الصفات المعنوية ؛ ولذلك كنَّى عنها كثير من الشعراء " بمجامع الأضغان " يقول عمرو بن معد يكرب [2]

الضَّـــاربين بكـــلِّ أبـــيض مخـــذَمٍ الطَّـــاعنين مجـــامِعَ الأضـــغانِ

ونظم البيت عند كعب يحمل الكثير من الظلال والإيحاءات التى تكمِّل الصورة فبناء الفعل للمجهول " أُشربوا " فيه إيحاء بالتكلُّف فى مخالفة الحقِّ ، كما أن فيه إيحاءً بسلب الإرادة كما أنَّ عدم تحديد الفاعل يدلُّ على كثرة موارد الحقد والكفر وانظر إلى روعة المجاز العقلى فى إسناد الفعل حاد إلى " النفور " مع أنَّه ليس الفاعل الحقيقي وإنما هو سبب والفاعل الحقيقيُّ هو الإنسان ، وفى إسناد الفعل إلى النفور دلالة على سلب إرادتهم ، حيث يدفعهم النفور دونما وعى إلى أن يحيدوا عن الجادة وتتمثل بلاغة المجاز العقلى فى أنه " يشيد بقوة الملابسات " [3] وهذا يدل على قوَّة تأثير السبب فيهم وسيطرته عليهم وفى هذا المجاز وأشباهه تتحقَّق " المبالغة فى تدخُّل المسند إليه المجازى فى تحقُّق المسند وتخيُّل أن الفعل واقع من غير فاعله وفى هذا متعة وتحقيق للغرض "[4]

---

(1) ديوانه ص 203 قصيدة رقم (20)
(2) ديوانه ص174 تحقيق / مطاع الطرابيشى ط مكتبه دار البيان دمشق سوريا 1414هـ/1994 م
(3) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلى د/ بسيونى فيود ص 124 ط أولى مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة 1413هـ/1993 م(4) علم المعانى أ.د / صباح دراز ص107 ط التركى - طنطا 1997 م.

والمتكلم عندما يأتى بالمجاز العقلى فى كلامه لا يرى للفعل فاعلاً غير الذى أثبته على سبيل المبالغة " والذين قالوا بردِّ كلِّ مجازٍ إلى حقيقته تعسَّفوا التأويل وتنكَّبوا طريق التقدير ووقفت أمامهم فى بعض الأمثلة عقابيل أفضت بهم إلى تكلُّف واعتساف " [3]

ثُمَّ انظر إلى البيت الثالث كيف يؤكِّد لنا مضمون البيت الأول وهو اهتداء من يتَّبع النبى ﷺ فكأن هذا البيت تعليل للبيت الأول ، فالنبىُّ ﷺ متَّصل بربه ، يطلعه على ما غاب عن البشر لذلك فإنَّه يهدى من يتَّبعه ، ومن يخالفه يهلك بسبب كفره ، ولاحظ قيمة الجناس التام المستوفى * بين " أرى – رأى " كيف أشعرنا بأن رأى النبى ﷺ جزءٌ نابعٌ وصادرٌ عن ربِّ العزةِ سبحانه ، ثمَّ انظر إلى موقع " كان " ودلالتها على أزليَّة عدل الله سبحانه وتعالى ، كما أنَّ المضارع المنفى " لا يجور " يدل على أبديَّة عدل الله سبحانه وتعالى ، فما أجمل هذا التداخل الزمنى بين الأزل والأبد والذى عبر كعب بطريقة رائعة ، يمكن أن نطلق عليها مقابلة على درجة عالية من الكفاءة فى استخدام الأفعال والألفاظ.

---

* الجناس التام المستوفى : وهو ما إذا كان اللفظان المتجانسان الجناس التام من نوعين من أنواع الكلمة بأن يكون طرفاه " اسما وفعلا " أو " اسما وحرفا " أو " فعلا وحرفا " – مباحث في وجوه تحسين الكلام أ . د / رفعت السوداني ص 194 ط الأمانة ط أولى 1411 هـ 1991 م

(3) من أساليب القرآن المجاز العقلى أ.د / عبد الرزاق فضل ص25 ط التركى - طنطا 1996

ثالثا : الهجاء بالحقد والغيظ

يقول حسان [1][من الطويل]

وقــوم مــن البغضــاءِ زورٍ [2] كأنَّمــا ... بــأجوافِهم ممــاتَحِنُّ[3]لنــا الجمــرُ

يجــيشُ[4]بمــا فيهــا لنــا الغلــيُ مثلمــا ... يجيشُ بما فيه من اللــهــبِ القــدرُ

تصُــدُّ إذا مَــا واجهتنــى خــدودُهم ... لــدى محفِــلٍ عنِّــى كــأنَّهم صُــعرُ[5]

يصوِّر حسَّان الغلَّ والحقد المتراكم فى صدور أعدائه له ، بالماء الذى يتحرَّك ويضطرب فى القدر عند غليانه ، وهذا الحقد الباطن لا يستطيعون إخفاءه فهو يظهر فى صدودهم وإعراضهم بوجوههم عنه ، وقد صوَّر حسَّان هذه الهيئة تصويراً دقيقاً ، حيث شبَّه القوم وقدامتلأت صدورهم بالأحقاد والأضغان بالطيور التى زَوِرَت من كثرة الطعام ثم حَذَف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو قوله "زورٍ" وهذه الاستعارة فيها خيال رائعٌ لا يقف عند حد التعبير عن الامتلاء/ والمبالغة فى تصويره فحسب ، بل أرى أنَّه اختار هذه الاستعارة خاصَّة لما بين هيئة الحاقد المتكبِّر وهيئة الطائر الذى أكل حتى الشبع من تقاربٍ كبير ، فالطائر إذا أكل وشبع ، فإنَّه يقف على الأغصان منتفش الريش ، والمتكبِّر الحاقد هو الأخر يمشى منتفشاً متعاليًا متعاظِمًا منتفخ الأوداج ، فيالها من إيحاءاتٍ وظلالٍ رائعة .

---

(1) ديوانه ص 267 قصيدة رقم (159) .

(2) زوره / زوَّر الطائر تزويراً إذا ارتفعت حوصلته ، زوَّر الطائر امتلأت حو صلته / اللسان جـ7 ص78 مادة (زور) .

(3) تحن / الإحنه الحقد وجمعها (إحَن) مختار الصحاح ص15.

(4) يجيش / جاشت القدر إذا بدأت أن تغلى ولم تغل بعد / اللسان 251/2 مادة (جيش) .

(5) صعر / الصعر : الميل فى الخد خاصَّة .. الصعر داء يأخذ البعير فيلوى عنقه ويميله / اللسان 240/8 مادة (صعر) .

ثمَّ يستقصى المعانى ويستكملُ الصورة بتشبيه الحقد المستكنّ فى صدورهم بالجمر ، واختياره الجمر دون النار ؛ لأنَّ الجمر غالبا ما يكون مستتراً تحت الرماد وهو مناسب للحقد المستتر فى قلوبهم كما أن الجمر هو خلاصة النار ، ثم انظر إلى وجوه هؤلاء المُبغِضِين الحاقدين ، تبدو محمرَّة من الغيظ وكأن ما فى صدورهم جمر لا حقد ، وهكذا يقع حسان على أقرب مشبَّه به ، وأحسن التشبيه " هو ما وقع بين الشيئين ، اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها "(1)

ثم يفرّع من هذا التشبيه تشبيها آخر استكمالا للصورة ، حيث يشبِّه هذا الحقد والغيظ المستتر والذى يتردَّد فى صدورهم لعدم قدرتهم على إظهاره بالماء الذى يضطرب بالقدر عندما يقترب من الغليان أو يغلى بالفعل وانظر إلى التناسب بين الجمر " الحقد " واللهب, ثم يشبِّههم ، وقد صدُّوا وجوههم عنه وأعرضوا بالصُّعر ، وهو متأثرٌ فى هذه الصورة بقوله تعالى:

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ (2)

فحسَّان اقتبس من الآية الصورة والألفاظ ولكنَّه نقلها من الاستعارة إلى التشبيه ، تشبيهم بالصُّعر فيه إهانة وازدراء وذلك ؛ لأنَّ التَّصعيرَ داءٌ يصيب النوق فهو يشبِّههم – متأثراً بالصورة القرآنية – بحيوان أنثى معيب ، وقد أعان السياق على إبراز الصورة وانظر إلى بلاغة المجاز العقلى فى إسناد الصد إلى خدودهم ، واستعمال الخدود مجازاً عن الوجوه لعلاقة الجزئية ، انظر كيف يرينا المجاز هذه الحركة الآلية من الخدود وكأنها فاعلة الصد والإعراض من تلقاء نفسها وكأنهم تشبعوا بكراهيتهم له وانتقلت إلى كل جزء من أجزائهم ثم انظر إلى هذا المشهد العجيب الرائع الذى يصوِّره حسَّان والذى أوحت به صيغة الجمع " خدودهم – صُعرٌ" ، كيف جعلهم متشابهين فى هيئتهم لتشابه قلوبهم .

---

(1) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ص109 تحقيق كمال مصطفى ط الخانجى القاهرة د.ت.
(2) سورة لقمان آية (18).

ثم انظر إلى ما توحى به صيغةُ الجمع من هذه الحركة الجماعية العجيبة التى يقوم بها هؤلاء الحاقدون فى وقت واحدٍ وفى مكان واحدٍ ! لكأنهم صُعرٌ حقيقة لتعذر الاتفاق على تنفيذ هذه الهيئة بهذه الطريقة ؛ ولذلك استخدم حسان أداة التشبيه كأن التى تؤكد الشبه بين الهيئتين ، وقد أسهم النظم فى رسم مشاهد هذه الصور الرائعة ؛ ففى استخدام الباء فى قوله " بأجوافهم " دلالة على التمكن والاستقرار والالتصاق ، ثم لاحظ تلاؤم الظلال الصوتية فكما أن للقدور التى شبَّه صدورهم بها صوتاً وأزيزاً ، فصدور هؤلاء الحاقدين تضطَّرب حقيقةً أحياناً ، يظهرُ اضطرابُها فى زفراتِ الحقد والغيظ التى تخرج من حناجرهم وتتردَّد فى صدورهم ، وللجِمَال أيضاً صوتٌ مضطرب متقطّع تصدره أحيانا ، ولاحظ التناسب بين " الجمر " والمقابل للحقد فى نفوسهم وبين اللهب الذى تغلى به القدر . فكلاهما سبب فى الغليان ، وبذلك يكون اختيار عناصر الصورة – التى تبرزها وتوضحها تمام الإيضاح – هو اختيار واعٍ لا يأتى بمحض المصادفة ، وفيه رد على من يقول " بأنَّ شعراء المسلمين ومنهم حسَّانَ لم يستطيعوا أن يصوغوا المعانى الإسلامية فى شعرهم إلا بطريقةٍ فاسدةٍ متكلفةٍ قوامها نقل الآيات ونظمُها نظماً فاسداً " (1)

وما أجمل تقديم المسند (الجار والمجرور) " بما فيها لنا " " بما فيه من اللهب " ، حيث يوحى تقديم المسند فى الأول " يجيش بما فيها لنا الغلى " يوحى التقديم بذاتية الاشتعال فالاشتعال وسبب الغليان ليس ناراً خارجية وليس م ، وقداً مسلطاً على صدورهم ، وإنَّما هى نارٌ داخلية ,نار الحسد والحقد تمُوج وتضطرب فى صدورهم فالباء فى " بما فيها " أرى أنها للسببية ، ويوحى تقديم المسند فى الجملة الثَّانية " يجيش بما فيه من اللهب القدر " بانتقال الحركة والاضراب من المظروف إلى الظرف فكأنَّ هذا الإناء " المشبه به " والذى يغلى فيه الماء كأنه انتقلت إليه تلك الحركة المضطر به ،
فجعلت تهزُّه هو الآخر وتجعله يتأرجح على الموقد ، وهى صورة نراها فى الأوانى التى تغلى إذا لم تكن على قاعدة مستوية ، والباء هنا مع " ما " الموصولة أفادتنا عموم الحركة وشمولها للظرف والمظروف .

---

(1) الهجاء والهجاؤن فى الجاهلية الأستاذ / محمد محمد حسين ص7 ط مكتبة الآداب

وهكذا يمكن أن ننقل هذه الظلال إلى المشبَّه ، فنقول : إنَّ غليان باطنهم ينتقل إلى ظاهرهم ، حيث يتخبَّطُون فى أقوالهم وأفعالهم ؛ لأنَّهم على أرضٍ غير ثابتةٍ فهم مزعزعو العقيدة قال تعالى :

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ (1)

---

(1) سورة إبراهيم آية 27

رابعا : الهجاء بضِعَةِ الأصل

قال حسان يهجو بنى سهم وعمرو بن العاص "[1] [من البسيط]

لاطَت[2] قريشٌ حِياضَ المجد فافترَطَت ... سهمٌ فأصبح منه حوضُها صَفرا [3]

وأُورِدُوا وحياضُ المجدِ طاميةً[4] ... فدلَّ حوضُهم الوُرَّاد فانهدرا[5]

يهجو حسَّان بنى سهم بضعة الأصل بسبب تفريطهم فى رعاية مجدهم حتى ضاع تماماً ، وقد صوَّر حسَّان فى هذه الأبيات المجد بالماء على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث شبَّه المجد بالماء بجامع سهولة ضياعه ، وتكدِيره واحتياجه إلى حَيطةٍ فى حفظه ثمَّ حذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهى الحياض، وفى تصوير المجد بالماء خيالٌ حسنٌ ،وذلك لِمَا بين المستعار والمستعار له من التقارب فحسن الاستعارة "يكون بمقدار ما بين المشبه والمشبه به من التقارب والتماثل وتصوُّر الجمع بينهما فى الذهن " [6] فالماء إذا لم يُرع ويحفظ فى إناءٍ مُحكَم فإنَّه ينهدر ، وإذا سال وانهدر فإنَّه لا يمكن جمعُه ثانيةً ، وإنْ جُمِعَ وأُعِيدَ إلى إنائِه فإنَّه يكون قد تعكَّر ، وهكذا المجد إذا لم يُحفظ من أن يُدنَّس بأىِّ فعلٍ قبيحٍ ، فإنَّه يضيع ولا يُتخلَّص ممَّا عَلِقَ به من نقصٍ وعارٍ ،لأن أى إساءة من أى فرد من أفراد القبيلة يتحملونها جميعا وتنقص من أقدارهم ، وأيضاً من وجوه الشَّبه بين المستعار له والمستعار أن الماء والمجد لا يُستغنَى عنهما ، فالماء هو الحياة ، وكذلك المجد ، إذ أن الحياة لا قيمة لها إذا عاش الإنسان حقيراً ذليلاً بين الناس .

---

(1) ديوانه ص 342 قصيدة رقم (235) .

(2) لاطت / لاط الحوض بالطين لوطاً : طيَّنة / اللسان 253/13 مادة (لوط) .

(3) صفراً:الصُّفر،الصِّفر ، الصَّفر : الشئ الخالى ... أصفر الرجل ... افتقر / اللسان 250/8 مادة(صفر) .

(4) طامية / طما الماء يطمو طموا : ارتفع وعلا وملأ النهر 148/9 اللسان مادة (طما) .

(5) انهدرا / الهدر : ما يبطل من دم وغيره ، ذهب دم فلان هدراً وهدراً بالتحريك أى باطلاً ليس فيه قود ولا عقل ولم يدرك بثأره / اللسان 36/15 مادة (هدر) .

(6) الخصومات البلاغية والنقدية فى صنعة أبى تمام ص 25 د عبد الفتاح لاشين ط دار المعارف د.ت .

وهكذا نرى دقَّة اختيار الصورة وعناصرها عن حسَّان ، ونرى امتزاجاً واضحاً بين المستعارله والمستعار منه ، وهذا من علامات جودة الاستعارة " فالاستعارة الجيدة هى ما اشتدَّ الامتزاج والتناسب بين المستعار له والمستعار منه . "[1] ، وقد رُشِّحت هذه الاستعارة المكنيَّة بالاستعارة التَّبعية فى صدر البيت " لاطت " ، حيث شبَّه الحفاظ على المجد ، بتطيِين حياض الماء وكلتا الاستعارتين مرشحة للأخرى ، ثم يصور حسَّان ويبين جهل وحمق وسفاهة هؤلاء القوم فى البيت الثانى ، ، حيث استعار " الورود " للتفاخر بالمجد والأحساب " بجامع أن كلاً منهما نيلٌ وتحصيلٌ لشئ مرغوبٍ فيه فهو يصوِّر بهذه الاستعارة تفاخرهم واستعلاءهم على غيرهم مع وجود الهنات والعيوب فيهم ، فأصبحوا هدفا سهلاً لمن يتفاخر عليهم ويهجوهم ، فلم يجدوا ما يفتخرون به لأنَّهم لم يحفظوا لهم مجداً ، وهكذا نجد الجمال والدِّقة فى الاستعارة خاصةً وأنَّ الاستعارات فى البيتين ترشح كل منها أختها .

ثم جاء فى البيت الثانى باستعارة تمثيلية رائعة فى قوله " فدلّ حوضهم الورّاد فاهدرا " والتى استعارها لظهور الهنات والعيوب فيهم ، فدلت من يهجوهم على بغيته ، وقد أعان النظم على إظهار المعانى وتجلية الصورة فقوله " فافترطت " يدل على التساهل والتفريط كما أن اللفظة توحى بالانفراط والتبعثر ، والضياع ، ثم انظر إلى صيغة المبالغة " الورّاد " كيف تدل على كثرة من يهجوهم وتداعي القاصى والدانى عليهم.

كما أن قوله " فأصبح " يوحى بالمفاجأة وكأن هذا الأمر حدث ليلاً وهم فى غفلة عنه ففوجئوا به صباحاً وهذا هو حال من يتوانى عن رعاية مجده حتى يضيع منه تدريجيا وهو لا يشعر

---

(1) الأكسير فى علم التفسير ص 113 للطوفى البغدادى-تحقيق د/عبدالقادر حسين –ط-المطيعة النموذجية 1977(بتصرف يسير)

وجملة الحال الإسمية فى قوله " وحياض المجد طاميةً " تدل على ثبوت معناها ودوامة ، كما ألمح فيها معنى المفارقة والتعجب فهى تحمل تعجب الشاعر من هذا التناقض من علمهم بضعتهم وتعرضهم للتفاخر على الناس وهجائهم فعجب لمن يعيب الناس وكله عيوب .

خامسا : الهجاء باللؤم

يقول حسان [1][من الكامل]

اللـــؤم خيـــرٌ مـــن ثقيـــفٍ كلّهـــا حســـباً ومـــا يفعـــلْ لَّئـــيمٌ تفعـــلِ
وبَنَـى المليـكُ مـن المخـازِى فـوقهم بيتـــاً أقـــامَ علـــيهم لـــم يُنْقَـــلِ
إنْ هـم أقـاموا حـلَّ فـوق رقـابِهم أبـــــداً وإن يتحوَّلـــــوا يتحـــــولِ

يهجو حسَّان هؤلاء القوم باللؤم ، بل إنَّ اللؤم خيرٌ منهم ، فاللؤم ملازم لهم أينما كانوا ، وقد عمد حسَّان إلى الكناية عن نسبة الخزى إليهم وذلك بتخيُّل الخزى بيتاً بناه الله عليهم يتحوَّل معهم أينما كانوا مبالغةً فى إثبات اللؤم والعار لهم ، وهذه الطريقة يلجأ إليها حسَّان فى شعره فى أكثر من موضع : أقصد تخيُّل المجد أو اللؤم أو الغدر بيتاً بُنى على من يمدحهم أو يهجوهم ، فهو يقول فى إحدى قصائده [2]

ألـمْ تـرَ أنَّ الغـدر واللـؤم والخنـا بنـى بيتـاً بـين المعـين إلـى عُـرَد

ويقول فى الفخر [3]

بنـــى العـــزُّ بيتـــاً فاســـتقرَّت عمـــادُه علينـــا وأعيـــا النَّـــاس أن يتحـــوَّلا

وقد أثبت حسَّان دوام هذه الصفة وعدم مفارقتها لهم بالبيت الثالث فهذا البيت المتخيَّل ينتقل معهم فى كل مكانٍ ، ولك أن تتخيل هذا البيت الذى بُنى عليهم لا بالطين أو الطوب ولكن بالمخازى ، وما فيه من المبالغة فى إثبات الصفة ، وهذا هو الشعر " يُخرج الأشياء عن حقيقتها والطبائع عن أصولها ، ولا بد فيه من المبالغة وإلاما حرَّك الحواس وهيَّج العواطف ". [4]

---

(1) ديوانه ص 348 قصيدة رقم (241) .
(2) ديوانه ص 304 قصيدةرقم 204 .
(3) ديوانه ص 274 .
(4) الصور البيانية د / حنفى شرف ص 74.

" ومن هنا كانت الصورة دائما غير واقعية ، وإن كانت منتزعة من الواقع ؛ لأنَّ الصورة تركيبةٌ عقليةٌ تنتمى فى جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها لعالم الواقع " [1] وفى قوله " فوق رقابهم " مجاز مرسل علاقته الجزئية ، حيث عبَّر بالرقاب عن أصحابها والأصل " فوقهم " ، وما من شك أنَّ هذه الصورة المجازية لها إيحاءات تسهم فى تحقيق غرض حسان من المبالغة فى هجائهم " فالاستعمال المجازى يلقى على الصورة ظلالاً وألوانا شتى ، حتى يجعلها تكاد تنطق بما شحنها به الأديب من إيحاءات وعواطف " [2] فحلول اللؤم فوق رقابهم يوحى بالذِّلة المضروبة عليهم ويوحى أيضاً بالخنوع والخضوع وكأنَّهم عبيد مطوَّقون من رقابهم لا بأطواقٍ ماديةٍ وإنما بأطواقٍ من اللؤم والخزى ، وذلك ؛ لأنَّ اللؤم يؤدى بصاحبه إلى الذلة ، كما أنَّه يوحى بالإنحناء الذى يشعر بالدونية وهى صفة من صفات اللئيم ، فإنَّه غالباً ما ينحنى لغيره خاضعاً بسببٍ وبغير سببٍ لأنَّه فقد العزَّة وألف الذل وانظر إلى قوله " حلّ " وما فى الفعل من ثقلٍ بسبب التضعيف وما له من ايحاء بالضغط على هذه الأعناق ليحنيها إلى أسفل ثم يؤكد ملازمة هذه الصفة لهم بقوله أبداً .

---

(1) التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل ص 65، 66 ط دار العودة بيروت

(2) الصور البيانية د / حفنى شرف ص 220

التصوير البيانى وبلاغته

فى شعر الوصف

الوصف

" الوصف من أهمِّ ما يعنى به الشعراء " [1] ؛ لذلك فقد كثُر شعر الوصف فى كل زمانٍ ، حتى يمكن أن يقال أنَّه يدخل فى كثير من الأغراض الأخرى ، وقد كثر شعر الوصف عند شعراء الرَّسول ﷺ ولكنَّ موضوعه ومجالاته تغيرت واختلفت قليلاً عنه فى العصر الجاهلى ، فمِن وصف الطبيعة الأرضيَّة والسماويَّة ووصف وبكاء الأطلال إلى وصف أرض وسماء المعركة ، وما تخلِّفه من أطلال بشرية ، ومن تشبيه عيون العذارى بعيون المها إلى تشبيه مسامير الدروع بعيون الجراد .

وكما كثُرت فنون الوصف وتعدَّدت فى العصر الجاهلى ، نجده بنفس الكثرة فى الشعر الإسلامى ولكنَّ الإسلام غيَّر من ملامحه ، حيث حذف بعض المشاهد أو قلل منها بدرجةٍ كبيرةٍ ، فيلاحظ أن مشاهد الغزل انحسرت حتى يمكن أن نقول أنَّها جاءت عَرَضاً فى بيتين أو ثلاثةٍ عند بعض الشعراء حفاظاً على التقاليد الشعرية الموروثة ونفس الشئ حدث مع مشاهد أخرى كان يغلب عليها طابع الوصف كبكاء الأطلال ووصف النَّاقة وبالرغم من قلة تعرُّض الشعراء إلى هذه الأغراض ، نجد شاعراً مثل كعب بن مالك يعيب من يبدأ شعره الإسلامى بالوقوف على الأطلال ،حيث يقول "[2]

يـا لَلرجـالِ لأمرٍ هـاج لـى حزَنَـا لقـد عجبـتُ لمـن يبكـى علـى

ولعلَّه يعيب على من يبدأُ رثاءه بالوقوف على الأطلال وذِكر الأحبة الأمر الذى يجعله متناقض العاطفة وكما حُذفَت بعضُ المشاهد الوصفيَّة من الشعر فى صدر الإسلام ، نجد أنَّ الإسلام قد زوَّد الشعر ببعض المشاهد الجديدة ، كوصف هداية الرسالة .
الإسلامية ووصف الجنَّة والنار ، والعذاب والنَّعيم وغيرها من المعاني الإسلامية التى تناولها الشعراء بالوصف

---

(1) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك ص 123.
(2) ديوان كعب ص 282 قصيدة 65 فى رثاء عثمان رضى الله عنه .

أولا : وصف أدوات القتال

1- وصف الخيل .

2- وصف السيوف .

3- وصف الدروع .

4- وصف الرماح .

(1) وصف الخيل

يقول كعب بن مالك يوم الخندق " (1) [من الوافر]

نصـــبِّحكم بكـــلِّ أخـــى حـــروبٍ ... وكـــلِّ مطهَّـــمٍ(2) ســـلس ِالقيـــادِ
وكـــلِّ طِمِـــرَّةٍ (3) خَفْـــقٍ حشـــاها ... تـــذُفُّ (4) ذفيـــفَ صـــفراءِ الجـــرادِ
وكـــــلِّ مقلَّـــــص الآراب ِ(5) نَهِـــــدٍ ... تمِـيمِ الخلـقِ مـن أُخـرٍ وهـادِى (6)
خيـــــولٌ لا تُضَـــــاعُ إذا أُضِـــــيعَتْ ... خيـولُ النَّـاسِ فـى السَّـنةِ الجمـادِ
ينَـــازِعنَ الأعنَّـــة مُصـــغِياتٍ (7) ... إذا نـــادى إلـــى الفـــزعِ المُنـــادِى

فى هذه الأبيات يصف كعبٌ خيول الحرب ، فيقول عنها : إنَّها منقادةٌ خفيفة الوزن عن غير ضعفٍ ،سريعةٌ ، تامَّة البنيان ، تطعم أفضل الطعام حتى فى سنى القحط والجدب ، لذلك تجدها قوية تنازع أعنَّتها إذا نادى المنادى للحرب لأنَّها ألِفت خوض الحروب ، ويبدأ كعب الأبيات بوصف المحاربين ، حيث كنَى عن نسبة الخبرة فى الحروب لهم حيث خبروا مسالكها ودروبها وشعابها ، وخبروا فنونها وكيفيَّة توجيه أحداثها والتحكُّم فيها – كنَى عن نسبة هذه الصفات إليهم ، بإثبات أُخوَّتهم للحرب وهى كنايةٌ عن نسبة .

---

(1) ديوانه ص193، 194 قصيدة رقم (14) .
(2) مطهّم / الخيل المطهمة : المقربة المكرمة : وقيل المطهم : الناعم الحسن / اللسان 154/9 مادة (طهّم)
(3) طمرة / الطمَّرة : الفرس الجواد وقيل المشمَّر الخلق ، وقيل هو الطويل القوائم الخفيف ، وقيل المستعد للعدو ، والأنثى طمرَّة / اللسان 144/9 مادة (طمر).
(4) تذفُّ / ذفَّ الطائر ذفاً وذفيفاً وذُفافة : أسرع- الوجيز مادة (ذفّ) ص 245 .
(5) الآراب / قطع اللحم ، والعضو الموقَّر الكامل الذى لم ينقص منه شئ 82/1 مادة أرب (اللسان) .
(6) هادى / الهادى . العنق لتقدمه . اللسان 43/15 مادة (هدى).
(7) مصغيات / صغا صغوا مال ويقال صغت الشمس والنجوم مالت للغروب - الوسيط 515مادة(صغى).

وقد اعتاد كعب تصوير خبرة قومه فى الحروب بمثل هذه الكناية بحيث يجعلهم أبناء للحرب أو إخوة لها يقول كعب [1]

إنّا بنو الحربِ نُمريهَا ونُنتجُها وعندنا لذوِى الأضغانِ تنكيلُ

وفى موضع آخر يقول [2]

بنو الحربِ لا نعيَا بشىءٍ نقولُه ولا نحنُ ممَّا جرتِ الحربُ نجزعْ

" وكعب إذا أعجب بطرافة معنى من المعانى كرَّره أكثر من مرة" [3] واختيار كعب الفعل " نصبِّحكم " يدلُّ على فقهه وفهمه وتدبُّره لآيات القرآن الكريم فألمح هنا اقتباساً من قوله تعالى : وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ (4)

وفى اختيار وقت الصباح فى البيت أكثر من إيحاء فلعلَّه أراد أنَّهم يحقِّقُون المفاجأة لأعدائهم حين يهجمون عليهم مبكرين ، ولا يزال أعداؤهم نياماً كسالى ، كما يوحى أيضا بتشبيه المؤمنين بالملائكة التى توزِّع الأرزاق بأمر ربها فى البكور ، وفى هذه الحالة يكون قوله " نصبحكم بكل أخى حروب " استعارة تمثيلية تهكمية فكأن هؤلاء الأبطال الشجعان بما يحملون من موتٍ لأعدائهم رزق مُساق لهؤلاء الكفرة .

وكذلك لو كان غرضُه أن يشبِّههم بما يحملون من كؤوس المنايا بمن يصبحهم بكؤوس خمرٍ ثم ينتقل إلى تصوير قوة هذه الخيل فيبدأ بقوله " سلس القياد " وهى كناية عن صفة النَّجابة والأصل, وتعودها الانطلاق بالفرسان إلى الحروب ، ثم يشبه الحركة الخفيفة لهذه الخيل النَّجيبة بحركة صفراء الجراد الخفيفة فى قوله " تذفُّ ذفيف صفراء الجراد " " والتشبيه صوره من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية " [5] ، حيث حذف المشبه " المفعول المطلق – (ذفيفاً) والآداة (الكاف) ووجه الشبه والتقدير " تذفُّ ذفيفاً كذفيف صفراء الجراد فى السرعة ، ومما لا شك فيه أنَّ الحذف أبلغ ؛ لأنَّ فيه إيجازاً ، ولأنَّ ذكر الآداة والمشبَّه والوجه تطويل بغير داعٍ .

---

(1) ديوانه ص256 قصيدة (50) . (2)ديوانه ص228 قصيدة (33) .
(3) ديوانة ص 140. (4) سورة القمر آية (38).
(5) علم البيان أ.د/ رفعت إسماعيل السودانى ص 27 .

وقد لاحظت أنَّ هذا الضرب من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية كثيراً ما يأتى فى تصوير الحركات يقول تعالى :

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ (1)

ويقول تعالى " يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ (2)

ولعل السرَّ فكثرة مجئ هذا النَّوع من التشبيه فى تصوير الحركات أنَّ توالى الأحرف المتشابهة فى الفعل والمصدر وتوالى الحركات يوحى بانسيابيةٍ وخفَّةٍ فى الحركة ، كما أن الأفعال المضارعة في هذه الصيغة الاصطلاحية من التشبيه توحي بتتابع الحركات واستمرارها واتصالها (تذف – تمر– ينظرون) ، وقد جعل ابن الأثير من محاسن التشبية وبلاغته " أن يجئ مصدريا كقولك : أقدم إقدام الأسد " [3] ، وقد خص الشاعر " صفراء الجراد " لخفة حركتها، حيث إنَّها تكون قد ألقت بيضها فصارت حركتها خفيفة " [4] ، وفى البيت الرابع يكنِّى عن الاهتمام البالغ بهذه الخيول بأنها " لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس فى السنه الجماد " ، وأسلوب الشرط فى قوله " لا تضاع إذا أضيعت " يدل على تحقُّق ضياع غيرها من الخيول ، فالأسلوب هنا يدعم مدحه لهذه الخيول فهى تُصان عندما تضيع غيرها وتُهمل بالفعل فى أوقات الجدب والجوع ، والبيت الثالث كناية عن خفَّة أجسام هذه الخيول واحترس عن أن تكون خفتها بسبب الجوع وذلك بقوله " تميم الخلق من أخر وهادي " ، ثم ينتقل كعب إلى تصوير قوَّتِها فى الحروب ، وتعوُّدها الحروب ، حيث صوَّر قوة وسرعة هذه الخيل بالاستعارة فى قوله " ينازعن الأعنَّة "، حيث شبَّه المقاومة بالمنازعة ثم استعار " ينازعن" ليقاومن على سبيل الاستعارة التبعية ، وقد " جرى ذلك على لسانهم ؛ لأنَّ البطء والسرعة يظهران فى العنان" [5] .

---

(1) سورة النمل الآية (88) (2) سورة محمد الآية (20) .

(3) ابن الأثير ومقاييسه البلاغية ص 194 مخطوط نقلا عن الصور البيانية د حفني شرف ص92 .

(4) ديوان كعب بن مالك ص 193 .

(1) التصوير البلاغى فى قصيدة النابغة المشهورة/ د عبد الحليم محمد شادى ص46- ط أولى مطبعة الأمانة القاهرة 1414 هـ /1993م.

وقد تأثَّر حسان بهذه الصورة فى هذا البيت الأخير حيث يقول[1] :

يبارِين الأسنَّة مُصغياتٍ على أكتافها الأسل الظِّماءُ

فتأثره بكعبٍ واضحٌ حتَّى فى الألفاظ إلا أنَّ صورة حسَّان تفوق صورة كعب ، لما فيها من خيالٍ حسنٍ ، فمنازعة الخيول لأعنَّتها ومحاولة الفكاك منها كى تسبقها واردةٌ وليست ببعيدةٍ عن الحقيقة ، أمَّا صورة حسَّان , فتخيَّل فيها سباقاً لا بين الفرس وعنائه وإنما بين الخيل والأسنَّة التى شرعها الفرسان على جوانب هذه الخيول استعدادا للطعن بها ، فكأنَّها ظنت أنَّ هذه الأسنَّة تجرى بجوارها فزادت من سرعتها لتسبقها ، كما أنَّه جعل الأسنَّة هى الأخري تسابق الخيل وتباريها ، وذلك بالاستعارة المكنية فى قوله "الأسل الظماء " والتى جعلت من الأسنَّة إنساناً متعطَّشا للشُّرب ، وكونُ الأسنَّة متعطشة لدماء الأعداء يوحى بأنها هى الأخرى تبارى الخيول ، وفي بيت كعب مزية وهو أنه عبر عن الحرب بالفزع وذلك للدلالة على قوتها وشدة أحداثها .

---

(1) ديوانه صً73 قصيدة (1) 0

(2) وصف السيوف

يقول كعب بن مالك فى وصف السيوف [1][من الطويل]

وقــد عُرِّيــت بــيضٌ خفــافٌ كأنَّهــا ... مقــابِيسُ [2] يزهيهــا لعينيــك شــاهرُ
بهــنَّ أبــدْنَا جمعهــم فتبــدَّدوا ... وكــان يلاقــى الحــينَ [3]مــن هــو فــاجرُ
فكُــبَّ أبــو جهــلٍ صــريعاً لوجهِــه ... وعُتبــةَ غادرنَــه وهــو عــاثِرُ
وشــيبةَ والتَّيمــى غــادرنَ فــى الــوغى ... ومــا مــنهم إلا بِــذى العــرشِ كــافرُ
فأمســوا وقــودَ النَّــارِ فــى مُســتقرها ... وكــلُّ كفــورٍ فــى جهــنَّم صــائرُ
تلظَّــى علــيهم وهــى قــد شَــبَّ حميُهــا ... بِزُبــرِ الحديــدِ[4] والحجــارةِ ســاجرُ [5]

يصف كعب فى هذه الأبيات السيوف فى أيدى المسلمين وما فعلته بالمشركين من قتل وتشريدٍ ، فذاقوا وبال أمرهم ، وأمسى من قُتل منهم يتقلَّب فى جهنَّم ، وصاروا وقوداً لها ، ويرسم لنا بهذه الأبيات لوحةً متعددة العناصر متناسقة الألوان ففى البيت الأوَّل يجمع المشهد بين وصف السيوف ووصف هيئة حامليها ، فوصف السيوف فى تشبيهه إياها بالمقابيس من النار, التى يُظهرها ويستعرض بها حاملُها ، ويرفعها ويقلِّبها يميناً ويساراً ، أمَّا تصوير هيئة حاملى السيوف فقد صوَّرها بالكلمات التى اختارها بعناية ودقة بالغة ، ليساند النظمُ الصورةَ البيانية ويسهم فى تلوينها ، فاستخدام الفعل " عُرِّيت " دون " سلَّت أو نزعت " يدل على أنها أخرجت من أغمادها برفق وطمأنينة مما يدل على ثبات المجاهدين وثقتهم بالله ثم بأنفسهم ، كما أن قوله " خفاف" احتراس من أن يظن أن إخراجها من أغمادها ببطء بسبب ثقلها .

---

(1) ديوانه ص200 ،201 قصيدة (18)
(2) مقابيس / القيس الشعلة من النار ... والجذوة وهى النار التى تأخذها فى طرف عود / اللسان 8/12 /مادة (قبس)
(3) الحين / الحين بالفتح الهلاك / اللسان 292/4 / مادة (حين)
(4) زبرالحديد / الزُّبرة بالضم القطعة من الحديد مختار الصحاح ص 155
(5) ساجر / سجر التَّنُّور ملأه وقودا ، المسجور المتَّقد الوسيط ص 417

واستخدام أداة التشبيه " كأنَّ " يدل على قوَّة الشبه بين الهيئتين ، وتسرى الصورة وتمتد إلى البيت التالى وتمتزج الألوان فى مشهدٍ مبدع فى البيت الثانى من المقطوعة فى قوله " بهن أبدنا جمعهم فتبدَّدوا " ، فهذه العبارة مناسبة للمشبَّه" للسيوف" وللمشبَّه به "المقابيس" على حدٍ سواء ، فالسيوف تفرّق الأعداء إما بالقتل أو بفرارهم منها ، والمقاييس هى الأخرى تبدِّد الظلمات أى تفرّقها وبذلك يتضح أنَّ الشاعر لم يرد أن يشبِّه السيوف بالمقابيس فى اللون والشكل فقط وإنما فى الوظيفة فالسيوف تبدِّد ظلمات الكفر والمقابيس تبدِّد ظلمات الليل ، وما أجمل الكناية عن السيوف بصفاتٍ من صفاتها" بيضٌ خفافٌ " ! وذلك لمناسبة هذه الصفة " البياض " لتبديد الظلمات .

ثم انظر إلى الدِّقة البالغة فى اختيار كعب المقابيس دون غيرها مما هو أشدُّ بريقا ولمعانا منها ، وذلك لأنَّه لا يريد أن يشبِّه السيوف بها فى البريق واللمعان وتبديد الظلمات فحسب ,ولكى نعرف مقصد كعب من تخصيص المقابيس دون غيرها لتكون مشبهاً به لننظر إلى الأبيات التى تلى هذين البيتين يقول فيهما كعب :

فأمسوا وقود النار فى مستقرها وكلُّ كفورٍ فى جهنم صائرُ
تلظَّىعليهم وهى قد شبَّ حميها بزبر الحديد والحجارة ساجر

لقد اختار مشبَّها به– " المقابيس "– يصلح كوسيلة لإشعال النار فى الحطب أو أى شئ يُرَادُ إحراقه ، وما أشبه السيوف بالمقابيس فى هذا الوجه ، إنَّها الوسيلة التى يَرِدُ بها هؤلاء الكفرة جهنم فبمجرد أن يُطعنوا بهذه السيوف فإنَّهم سيردون جهنَّم فكأنَّها ليست سيوفا طُعنوا بها!!! لكأنَّها مقابيسٌ أشعلت فيهم النار ,انظر إلى هذه الصورة التشبيهية الرائعة لو أنها قطعت عن السياق لما ظهر جمالها وإبداعها " فكثيراً ما تكون المفردات أو الصور الجزئية غير مثيرةٍ أو مؤثرة بذاتها إذا قُطعَت عن السياق ونظمِ الكلام والصورة الكلية ".[1]

---

(1) التفسير النفسى للأدب د/ عز الدين إسماعيل ص 90

وفى هذا المعنى وهو كون السيوف وسيلة للإحراق يقول الشاعر "[1]

فــإن تعــافُوا العــدلَ والإيمانــا فــإنَّ فــى أيمانِنــا نيرانَــا

" أي سيوفنا تلمع كأنَّها نيران " [2] وعلى ذلك فهى استعارة وأرى أن الأليق والمناسب للمعنى اعتبار " نيراناً " مجازاً مرسلاً علاقته " المسببيّة "، حيث أطلق المسبب " النيران " وأراد السبب وهى السيوف ، للتَّنفير من عاقبتهم إذا ما قُتلوا بسيوفهم فإنَّهم يُحرقون فى النيران لأنَّهم أعرضوا عن العدل والإيمان كما ذكر الشاعر ، والقول بالمجاز لا يمنع الاستعارة فإنَّه يمكن اعتبار اللفظ استعارة إذا اعتبرت العلاقة المشابهة ويعد مجازاً إذا اعتبرت علاقة أخرى غير المشابهة يقول سعد الدين التفتازانى " فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارةً ، وأن يكون مجازاً مرسلاً " [3] وانظر إلى حسن اختيار الألفاظ والأساليب فبناء الفعل للمجهول فى قوله " فكُبَّ أبو جهلٍ صريعاً " يدلُّ على المطاوعة وسلب الإرادة استجابة لتبديد السيوف لهم ، كما أنَّ تقديم الجار والمجرور " بهنَّ " على الفعل " أبدنا " تعظيماً لشأن هذه السيوف وافتخاراً بها ، كما أنَّه عرَّف المسند فى قوله " من هو فاجرٌ " " وهو عاثرٌ " فالتعريف فى الجملة الأولى لتقرير وتأكيد تمكن صفة الفجور من هؤلاء الكفرة ، واختيار الفعل " كان " فى قوله " وكان يلاقى الحين " لتحسير السامعين على قتلاهم وتذكيرهم بأنَّهم قد طُويت عليهم صفحات الماضى والتعريف بالضميرفى الجملة الثانية " وهو عاثرٌ " تأكيدا وتقريرا لهلاك هذا الكافر وهو من رؤوس الكفر فى مكه ، وقد كانوا يستبعدون هلاك ضعفائهم فضلاً عن أكابر المجرمين منهم ، فجاء بالضمير للتوكيد والتقرير ،احظ تلذُّذَه بذكر أسمائهم وذلك تحسيراً وتحزيناً وإيلاماً للسامعين ,وأسلوب القصر فى قوله " وما منهم إلا بذى العرش كافر " أرى أنَّ هذا الأسلوب تمهيدٌ لحكمه عليهم فى البيت الذى يلى هذا البيت فى قوله " وكل كفور فى جهنم صائر " فهو فى الجملة الأولى يقصرهم على صفة الكفر ويثبتها لهم فردا فردا بقوله " وما منهم إلا بذى العرش كافر ".

---

(1) دلائل الإعجاز ص299، 300

(2) بغية الإيضاح ص119 ، 120 الشيخ عبد المتعال الصعيدى – المطبعة النموذجية ط 5 1973 م

(3) المطول ص 357

ثم أجرى عليهم الحكم بالصيرورة إلى جهنم أيضا فردا فردا ولكن هذه المرة عن

طريق الإجمال بقوله " وكل كفور فى جهنم صائر " , ويُلاحَظ أنَّه فى أسلوب القصر لم يقل " وما منهم إلا بالله كافر " وذلك ليبيَّن شدة جهلهم وحمقهم واستحقاقهم العذاب الأليم، حيث كفروا بالله وهو فى عليائه مستوٍ على عرشه فى أعلى عليين وهم على الأرض فى أسفل سافلين ، وقد ربط بين البيتين بفاء السببية ؛ لأنَّ دخولهم النار مسبب عن كفرهم بالله .

وهكذا رأينا الدقَّة والعناية باختيار عناصر الصورة ودقَّة اختيار الكلمات ونظمها بطريقةٍ تساعد على تجلية الصورة وتلوينها فى اتِّساقٍ مبدع " وكأن فى يده ريشة فنان بارِع يغمس ريشته فى وجدانه فيستخرج أغمض الألوان وأدق المشاعر " [1] ولاحظ الدقة في اختيار الفعل " أمسوا " وما يوحي به من الظلمات والكآبة والحزن ، واختيار حرف الجر " في " وذلك في قوله " في مستقرها " ، " في جهنم " يدل على انتهائهم إلى قعرها واستقرارهم ، وتمكنهم فيه .

---

(1) القوس العذراء وقراءة التراث ص 46 د/ محمد محمد أبو موسى ط دار غريب للطباعة القاهرة ه 1403هـ /1983 م .

(3) وصف الدروع

يقول كعب بن مالك "(1)[من الكامل]

فـى كـلِّ سـابغةٍ (2) تخـطّـُ فضـولَها (3) كـالنَّهى (4) هبَّـت ريحـه المترقـرقِ
بيضـاءَ محكمـةٍ كـأنَّ قتيرَهـا (5) حَـدَقُ الجنـادِبِ ذات شـكٍ
جـدْلاءَ يحفِزُهـا (6) نِجـادٌ مُهنَّـد مـوثّـَقِ
تلكُـم مـع التَّقـوى تكـونُ لباسُـنا صـافى الحديـدَة صـارمٌ ذى رونـقِ
نَصِـلُ السـيوف إذا قَصـرنَ بخطْونـا يـومَ الهيـاجِ وكـل سـاعة مصـدقِ

يصف كعبٌ عدَّة الجيش الإسلامى التى جهَّزها للحرب ، فهم يسيرون فى دروعٍ سابغةٍ لامعةٍ تتموَّج عليها أشعةُ الشمس ، وهى دروع محكمة النَّسج كأن مساميرها عيون الجنادب ، وهى لخفتها يحملها نجاد السيف ، هذه الدروع مع تقوى الله سبحانه وتعالى هى الواقي للمسلمين من أعدائهم ، ومع حملهم لهذه الدروع فهم مقاديم فى الحرب غير جبناء ، وقد صور كعبٌ دروع هذا الجيش وأثرها على الرمال بأثر الريح اللينة الرقيقة على سطح الغدير ، والقيد(المترقرق) فى جانب المشبه به له أثره فى الصورة ، حيث إنَّ الريح اللينة الرقراقة إذا هبَّت على الغدير فإنَّها تنقش سطحه وتجعله خيوطا ما بين دقيقٍ وعريضٍ ، وهذه الهيئة تفعلها الدروع الفضفاضة السابغة عندما تجر فضولها على الرِّمال فإنَّها تخطُّ عليها خيوطاً متفاوتةً .

واستخدام الشاعر لحرف الجر " فى " الذى يدل على الظرفية يتناسب مع إخباره عن هذه الدروع بأنّها سابغة ومع قوله " فضولها " وهذا يعنى اتساعها فالحرف " فى " يوحى بأنها محيطة بهم إحاطة الظرف بالمظروف ، وقد عَدَلَ عن التعبير بالجمع " سابغات " إلى " كل سابغة " ليجرى الصفة على كل درع من هذه الدروع ، ليُعلم

---

(1) ديوانه ص 245 قصيدة (43)
(2) السابغة / الدرع الواسعة ، والدرع السابغة التى تجرها فى الأرض أو على كعبك طولا وسعه اللسان (سبغ) جـ7 ص115 (3) فضولها / فضَل الشئ فضلا زاد عن الحاجه- الوسيط 693
(4) النهى / تناهى الماء إذا وقف فى الغدير وسكن 365 مختار الصحاح
(5) قتيرها/ رءوس المسامير فى حلق الدروع –الوسيط714(6)يحفزها : يرفعها ويحملها .

أنَّها جميعاً متشابهةً متساويةً ؛ لأنَّ الوصف إذا كان عامًّاً فإنه يحتمل أن يكون من باب التغليب ، ثم ينتقل إلى تصوير مشهدٍ آخر خاصٌ بهذه الدروع ألا وهو هيئة مساميرها فتقع عينه على أقرب مشبَّه به لرؤوس هذه المسامير، حيث شبَّه رؤوس هذه المسامير ، وقد أُحكم سردُها وشكُّها فالتصقت أرؤسها بجسم الدرع بحيث لا يوجد أدنى فراغ بين سطح الدرع ورأس المسمار ، مع ارتفاع أواسط هذه المسامير عن حوافِّها, شبَّه هذه الهيئة بحدق الجنادب ، ومع أن طرفى التشبيه مفردان إلا أن الجهة الجامعة بينها "وجه الشبه" مركب , وخصَّ كعب حدق الجنادب خاصَّة لارتفاع حوافها عن غوور عينها ، بجانب صلابتها واتحاد لونها ، وتناسبها مع أرؤس المسامير فى الحجم ، ونظراً لهذا التقارب الشديد بين الطرفين استخدم كأنَّ ، وقد ذكر فى البيت وصفا يشعر بوجه الشبه وهو قوله " ذات شك موثق ", ثم يكنِّي عن خفة هذه الدرع بقوله" يحفزها نجاد مهند " أى يحملها عن لابسها نجاد السيف وهذا دليلٌ على خفَّتها .

ثم يتطرَّق إلى وصف السيوف فيكنِّي عن متانتها وأصالتها بقوله " صافى الحديدة صارم ذى رونق " وهو متأثر بالقرآن الكريم فى قوله " تلكم مع التقوى تكون لباسنا " متأثر بقوله تعالى : وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ (1)

والإشارة في البيت للتعظيم في قوله : " تلكم مع التقوى "، ثمَّ يأتى كعب بالبيت الأخير ليحترس لقومه من أن يتوهم أنهم يلبسون هذه الدروع جبناً منهم ، فالبيت "كناية عن شدة المقاربة فى الحرب "[2] والمقاربة دليل على الشجاعة والإقدام وقريب منه قول الأخنس بن شهاب التغلبى [3] :

وإن قصُرت أسيافُنا كان وصلُها خطانا إلى القومِ الذينَ نضاربِ

وبيت الأخنس سابق فى الزمان لبيت كعب متأخر عنه فى الجودة ، فالأخنس جعل إقدام قومه محدوداً غير عام بقوله " إلى القوم الذين نضارب " .

---

(1) سورة الأعراف الآية(26).

(2) دراسة فى البلاغة والشعر د محمد محمد أبو موسى ص173. (3) المفضليات - المفضل بن محمد الضبى تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- 7/2 - ط دار المعارف – مصر.

أما كعب فقد جعل إقدام قومه عاماً دون تخصيصه بوقت أو بقوم ، كما أن كعباً أسند الوصل إلى ضمير قومه ، واحترس بقوله " قدما " حتى لا يتوهم أن مقاربتهم لأعدائهم مراوغةً لا إقداماً ، كما أنَّ قوله " ونلحقها إذا لم تلحق " بدون ذكر الوسيلة التى يلحقونها بها دليلٌ على الإصرار على إلحاق هذه السيوف بأهدافها بأى وسيلة كانت .

(4) وصف الرماح

يقول كعب بن مالك [1][من الكامل]

12- يصلُ اليمينَ بمارنٍ [2] متقاربٍ وُكِلَت وقيعتُه إلى خبَّابِ *
13- وأغرّ[3] أزرق فى القناةِ كأنَّه فى طُخيةِ[4] الظلماءِ ضوءُ شهابِ
14- وكتيبةٍ ينفى القرَانَ [5] قتيرُها وترُدُّ حدَّ قواحِز[6] النُشَّابِ[7]
15- جأوى [8] ململَمة كأنَّ رماحَها فى كلِّ مُجمَعةٍ ضريمَةُ [9]غابِ
16- يأوى إلى ظِلِّ اللواء كأنَّه فى صَعدةِ [10] الخَطِّيّ [11] فيءُ[12]عُقَابِ
17- أعيت أبا كربٍ وأعيت وأَبَتْ بسالتُها على الأعرابِ

يصوِّر كعبٌ فى هذه الأبيات أجزاء الرُّمح ، فهو رمحٌ ليِّنٌ قصيرٌ كما أنَّ سنانه حادٌّ لامعٌ ، وهذه السِّنان تشبه ظلَّ العُقاب ، والكتيبة الإسلامية ذات دروع تردُّ النبل ، وتحُول دون اصابتها أهدافها ، ورماح هذه الكتيبة تبدو وهى مجتمعة تعكس أشعة الشمس كحريقٍ فى الأشجار الكثيفة الملتفة

---

(1) ديوانه ص180، 181 قصيدة (7) .
* خباب : اسم " قين " اشتهر بصنع السيوف ص 180 ديوان كعب بن مالك .
(2) مارن / رمح مارن : صلب لين / اللسان 61/14 مادة (مرن).
(3) أغر / الأغر الأبيض والأغر أيضا الشريف - مختار الصحاح 258 .
(4) طخية / الطخية : الظلمة والغيم ، والطخية أى شئ من سحاب (والأخير مناسب لمعنى البيت) اللسان 98/9 مادة (طخى) .
(5) القران / النبل المستوية من عمل رجل واحد ، القرن : السيف والنبل / اللسان 90/12 مادة (قرن).
(6) قواحز / القاحز السهم الطامح عن كبد القوس ذاهباً فى السماء / اللسان 29/12 مادة (قحز) .
(7) النشاب / النبل / اللسان 204/14 .
(8) جأوى / كتيبه جاواء أى بيّنه الجأى وهى التى يعلوها لون السواد الكثرة الدروع / اللسان 63/3 مادة (جأى).
(9) ضريمة / ضرِمت النار وتضرَّمت واضطرمت: اشتعلت والتهبت /اللسان 40/9 مادة (ضرم).
(10)صعدة / القناة ، وقبل القناة المستوية تنبت كذلك لاتحتاج إلى تثقيف / اللسان 239/8 مادة (صعد).
(11) الخطِّى / الرمح المنسوب إلى الخط (موضع باليمامه) اللسان 102/5 مادة (خطَّ) .
(12) فىء عقاب / الفىء ما كان شمسا فنسخه الظِّل / اللسان 246/11 مادة (فئ) والعقاب / طائر من العِتاق ، عناق الطير ، وسباع الطير التى تصيد / اللسان 219/9 مادة (عقب) .

وفى البداية أريد أن أنبِّه أنَّ هذه الأبيات فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، حيث إنَّ موضع البيت رقم (16) بعد البيت رقم (13) وذلك لسببين : الأول أنه مُكمِّل ومتمِّم لوصف أجزاء الرمح, فالشاعر بدأ بوصف لِين قناته, ثمَّ وصف السِّنان فى البيت (13) ، وهذه البيت رقم (16) متمِّم لوصف هيئة السنان كما سيتضح من خلال التحليل .
السبب الثانى :- أن البيت رقم (15) يتحدث عن الكتيبة ، والبيت رقم (17) يتحدث عنها هو الآخر بدليل تأنيث الفعل أعيت .

وقد استعانَ كعبٌ فى هذه الأبيات بالصورة التشبيهية لتصوير ووصف هذه الرِّماح وأجزائها, ففى البيت الثالث عشر يصور كعبٌ هيئة السِّنان المصقول المذرَّب ، وقد اتصل بجسم لامع وهو متصل بالقناة ,وهى أيضا جسمٌ لامعٌ اسطوانى ممتدٌ, بهيئة الشهاب ، وقد اندفع فى الظَّلام محدثاً خلفه ذنباً نارياً ووجه الشَّبه الهيئة الحاصلة من وجود رأسٍ لامعٍ متصلٍ بجسم اسطوانى لامع ممتد, وهذا التشبيه من المركَّب الحسى الذى يصوِّر الحركة وقصد مع الحركة اللون ، ويُلاحَظ المناسبة التَّامة بين المشبَّه والمشبه به ، فالسِّنان يشبه رأس الشهاب ,والقناة تشبه ذنبه ,والظلام يُظهر ضوء الشهاب ,وغبار المعركة يظهر لمعان الرمح أثناء انطلاقه نحو هدفه ، ولقوة الشَّبه بين الهيئتين استخدم الشاعر أداة التشبيه " كأن " .

ثم يأتى بصورة تشبيهيَّة غاية فى الإبداع فى البيت السادس عشر، حيث يشبِّه هيئة السنان فى القناة ، وقد انطلق من يد حاملة, بهيئة ظلِّ العقاب ، وقد قبض جناحيه للانقضاض على فريسته .انظر إلى هذه الدِّقة وإصابة عين التشبيه ، فالمتأمل فى الرمح يجد أنَّ له زائدتين حديديتين منحرفتين إلى الخلف تشبه تماما ظل جناحى العقاب على الأرض إذا ضمهما إلى الخلف فى الهواء, ليكون جسمُه انسيابياً أثناء انقضاضه على فريسته .

ومن تمام الصورة أن جعل الشَّبه متعلقا بهيئة ظلِّ العقاب ، لا هيئة العقاب نفسه لتتم له الصورة التى أرادها ، لأنَّه لو علَّق الشَّبه بهيئة العقاب أثناء انقضاضه ، لجاء تصويرُه لهيئة السنان فقط غير متصل بالقناة, لكنَّه لمَّا أراد أن يصوِّر هيئَة السِّنان متصلاً بالقناة علَّق الشَّبه بهيئة ظلِّ العقاب ، وذلك ؛ لأنَّ ظلَّ الشئ يكون طويلاً ممتداً عن طوله الحقيقى فى أكثر أوقات النهار عندما تكون الشمس مائلةً عن كبد السماء وبذلك يتحقق الشَّبه تماماً بين الهيئتين .

وهكذا يصنع الخيال الخِصب فى إثراء الصورة فالصُّورة " نتاج لفاعلية الخيال ، وفاعلية الخيال لا تعنى نقل العالم أو نسخه ، وإنما تعنى إعادة التشكيل ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر ، والجمع بين العناصر المتضادَّة أو المتباعدة فى وحدة " [1] وما أرى هذه الكلمات للدكتور جابر عصفور إلا ترديداً وصياغة جديدة لفكر الإمام عبد القاهر الجرجانى فقد أشار رحمه الله إلى هذه الوظيفة التى يقوم بها الخيال فى إثراء الصورة وذلك عندما تحدَّث عن تصوير الشبه بين المختلفين فى الجنس " وذلك أن موضع الاستحسان ... والمؤلف لأطراف البهجة = أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة فى السماء والأرض ، وفى خلقة الإنسان وخِلالِ الروض " [2]

وأرى أنَّ ظلَّ اللواء يقصد به كعب حامل اللواء وهى كناية عن موصوف وهى أبلغ من التصريح ؛لأنَّها اكد فى إثبات ملازمة حامل اللواء له لأنَّه لو سقط أو انهزم لانهزم الجيش ، ثم انظر إلى تصوير الحركة فى هذا التشبيه البديع فحركة هذا الرمح – فى خيال كعب حركة واعية وكأنه يعرف هدفه ؛ ولذلك عبر عنها بقوله " يأوى " والتى توحى بالحركة الواعية المقصودة كما أنَّ حرف الجر إلى يعطى نفس الإيحاء لأنه يدل على " انتهاء الغاية " [1]

---

(1)الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى ص373 د/ جابر عصفور.

(2)أسرار البلاغة –الإمام عبد القاهر الجرجانى - تحقيق الشيخ محمود شاكر-ص130 –دار المدنى القاهرة /1412 هـ /1991م.

(3) الاقتضاب للبطليوسى/ تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد—287/2 ط-الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وهكذا رأينا " للتشبيه قدرة خارقة فى تلوين الشكل بظلالٍ مبتكرةٍ وأزياءَ متنوعة لم تقع بحسٍّ قبل التَّشبيه ، ولم تجرِ بها العادة ولا تُعرَف بداهةً إلا بملاحظة مجموعة العلاقات الفنّية فى التَّشبيه ,وعند ضم ّ بعضها للبعض الآخر تبدو محسوسةً متعارفة ذات قوة وضعية متميزة " [1] ، وها هو كعب فى أكثر من موضع – يبارى حسان فى دقة التصوير وعمق المعانى وجمال التخييل ، ولعل التقوى والسنان يؤازران اللسان ، ثم يصِّور فى البيت الأخير هيئة اجتماع هذه الرماح اللامعة, ويشبِّهها بهيئة الحريق الذى يشُبُّ فى الأشجار الكثيفة الملتفة بجامع الحركة المتموجة اللامعة [2]

---

(1) أصول البيان العربى د / محمد الصغير ص 64 ط دار الثقافة بغداد بتصرف يسير .

(2) راجع تحليل هذا البيت فى باب الموازنات من هذا البحث ص (223.224)

ثانيا : وصف المعركة

وقعت بين المسلمين والمشركين معاركُ كثيرةٌ خاضها المسلمون من أجل إعلاء كلمة الله, ومقاومة الكفر والطغيان وفى كل معركةٍ " ما إنْ تضع الحرب أوزارها حتى يقوم الشعراء واصفين ما كان فيها من بسالةٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ " [1] وبقدر ما فى الحرب من هَيَاج وأحداثٍ بقدر ما تنوَّعت لوحات الشعراء فوصف أحداث القتال, فجاءت الأغراض الوصفية التالية :

1- وصف المعركة وفرار الأعداء .
2- وصف شدَّة القتال وتصوير الموت .
3- وصف الحرب وتشبيهها بالنَّاقة .

ومن المُلاحَظ أنَّ السَّبق فى تصوير المعركة وأحداثها لكعب بن مالك, وأنَّ حسَّان لم يخضْ فى تفاصيل المعارك إلا قليلاً ,وجاءت صوره إشارات عابرة وصور بسيطة – على ما أرى إذا ما قورنت بشعر كعب فى هذا الغرض ، ولعل السَّبب فى ذلك هو الصَّدق الفنى الذى امتاز به شعراء هذه الفترة ، فحسَّان لم يكن محارباً " ويظهر أنه كان ينتظر مع النساء نظراً لكبر سنِّه وعجزه عن القتال بسبب إصابته فى أكحله " [2],

ومع ذلك نجد له شعراً فى كل الغزوات, إلا أنَّه غالباً ما كان هجاءً وتعبيراً بالهزيمة وبالصفات القبيحة وهو " يؤدِّى دوره فى كلِّ ذلك خير أداءٍ فهو مراسلٌ حربى يسجِّل الأخبار, وهو صحيفةٌ يوميَّة تنشر هذه الأخبار ويلوِّنها بما يتفق وهدف المسلمين " [3]

وعبد الله بن رواحة هو الأخر له شعر فى وصف المعركة ولكنَّه قليلٌ, ولعل السبب فى ذلك " أن يكون الكثير من شعر ابن رواحة قد ضاع ". [4]

---

(1) الأدب فى صدر الإسلام ص 101 د / محمد عبد الرحمن عبد الظاهر
(2) حسان بن ثابت شاعر الرسول ص160
(3) المرجع السابق ص 161 (4) ديوانه ص 82

ولعل السبب فى إجادة كعب فى تصوير الحرب دون حسَّان " أنَّ الشعر قد يصدر فى وصف الحرب عن الشُّجاع ، فيُعلم وجه صدوره ويدلُّ على كُنهه وحقيقته وقد يصدر عن المتشبِّه ، ويخرج عن المتَّضع ، فيُعرف من حاله ما ظنَّ أنَّه يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يبديه "[1]

---

(1) إعجاز القرآن ص277 عن دراسة فى البلاغة والشعر د / أبو موسى ص166

(1) وصف المعركة وفرار الأعداء

يقول كعب بن مالك يوم أحد " (1) [من الطويل]

فلمَّـــا تلاقَينَـــا ودارَت بِنَـــا الرَّحـــى ... ولَـــيسَ لأمـــرٍ حمَّـــه[2] اللهُ مـــدفعُ
ضَـــــــرَبْنَاهم حتَّتركناسُـــــــراتَهم ... كـــأنَّهم بالقـــاع خُشْـــبٌ مصـــرَّعُ[3]
وَلـدُن غَـدوةً حتَّـى اسـتَفقنا عشـيَّةً ... كـأنَّ ذَكانـا [4] حـرُّ نـارٍ تلـفَّعُ[5]
وراحُـوا سِـراعاً مـوجفين[6] كـأنَّهم ... جَهَـامٌ [7] هرَاقـت مـاءَه الـريحُ مقلِـعُ

يصف كعب فى هذه الأبيات لقاء المسلمين بالمشركين فى أحد ، ورضاهم بقدر الله وقد تساقطت رؤوس المشركين وأشرافهم, حتى كأنَّهم أخشابٌ مصرَّعةٌ ملقاةٌ على الأرض ، ثم أفاق المسلمون على هذه المفاجأة ، فريق من المشركين صريع ملقىً على الأرض وفريق يفرُّ وكأنَّه يهرب من نارٍ تلاحقه ، ففروا خفافا مسرعين وكأنَّهم فى سرعتهم سحابة خفيفة ألقت ماءها ، وقد ارتبط الصُّور فى الأبيات لِتُصوِّر الشطر الأول من المعركة فى سرعةٍ وتتابع للأحداث ، ففى البيت الأوَّل يستعير الرَّحى للحرب الشديدة وذلك ؛ لأنَّ الحرب لا تخلو من شدَّة وغِلظَة على المهزوم ، كما أنَّ القتلى يتساقطون فى أرض المعركة كما يتساقط الطَّحين من الرَّحى ، ويُلاحَظ أنَّه قال "دارت بنا الرحى" ولم يقل دارت علينا ، وهذا يعنى أنَّهم هم المؤثرون وأن لهم السطوة ، وأنَّ الحرب إنَّما تطحن أعداءهم بفعلٍ منهم ، والباء فى قوله " بنا " للملاصقة.

---

(1) ديوانه ص 226، 227 (2) حمّه / قضى ما هو كائن / اللسان 232/4 مادة (حمَّ)
(3) مُصَّرع / صرعه طرحه على الأرض ، مصراع الباب أحد جزأبه وهما مصراعان الوسيط 513.
(4) ذكانا/ الذُّكرة والذكا : الجمرة الملتهبة ، وأذكيت الحرب أ ، وقدتها / اللسان 38/6 مادة (ذكا).
(5) تَلَفَّع / لفع الشيب رأسه يلفعه لفعا : شمله ، لفعتك النار أى شملتك من نواصيك وأصابك لهيبها / اللسان 217/83 مادة (لفع) (6) موجفين / الوجف : سرعة السير / اللسان 159/15 مادة (وجف) .
(7) جهام / السحاب الذى لا ماء فيه وقيل الذى قد هراق ماءه مع الريح / اللسان 229/3 مادة (جهم).

وقد عبَّر بالفعل " تلاقينا " والذى على وزن " تفاعلنا " ليدل على شوق الفريقين

لهذا اللقاء, فالمسلمون يشتاقون للقاء أعدائهم لأنَّهم ذاقوا حلاوة النصر ببدر ، والمشركون يشتاقون لأنَّهم تجرَّعوا مرارة الهزيمة ويعانون نارها ويودُّون لو ثأروا لكرامتهم ، وهذه الحالة مناسبة تماما لتشبيهه الحرب بالرحى فى هذا البيت ، ثم انظر إلى بيانه لتوكُّلهم على رب العزة سبحانه وتعالى وتسليمهم بقضائه فى قوله " وليس لأمر حمَّه الله مدفع " فتنكير كلمة " أمر " دلالة علىعموم إرادة الله فماشاء الله كان ، وتنكيره لكلمة " مدفع " إشارة إلى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وأنَّه لا يُدفع قضاؤه بشيءٍ وإيثارُه كلمة مدفع على اسم الفاعل " دافع " لنفى أى محاولة لدفع إرادة الله وقضائه وإذا انتفت المحاولة انتفى المحاول، .ثم يؤكِّد سطوتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور فى المعركة عندما يشبَّه كثرةعدد القتلى من المشركين وهم مطروحون على الأرض بالخشب المصرَّع ، ولعه أراد بقوله مصرَّع أنَّهم لتشابههم فى ملابسهم وهيئة سقوطهم على الأرض كأنَّ كل واحدٍ منهم " مصراعُ باب " وفى تشبيههم بالخُشبِ المصرَّع امتهانٌ لهم ، وقد استخدم كعب أداة التشبية كأنَّ دلالة على قوة الشَّبه وتقارب الصورتين، وقد جاء كل من المشبَّه والمشبَّه به جمعاً ، وقد أوضح الفراء [1] وجوب مراعاة العدد فى تشبيه الأعيان والذَّوات، حيث ذَكَر أنَّ " تشبيه الأعيان والذوات لابد فيه من مراعاة الأعداد بين المشبَّه والمشبَّه به لتصحَّ المقابلة بين طرفيه كما جاء فى قوله تعالى فى وصف المنافقين " :

كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ (2)

أما تشبيه الأحوال والصفات فلا ضرورة فيه ؛ ذلك ؛ لأنَّ الذوات غير مقصودة بل ما يحيط بها من أحوال وصفات ؛ ولذلكلم تراع الأعدادفى قوله تعالى فى وصف المنافقين :

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا (2)

---

(1) معانى القرآن للفرَّاء 15/1 تحقيق أحمد يوسف نجاتى وآخرين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ت
(2) سورة المنافقون الآية (4)
(3) سورة البقرة الآية (17)

ولمَّا صوَّر كعب الحرب فى البيت ا 105 لرَّحى وأثبت لها دوراناً فقال " ودارت بنا الرَّحى ", قال فى البيت الثالث من المقطوعة " استفقنا " وكأنَّهم لشدة القتال

صاروا كالسكارى ، فلمَّا بدأ النَّصر يتحقَّق وخفَّت حدة القتال بفرار الأعداء ,أفاقوا على ما فعلوه أثناء شدَّة القتال, ولم يشعروا به بسبب هذه السَّكرة الخفيفه ولربما دخل الإنسان فى مشاجرةٍ فى غير وعى ,ثم يفيق على أمر عظيم فعله وهو فى حالة بين الوعى وعدم الوعى ،والأمر هنا أشدُّ لأنها حربٌ مصيريَّة بين فئةٍ قليلةٍ وأخرى كثيرة العدد والعدة ، فإذا بهم يحدون قوَّتَهم وبأسَهم فى الحرب ، كأنَّها نارٌ متأجِّجة يفرُّ منها من يليها ، وقد تمَّمت الصورة فى هذا البيت الصورة فى البيت السابق ، فقد صوَّر فى البيت السابق هيئة الصَّرعى ,وفى هذا البيت يصِّور فرارمن بقى منهم وسبب هذا الفرار ، والصُّورة قوية لتداخل التشبيه مع الاستعارة ، فهو أولا يستعير " ذكانا " لقوتهم وبطشهم على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث شبَّه قوتهم فى الحرب بالنَّار ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الذّكوة أى جمرة النار . ثم شبه هذه القوة التى تشبه جمر النار ، بالنار الشديدة المحرقة " حرُّ نار تلفع " .

، وقد استخدم أداة التشبيه كأنَّ للدلالة على قوة الشبه فمن يقترب منهم وقبل أن يصل إليهم يرتدُّ هارباً . وكأنَّهم نارٌ لها حرٌ شديدٌ يفرُّ من يقترب منها .

ثم انتقل إلى تصوير هيئة فرار المشركين، حيث يقول :

وراحوا سراعاً موجفين كأنهم ♦ جهام هراقت ماءه الريح مقلع

فالمشركون بعد أن سقط منهم من سقط قتيلاً وأحسُّوا بقوة المسلمين – والتى عبَّر عنها كعب بقوله (ذكانا حر نار تلفع) – فرُّوا هاربين فى سرعة ، وقد شبَّههم كعب بالسحاب الذى خفَّ وزنه بما أسقطته الرياح من مائه ، وهو شبهٌ دقيق ، ومعنىً عميق غاص إليه كعب ، فقد لاحظ كعب شبها لحالة فرارهم – بسرعةٍ فى خوفٍ وتخبُّطٍ متفرقين فى أنحاء شتى – فى السحاب الذى تفكَّكت أوصالُه وخفَّ وزنه بسبب إسقاط الريح للكثير من مائه فيكون فى الجو متفرقاً سريعاً تتقاذفه الريح وتهوى به , وكذلك حال المشبه (المشركين)

فكأنَّهم لما حصد المسلمون منهم بعض رجالهم, تفكَّكت أواصرهم وفرُّوا ناجين بأنفسهم شعارهم (انج سعد فقد هلك سُعَيد)[106] خائفين بعد أن خفَّت أحمالهم بما تركوا من

أمتعة فى ميدان المعركة .

"وأمثال هذا التشبيه " ينضوى تحت لوائها كثيرٌ من بليغ الكلام الذى يستولى على النَّفْس ويملأُ القلب سحراً وفتنةً وإمتاعاً ، وذلك أنَّه لا ينتقل من المشبَّه إلى المشبَّه به إلا بعد فكرٍ وتلبُّث " (1)

وقد فصل كعب بين الموصوف (جهام) والصفة (مقلع) بالجملة الفعلية (هراقت ماءه الريح) ؛ لأنَّ الصفة (مقلع) مسبَّبَةٌ وناتجةٌ عن مضمون الجملة الفعلية, فأخَّر المسبَّب عن السَّبب ، كما أنَّ هـ استخدم الهاء دون الهمزة فى الفعل (هراقت) ؛ لأنَّ صوت الهاء مناسبٌ لمعنى السرعة والخفَّة فى البيت

كما أنَّ إسمية الحالين " سراعاً موجفين " تدلُّ على دوامهما وثبوتهما ، وهما متمِّمتان لصورة الفزع خاصَّةً أن الأولى جاءت بلفظها فى مشهدٍ مهيبٍ من مشاهد يوم القيامة وهو مشهد خروج الناس من قبورهم قال تعالى :

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ (2)

والثانية جاءت مفردة أيضا فى مشهد من مشاهد يوم القيامة قال تعالى "

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ (3)

ويُلاحظ أن الشاعر فى البيت نسب الحال " موجفين " إليهم كليةً لا إلى قلوبهم فقط ، إشارةً إلى شدة الفزع والخوف ، بينما نجد الآية تنسب الحال إلى القلب فقط " قلوب يومئذ واجفة " والآية بالطبع أبلغ لسببين الأول أنَّها نسبت عن طريق التبعية الحال للأبدان كلية وذلك ؛ لأنَّ القلب ملك الأعضاء ترتجف وتضطرب تبعا له وتثبت إذا ثبت .

السبب الثانى أنها جعلتنا نبصر هذا القلب المستقر فى الصدور وهو يرتجف خوفا وفزعا

---

(1) فى رحاب البيان العربى د صباح دراز .أ د / أحمد ناجى ص38

(2) سورة المعارج آية 43 (3) سورة النازعات الآيات رقم 6 – 7 – 8

يقول كعب بن مالك في يوم أحد [1] [من المتقارب]

فـــإن كنـــتَ عـــن شـــأنِنَا جـــاهلاً ... فســـل عنـــه ذا العلـــم ممـــن يلينـــا
بنـــا كيـــفَ نفعـــل إنْ قلَّصـــت [2] ... عوانا[3]ضروساً[4]عضوضاً حجونا [5]
ألسْـــنا نشُـــدُّ عليهـــا العُصَـــابَ ... حتـــى تـــدرّ وحتـــى تلينـــا
ويـــومٌ لـــه وهَـــجٌ دائـــمٌ ... شـــديد التهـــاول حـــامى الأرينـــا [6]
طويـــلٌ شـــديدُ أوارِ[7] القِتَـــالِ ... تنفـــى قـــواحزه [8] المقـــر* فينـــا
تخـــالُ الكمَـــاةَ بأعرَاضـــها ... ثمـــالا [9] علـــى لـــذة منزفينـــا [10]
تعاورأيمـــــانهم بيـــــنهم ... كـــؤوس المنايـــا بحـــد الظبينـــا [11]

يصف كعبٌ شدة القتال وصعوبته وخبرة قومه فى التغلُّب على هذه الصعوبات ، فهم يخوضونها فى اليوم شديد الحرارة حتى إنَّك لترى الفرسان تظهر عليهم أعراض السكر وما هم بسكارى ، يتبادلون الضربات فى ترنُّحٍ وتمايلٍ وكأنَّهم مخمورون .

---

(1) ديوانه ص275، 276 قصيدة (61) .
* المقرفينا : من " قر" بالمكان أي سكن واطمأن – الوسيط مادة " قر " ص 724 .
(2) قلَّصت / الناقة إذا غارت وارتفع لبنها / اللسان 176/12 مادة (قلص).
(3) عواناً / من البقر والخيل التى نتجت بعد بطنها البكر / اللسان 343/9 مادة (عون) .
(4) ضروساً / الناقة الضروس : التى تعض حالبها / اللسان 36/9 .
(5) حجوناً / الغزوة الحجون : التى تظهر غيرها ثم تخالف إلى غير ذلك الموضع ويقصد إليها (بمعنى أنها يُورَّى عنها بغيرها) اللسان 48/4 مادة (حجن).
(6) الأرينا / جمع الإره : موضع النار / اللسان 95/1 مادة (إره).
(7) أوار / شدة حر الشمس ولفح النار ووهجها والعطش / اللسان191/1 مادة(أور).
(8) قواجزه/ هكذا أثبتها محقق الديوان والصواب (قواحزه) ، / القحز: الوثب والقلق ، قحز يقحز قحزا : قلق ووثب واضطراب ، ويقصد بالكلمة شدائد الأمور / اللسان 28/12 مادة (قحز).
(9) ثمالاً/ الثمل : الذى قد أخذ منه الشراب والسكر / اللسان 40/3 مادة (ثمل).
(10) منزفينا / أنزف : إذا ذهب عقله من السكر اللسان/235/14 مادة (نزف).
(11)الظبينا / الظبة : حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها الوسيط 575 .

وقد استعان كعب على بيان شدَّة القتال وقوة الحرب بالاستعارات المكنية فى البيت الثانى, والتى جعلت من الحرب ناقة سرسةً تأبى الانقياد لحالبها " فتكون شُبِّهَت بالحيونات التى تعضُّ بالأسنان والأنياب وحُذفَ المشبَّه به ورُمز إليه بالعض وفى هذا

تصوير لها بأنَّها مؤذيةٌ غشومٌ تؤلم الناس وتوجعهم " [1]

ثمَّ فرَّع من هذه الصورة صورة رائعة – يوضِّح بها خبرة قومه وتمرسهم بفنون الحرب ودروبها – وهى الاستعارة التمثيلية فى البيت الثالث ,حيث يشبِّه هيئة قومه فى إتقانهم لفنون القتال والمراوغة والخُدع الحربية التى تجعل المعركة تنقاد لهم بعد شدَّة وتلين بعد إباء بهيئة الحالب الماهر الذى يعصِب ضرع النَّاقة سيئة الخلق حتى تزدحم ضرعها باللبن فتنقاد لحالبها بعد عصيانٍ وتدرُّ اللبن بعد منعها إياه .

والأبيات تحمل نبرة فخر عالية مختلطة بالوصف ، ويساعد الأسلوب على تعالى نبرة الفخر ، فهو يحذف الفعل (سل) من صدر البيت الثانى ليسارع إلى ضمير الفاعلين فى قوله " بنا " ويعدل عن حرف الجر " عن" إلى " الباء "فى قوله" بنا"وذلك ؛ لأنَّ الباء تدل على "الاستغراق " [2] ، فهذا الأمر وهو الخبرة فى القتال شأنهم جميعاً, ، وقد جاء بأداة الشرط إنْ والتى تدلُّ على الشكِّ فى الفعل (قلَّصت), وهذا يعنى أنَّ الحرب قليلاً ما تستعصى عليهم ، ثمَّ هو يقدِّم ما يشعر بجواب الشرط وهو قوله " بنا كيف نفعل " ,فيجعل الجواب مفتوحا أمام الخيال ليذهب فيه كل مذهب ، فهو وإن لم يوضِّح بجوابٍ معينٍ ، فقد أعطى ما هو أبلغ من كل بيان ، ثم إذا به يفصِّل جواب الشرط فى أسلوب تقريرى عادلاً عن الأسلوب الخبرى إلى الاستفهام التقريربحيث يقول "ألسنا نشدُّ عليها العصاب" ، ثم يأتى بحتى الغائيَّة والتى تدل على طول المدة ، ومعنى ذلك أنَّهم قومٌ عقلاءٌ ذوو صبر لايتعجلون الأمور – وهكذا يساند النظم الصور البيانية ويسهم فى تلوينها بظلال وإيحاءات وهكذا ترى أن " الإصابة فى مواقع حروف المعانى يكون من النظر فى تخليص المعانى وتحديدها وتعليق بعضها على بعض " [3]

---

(1) الاستعارة فى لسان العرب ص101 ط مكتبة وهبة ط أولى 1421هـ/2000 م.

(2) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم د/ محمد الأمين الخضرى ص191/190 - ط مكتبة وهبة ط أولى 1414هـ /1993م.

(3) القوس العذراء ص45 .

ثمَّ يكنِي عن شدَّة حرارة هذا ا...له بالبيتين الخامس والسادس , ثم صوَّر أثر هذه الشدة على المتحاربين الأبطال بصورةٍ تشبيهيَّة رائعةٍ ,، حيث يلوح له مشهد من مشاهد المعركة وهو مشهد الأبطال الذين غشِيَتهم المعركة وأخذتهم الحماسة فى حالة

من الحماسة بين الوعى وعدم الوعى فيجد أقرب هيئة تُشبِهها هذه الهيئة هى هيئة السكارى فى حركاتهم المترنّحة ونظراتهم الذَّاهلة وانكبابِهم وتهافتهم على الخمر اللذيذة بالنسبة لهم ، واستخدامه الفعل " تخال "كأداة تشبيه لقرب الهيئة من الهيئة [1]

وقوله" بأعراضه" – كناية عن الشجاعة والقوة – وذلك ؛ لأنَّ الكماة قبل أن ينتهى بهم المطاف إلى أعراض ميدان القتال قطعوا مسافةً كبيرةً بين جموع المقاتلين حتى وصلوا إلى جوانب الميدان , وهذا دليلٌ على تحرُّكهم وسط هذا الجمع الحاشد من المتحاربين فى سهولةٍ ويسر دون أن يُصابوا بأذى ، كما أنَّ فيها مناسبة لهيئة المشبه به ؛ لأنَّ السكارى يتمايلون ويترنحون حتى ينتهى بهم المطاف إلى أركان المكان الموجودين فيه ، وحرف الجر " على " يوحى بالانكباب والحرص والتهافُت وهو مناسبٌ للمشبَّه والمشبَّه به , مسهمٌ فى بيان الهيئة فالأبطال منكبُّون على القتال لحرصهم على النَّصر والثِّمال منكبُّون على الخمر لتلذُّذِهم بها ، وحذف الموصوف فى قوله " على لذة " يسهم فى عمق الصورة والتقدير" ثمالا على خمر لذة " ، وقد حذف الموصوف للتركيز على الصِّفة " لذة " لأنها محور الصورة ، بل محور الأبيات ، فيالها من لذة عندما يستدرُّون الحرب فتلين بعد امتناع ، عندما يثْبتُون فى هذا اليوم شديد حرارة الجو , شديد حرارة القتال ، ويالها من لذَّةٍ حين يتهافتون على الأعداء يقطفون رؤوسهم .

---

(1) انظر ص(173،174) من هذا البحث

ثم يكمل الصورة فى البيت التالى فيضع 110 الأخيرة على هذه الصورة ليتم له تناسق ألوانها ، وذلك بالاستعارة المكنية فى قوله "كؤوس المنايا "، حيث شبَّه الموت بشراب وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى الكؤوس ، وتشبيه الموت بالماء

وإثبات حياضٍ له أو كؤوس يدل على وفرة أسبابه وسهولتها كما سبق أن أشرت فى تحليل أبيات سابقة (1).

(1)راجع ص 100من هذا البحث

(3) وصف الحرب وشجاعة المسلمين فيها

وترى عبد الله بن رواحة هو الآخر يصور الحرب بشئ من الدقة والتفصيل لأنه كان مجاهدا، حيث يقول [1][من الطويل]

ومعتـركٌ[2] ضـنكٌ[3] تـرى المـوتَ وسـطه ... مشَينا له مَشىَ الجِمالِ المَصَاعِبِ[4]

بِخُرسٍ[5] ترى المَاذِيَّ[6]فوق جلودِهم ... وبيضـاً نِقـاءً مثـل لـون الكواكـبِ

أسُودٌ متى تُنضَ [7] السيوف تَضَارَبِ

يصف فى هذه الأبيات المعركة وشدتها ، ثم ينتقل إلى وصف شجاعتهم فيها، فهم كالأسود ، متى تتقابل مع أعدائها تتعارك فى شدَّة ، وقد عبَّر عن شدَّة الحرب أولاً بالحقيقة فى قوله " معترك ضنك " ثم عبَّر عن بشاعة وشدَّة هذه الحرب بالمجاز المرسل وذلك فى قوله " ترى الموت وسطه "، حيث عبَّر بالموت عن أسبابه ووسائله ، مبالغةً وتبشيعاً لهذا المشهد ، وعلاقة المجاز هنا المسببة حيث أطلق المسبَّب وأراد السبب ، وانظر إلى بلاغة هذا المجاز كيف ينفذ مباشرةً إلى القلوب ويملؤها رعباً وفزعاً ، حتى إنَّه ليتبادر إلى ذهن السامع وخياله مشهد الموت واقفا وسط الميدان يحصد الأرواح حصداً ولما كان هذا هو حال الحرب أراد أن يثبت لقومه شجاعةً وأنَّهم لايعبأون بمثل هذه الصعوبات فقد ألفوها وتعودوا عليها ، وذلك بالصُّورة التَّشبيهيَّة " مشينا له مشى الجمال المصاعب "

---

(1) ديوانه ص 124 قصيدة (5) .
(2) معترك / المعترك موضع الحرب / اللسان 122/10 مادة (عرك).
(3) ضنك / الضنك الضيق من كل شئ / اللسان / 66/9 مادة (ضنك).
(4) المصاعب / الجمل المصعب الذى لم يمسسه حبل أو يُركب / اللسان 237/8 مادة (صعب) .
(5) خرس / كتيبة خرساء : إذا صمتت من كثرة الدروع أى لم يكن بها قعاقع / اللسان 43/2 مادة (خرس) .
(6) الماذى / الماذيَّة : الدرع اللينة السهلة / اللسان 149/14 مادة (مذى) .
(7) تنض / نضا السيف نضوا وانتضاه : سله من غمده / اللسان 285/14 مادة (نضى) .

فقد شبَّه مِشيَه قومه إلى الحرب الشديدة العسيرة ، فى عزة وشموخ بالجمال بجامع العلو والشموخ فهم " يمشون للحرب فى قامات مديدة ، ووجوه بيضاء مشرقة ، ليست خائفة ، ولا مرعوبة ولا عابسة " [1] وهذا التشبيه صورة من صور التشبيه البليغ الاصطلاحيَّة وهى الصورة المصدريَّة , وقد ذكر عبد الله فى صدر البيت ما يناسب تشبيهه قومه بالجمال وهو قوله " معترك " " فالعراك من معانيه ازدحام الإبل على الماء " [2] وانظر إلى المفارقة بين سيرهم فى نظام إلى هذا المكان الذى من أهم صفاته اللجب والتخبُّط والاضطراب " فالمعترك فيه حركة عشوائية " [3] ، وبعد أن صوَّر قوتهم وشجاعتهم شرع فى وصف أسلحتهم ، وقد بدأ بوصف الشجاعة وقوة البأس قبل وصف الأسلحة " ؛ لأنَّ القلب الذى يحمل السلاح إذا لم يكن قلباً أبيَّافليس للسِّلاح فى يده قيمة " [4] ، بعد أن صوَّر قوَّتهم وشجاعتهم شَرِع فى وصف أسلحتهم ، فشبَّه البيض بالكواكب فى نقاء لونها ، وأرى أنَّه خصَّ البيض بهذه الصورة التشبيهية مع إجماله الحديث عن الأسلحة فى الشطر الأول " الماذى " لأنَّه لمَّاشبههم فى البيت الأول بالجمال – فى ارتفاع قاماتهم وإشراق وجوههم – ولما كانت رؤوس الجمال هى أعلى وأبرز ما فيها ركزّ هنا فى الصورة على أعلى جزءٍ فيهم وهو الرأس ، فوصف ما يتوّجه ويجعله بارزا واضحا أزهر اللون ,والتشبيه مرسل مفصَّل لأنَّه ذكر الآداة وصفةً تنبىء عن وجه الشَّبه وهى "نقاءً" , ، وقد استخدم اداة التشبيه "مثل" لقوة الشبه بين الطرفين ,وسبق أن ذكرت أنَّ هذه الأداة تستحدم حين يقوى الشبه , وكأنَّ التشبيه وصل إلى درجة التشابه .

---

(1) قراءة فى الأدب القديم ص 88.
(2) الاستعارة فى لسان العرب أحمد هنداوى هلال – ص23 - ط وهبة ط أولى 1421هـ /2000م.
(3) دراسة فى البلاغة والشعر ص178 .
(4) قراءة فى الأدب القديم ص88 .

ثم يعنُّ له مشهد المحاربين وهم مستظلُّون بدروعهم من وهج الشمس المحرقة فيتبادر إلى ذهنه هيئة قريبة من هذه الهيئة المتحفِّزة ، فهم يجلسون فى تأهُّبٍ انتظاراً لبدء المعركة وما من شكٍّ أن المتأهب يجلس على قدميه ، فشبّه هذه الهيئة بهيئة الأسود إذا كانت متأهبة للعراك فإنها تجلس على أرجلها الخلفية دون أن تضطجع وتبدأ المناوشات الصوتية أولاً فإذا ما بدأ العراك نهض كلٌ منهم يتبادل الضربات مع غيره .

(4) وصف الحرب وتشبيهها بالناقة

يقول كعب بن مالك "[1] [من البسيط]

فـلا تمنَّـوا لقـاحَ الحـربِ واقتَعِـدُوا ... إنَّ أخاالحربِ أصَدباللونِ[2]مشعولُ[3]

إنَّ لكـم عنـدنا ضـرباً تَـراحُ[4] لـه ... عُـرجُ الضِّـباع لـه خـذمٌ[5]رَعابيـلُ[6]

إنَّـا بنُـو الحـربِ نُمريهـا ونُنتجُهـا ... وعنـدنا لـذوى الأضـغانِ تنكيـلُ[8]

يهدِّد كعب كفار مكة , ويحذِّرهم عاقبةَ سعيهم لإشعال الحروب ؛ فمن يلازم الحروب ويؤاخيها يظهر أثرها وشقاؤها عليه , ثمَّ يتوعَّدهم بإسقاطهم قتلى ليكونوا طعاما سائغاً لمن لا يجد له طعاما من الضباع ، ثم يفخر بخبرة قومه فى الحروب ، ومعرفتهم بخباياهاوأسرارها ، وتعلو لهجة الاستعلاء فى هذه الأبيات , وتظهر جليةً من أوَّل كلمة فى المقطوعة، حيث بدأ بلا الناهية ، وحذف التاء من الفعل " تتنمنوا " وذلك من باب إمساس الألفاظ أشباه المعانى ، فالكلمة بعد حذف التاء خفيفة ، تنتقل فيها من حرف إلى حرف فى يسرو سهولة ، كما أن المتمنى للشئ يتخيَّلُه ويرسم أحداثه فى عالم من نسج خياله ويراه واقعا ماثلا أمامه محقَّقا فإذا اصطدم بالواقع رآه من المستحيلات ، ومما يزيِّن للإنسان تحصيله بسهولة الانتصار فى الحرب " ؛ لأنَّ الرايات فى الحروب لا تنصب إلا مع قوة الطمع فى الغلبة "[9]

---

(1) ديوانه ص 255، 256 قصيدة (50) يجيب فيها عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب في يوم أحد .

(2) أصدى اللون / لونه بين السواد والحمرة .

(3) مشعول / نار مشعلة : ملتهبة متَّقدة / اللسان 95/8 مادة (شعل) .

(4) تراح / أراح اللحم أى أنتن والامتراح التشمُّم / اللسان 254/6 مادة (ترح) يقصد أن الضباع تأتى على رائحة نتن لحومهم بعد مقتلهم .

(5) خذمٌ/ خذمه : قطَّعه بسرعة / أساس البلاغة ص 106 مادة (خذم).

(6) رعابيل / رعبل اللحم رعبلة : قطَّعه لتصل النار إليه فتنضجه / اللسان 172/6 مادة (رعيل).

(7) نمريها / مَرَيتُ الناقة : إذا مسحت ضرعها لتدر / اللسان 63/14 مادة (مرى) .

(8) تنكيل / يقال نكَّلت بفلان إذا عا قبته فى جرم أجرمه عقوبةً تنكِّل غيره عن ارتكاب مثله / اللسان 256/14 مادة (نكل) .

(9) لسان العرب جـ 10- ص 122- .

ثمَّ يأتى بالاستعارة التى يصوِّر فيها الحرب بالناقة التى لقِحت على سبيل الاستعارة المكنية ، وما أشبه الحرب بالناقة من الجهة التى قصدها الشاعر فإنَّها بمجرد أن تبدأ فلا يستطيع أحد أن يوقفها كالنَّاقة إذا لقحت فإنَّها لا تلبث أن تمر بمراحلها حتى تنتج ، وألمح التهديد أيضا فى هذه الاستعارة فهو يقصد أنَّهم قوم لا يُستبَاح جانبهم فأى شئٍ يمسُّهم ولو كان يسيراً فإنَّه يؤدى حتماً إلى حربٍ طاحنةٍ ، ثم يُتبِع الشاعر الاستعارة بالفعل الأمر " اقتعدوا" بصيغة الافتعال ، فالأمر يدل على الاستعلاء الذى يسيطر على الأبيات ، وصيغة الافتعال تدل على المغالبة والمدافعة وكأنَّه يريد أن يقول لهم غالبوا أنفسكم ولا تتَّبعوا هواها ، وذلك ؛ لأنَّ القعود عن الأخذ بالثأر ثقيلٌ على نفوسهم ، ثم يفصل بين شطرى البيت لشبه كما الاتصال ، ثمَّ يكنِّي عن ملازمة الحروب وأهوالها بالأخوة كنايةً عن نسبة ، ثم يكنِّي عن إيذائها وتأثيرها بالضَّرر فيمن يلازمها ويسعى إليها بقوله " أصدى اللون مشعول" . وهى أيضا تدلُّ على التهديد.

وفى البيت الثانى تتصاعد لهجة التهديد والاستعلاء وتصبح أكثر تصريحاً عن البيت السابق ، فيبدأ بالتوكيد بإنَّ على ما سيلقيه من كلام وذلك ؛ لأنَّ ما سيخبرهم به أمرٌ مستبعدٌ بسبب كبرهم ، وعنادهم إذ كيف يُهزمون مرةً ثانيةً من المسلمين ، ثم يؤكِّد المعنى ويقرِّره بتقديم الجار والمجرور (لكم) على اسم إنَّ تأكيداً لمضمون الجملة فكأنَّ آداة التوكيد وخبرها المقدم سوط عذاب يفيئون به إلى الحقيقة .

ثمَّ يفاجئهم بمشهدٍ بشع تجزع وتنخلع له القلوب ، فذكر الموت فى حد ذاته أمرٌ مخيفٌ تحيد عنه النفس وتكرهه لما فيه من انقطاع عن الحياة وفساد للجسد , فما بالنا بمن يتخيل نفسه ، وقد أصبح مرعى للضباع يقطِّعون أوصاله ويأكلون عظامه فضلا عن لحمه ، وهذه المعانى التى تتعالى بلهجة التَّهديد حملتها الكناية فى قوله " تراح لها عرج الضباع له خذمٌ رعابيل " فهى كناية عن كثرة القتلى وتناثر لحومهم فتفرح السباع العرجاء لأنَّها وجدت طعاماً سهلاً لا يحتاج إلى قوةٍ ومهارةٍ فى الحصول عليه ، ثمَّ تصاعد بلهجة الفخر المشوب بالتهديد عندما صدَّر البيت الثالث بالضمير " نا " مسبوقاً بأداة التوكيد"إنا" , ثمَّ أتبعه بكناية عن الشجاعة والخبرة والتمرُّس بالحرب ، والعلم بها لطول الممارسة والملازمة فى قوله "إنَّا بنو الحرب " وهى كناية عن نسبة الخبرة والتمرُّس لهم .

ثمَّ استولَد من هذه الكناية استعارة مكنية غاية فى الجمال والدِّقة، حيث شبَّه الحرب بالناقة يستدرُّون ألبانها ويستولدونها فيستفيدون منها غاية الإفادة ، وقد استعار هذا المعنى للحرب ؛ لأنَّهم لمَّا خبروها ونشأوا فى كنفها فقد صارت مذلَّلةً لهم يوجِّهونها الوجهة التى يريدونها ، ويتحكَّمون فى سيرها لصالحهم فيبدأونها فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب وهذا فخرٌ مشوبٌ بالتَّهديد ، ثم انتقل إلى التَّهديد الصريح المشوب بشيءٍ من الفخر فى قوله " وعندنا لذوى الأضغان تنكيل ", ويُلاحَظ الفارق بين حديثه عن قومه فى الجاهلية والإسلام ، فقد كانوا فى الجاهلية يعتدون على الناس دونما تمييز، حيث يقول [1]

وكنَّـا شـهاباً يتَّقـى النَّـاس حـرَّه ويفرُج عنه من يليه ويُسفَع

أمَّا الأبيات التى معنا فقد خصَّ " ذوى الأضغان " بالتَّنكيل ، و قدَّم ذوى الأضغان لتخصيصهم بالتنكيل ، وليُعلم أنَّ الحرب لم تعد شهوة مجنونة تطغى على كل من يقابلها وإنما أصبحت سلاحاً موجَّها لأعداء الله فقط ، وفى إضافة ذوى للأضغان دلالة على ملازمة الأضغان لهم .

---

(1) ديوانه ص 228قصيدة (33)

ثالثا : وصف الموت وبيان حقيقة الحياة

يقول عبد الله بن رواحة مخاطبا نفسة يوم مؤتة بعد استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب فدخلة شئ من الروع فقال يستنزل نفسة ويشجعها [1] [من مشطور الرجز]

1- أقسمتُ يانفس لتنزلنَهْ
2- طائِعةً أولا لتكرهنَّهْ
3- إن أجلَب النَّاس وشدُّوا الرنَّهْ [2]
4- مالي اراك تكرهين الجنّهْ
5- قد طالما كنتِ مطمئنَّهْ
6- هل أنتِ إلا نطفةٌ في [3] في شنَّهْ [4]

يشجِّع عبد الله نفسه ويدفعها إلى الشهادة ويسوقها إليها بالإقناع والرفق ، فيذكِّرها بالجنة ، وبأنَّه وإن كانت الحياة محببة غالية عندها ، إلا أنَّها هالكة لا محالة عاجلاً أو آجلاً ، والصورة فى هذا البيت " هل أنت إلا نطفة فى شنة" ، صورة تشبيهية رائعة ، حيث شبَّه روحه الغالية العزيزة عليه فى جسده الفانى لا محالة ، بماء قليلٍ صافٍ فى قربة بالية سرعان ماتُثقب فينسكب هذا الماء ويسيل ،والتشبيه مؤكَّد مجمل , وهذه الصورة معبِّرة أيمَّا تعبير عن زوال الدنيا وحقارتها ، وبيان حتمية الفناء ليردَّ نفسه إلى الثَّبات ، والنظم أسهم إسهاماً كبيراً فى تجلية الصورة ،فقد عمد عبد الله إلى أسلوب القصر ، لتأكيد الحقيقة التى يصورها .

---

(1) ديوانه ص153 قصيدة (26) .
(2) الرَّنه / الرنه : الصيحة الحزينة / اللسان 238/6 مادة (رنن) .
(3) نطفة / الماء الصافى قلَّ أو كثُر مختار الصحاح صـ357.
(4) شنة / القربة الخَلَق الصغيرة- الوجيز- 352 .

وذلك لما للنَّفس من إباء وإحجام إذا كانت مقبلة على الموت لا محالة ، وقد حذف أداة التشبيه للغرض نفسه وهو التأكيد على هذه الحقيقة التى يصورها لما فى حذ ف الأداة من دعوى اتحاد الطرفين فكأنَّ النفس حقيقةً ماءٌ فى قربةٍ باليةٍ . إنَّه يؤكد بهذه المؤكدات لأنَّه مقبلٌ على الموت ويرغب فى أن تتلقاه نفسه راضيةً مطمئنةً حتى تنال ثواب الشهادة كاملاً ، كما أنَّه يسُوسُها ويروِّضها بأسلوب الاستفهام الذى يفيد النفى " ، وقد يأخذ الاستفهام بهل معنى النفى " بما" فى كثير من المواضع ولا تخلو حينئذ من التقرير " [1] ، كما أنه يثبتها بتذكيره إياها بثباتها في قوله " قد طالما كنت مطمئنة " مستخدما " قد " التي تفيد " التحقيق " والفعل " طال " الذي يدل على طول مدة ثباتها .

ومقامات الاستفهام التقريرى كما يقول الاستاذ الدكتور صبَّاح دراز " مقامات خاصة فيها قوة الإقرار وفورة الحق"[2] فهو لا يريد أن يصطدم بها لأنَّها نفسٌ إنسانيةٌ تكره الموت فهو يريد أن يقنعها دون أن يقسوَ عليها ويكفيها عناء انتظار الموت عيانا فى أى لحظة .وأسلوب النفى المباشر باستخدام (ما) أسلوب عنيف يُقارَع به المنكرون وهى ليست بمنكرة وإنمَّا هى متوجسةٌ خائفةٌ بفطرتها فالمقام مقام وعظٍ وإقناعٍ وترويضٍ ثمَّ انظر إلى حذفه أداة النداء فى قوله " جعفر ما أطيب ريح الجنة " وذلك لضيق المقام وشدَّة الموقف ، ولقرب جعفر من نفسه وإحساسه بأنَّه عمَّا قريبٍ سيكون معه ، كما أنه يناد يه لأنَّه يعلم أنَّ الشهداء أحياءٌ عند الله حياةً حقيقيةً ,قال تعالى "

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (3)

ولصوت النون المشدَّدة وغنَّتها والوقوف عليها قليلاً إيحاءٌ بالثَّبات والتسليم والاطمئنان لأمر الله وقضائه وهى أمور تدور حولها الأبيات ، كما أنَّ لصوت الهاء الساكنة إيحاءٌ بقِصَر النفس وضيق المقام .

---

(1) الجنى الدانى فى تذوق المعانى د/ عبد الحليم محمد شادى ـــص101/ ط الأمانة أولى 1407هـ /1987 م.

(2) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية أ.د صباح دراز ص208 مطبعة الأمانة 1986م

(3) سورة آل عمران آية 169 .

رابعا : وصف الأرق

(1) وصف الحزن وطول الليل

يقول كعب بن مالك [1][من الكامل]

نـام العيـون [2] ودمـعُ عينـك يهْمُـلُ [3] سحَّاً[4] كما وكَفَ [5] الطَّبابُ [6]المُخَضلُ[7]

فـــى ليلـــةٍ وردت علـــىَّ همومهـــا طـــوراً أحـــنُّ [8] وتـــارةً أتململـــلُ [9]

واعتـــادنى حـــزنٌ فبـــتُّ كـــأنَ َنى ببنـــاتِ نعـــشٍ[10] والسُّـــماك موكَّـــلُ

وكأنَّمـــا بـــين الجـــوانحِ [11] والحشـــا ممَّـــا تـــأوَّبنى شـــهابٌ مُـــدخَلُ

ينقل إلينا كعبٌ أحزانه وآلامه فى صورة محسوسة فى هذه الأبيات ،حيث يصوِّر دموعه بقطراتٍ لا تنقطع تتساقط من قربة ماء ، بسبب تداعى الأحزان إليه ، فبات حزينا مؤرَّقا ، ينظر إلى السماء لا يتحول عنها ،كأنَّه موكَّل برعاية نجومها ، وتحولت الأحزان والآلام إلى نارٍ فى قلبه تمنعه النوم فانهرت دموعه بسبب هذه الأحزان على شهداء مؤته , ويصوِّر كعب كثرة دموعه وانهمارها من عينيه بقطرات الماء التى تقطر من الخرز تحت الطباب المبتل .

---ال----------

-

(1) ديوانه-ص0260 قصيدة (52)

(2) العيون / قَيل العين أهل الدار / اللسان 359/1 مادة (عين)

(3) يهمل/هملت عنيه تهمُل ، وتهمِل همـلا ، وهمـولا وهملانـاً وانهملت :فاضت وسالت / اللسان 93/15

(4) سحَّاً / سيل ساحية :يقشر كلى شئ ويجرفه:اللسان 143/7 مادة (سحح) ويقصد (دمعا كثيرا)

(5) وكَفَ / قطر- مختار الصحاح 391

(6) الطبابة جلدة مستطيلة توضع مثنية على طرفي الجلد إذا خيطا لتغطي الخرز وتمتنها – الوسيط مادة " طب " ص 549 .

(7) المخضل / الخضل والخاضل:كل شئ ندٍ يترشَّش من نداه فهو خَضِلٌ / اللسان 5/(خضل)

(8) أحن / حنَّ قلبى إليه فهذا إيزاع واشتياق من غير صوت / اللسان 252/4 مادة (حنن)

(9) أتململ / تململ : إذا نبا بالرجل مضجعه من غمٍّ أو وصبٍ وهو : تقلبه على فراشة / اللسان 129/14

(10) بنات نعش / سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش / اللسان 298/14 مادة (نعش)الجوانح / أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر اللسان 213/3 مادة (جنح)

وقد أجاد كعب فى هذه الصورة ، حيث إنَّ الدموع تشبه فى تكوينها وحجمها وهيئة نزولها من أعلى إلى أسفل على الخد تشبه هذه القطرات التى تتسرب من خرز المزادة وتتجمَّع على الطِّباب ثم تنزل إلى أسفل ، واختيار الشاعر للمزادة اختيار موفق لأنَّه بجانب مناسبة هيئة تقاطر الماء منها ، لهيئة تقاطر الدموع من العين ، ففيها أيضاً مراعاةٌ لمدة نزول الدمع من العين ، وذلك ؛ لأنَّ المزادة تكون مملوءة بالماء مما يجعل القطرات متوالية لا تنقطع لمدة طويلة ,كما أن الدموع هى الأخرى تظلُّ منهمرةً لفترةٍ طويلةٍ بسبب توارد وتكاثر الهموم والأحزان ، فكأنَّ الماء الكثير فى المزادة مقابل المهموم والأحزان فهذه تزوِّد صاحبها بالدموع وتلك تمدُّ الخرز بقطرات الماء . ومن جمال هذا التشبيه التوافق التام بين المشبه والمشبه به ، ففيه مراعاة دقيقة لهيئة تساقط قطرات الدموع وقطرات الماء , فالدموع تسير فى خط على الخد ، ثم تتجمع أسفل الوجه – غالبا – وكلما تكونت قطرة فى حجم معين سقط وتكون غيرها , وكذلك تسير قطرات الماء على الطباب بعد خروجها من خرز السقاء ثم تنحدر إلى أسفل وتتجمع ، وكلَّما تكوَّنت قطرةٌ فى حجمٍ معين سقطت وتكوَّن غيرها . إذن ففى هذا التشبيه مراعاةٌ للهيئة والمقدار ، بل واللون أيضا ؛ لأنَّ الدموع فى لون الماء ، ويُلاحظ أنَّ فى البيت حشواً فى قوله " ودمع عينك ," فقوله "عينك "حشوٌ ؛ لأنَّ الدموع لا تكون إلا من العين ، وقد صنّف العلماء هذا النوع على أنه حشو غير مفيد كقول الشاعر :

نـــأت ســـلمى فعـــاودنى صـــداع الـــرأس والوصـــب

" فالرأس حشوٌ ، لا فائدة فيه، ؛ لأنَّ الصداع لا يكون إلا فى الرأس "[1] وأرى أنَّ الحشو فى بيت كعب له فائدةٌ؛ هى إشارته إلى وحدته فإضافته العين إلى ضمير المخاطب الذى يعنى به نفسه دلالة على تخصيصه إياها بالدموع وأنَّه لا يشاركه فى دموعه أحدٌ ، بدليل قوله فى صدر البيت نام العيون ، كما أنَّ فى هذا الحشو إشارة إلى مشاركة أعضائه له فى حزنه على هؤلاء الشهداء وفى البيت تجريد بمخاطبة المرء , فكأنَّه لمّا فقد الأنيس جرَّد من نفسه مخاطباً لعلَّه يشعر بالأنس فى هذه الوحدة.

---

(1) البديع فى البديع لأسامة بن منقذ ص 209 ت عبدا على مهنا ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1407هـ /1987م .

ثمَّ انتقل فى البيت الثانى لبيان س 121 هذه الدموع الغزيرة والسبب ليلةٌ عصيبةٌ

تجمَّعت فيها عليه الهموم والأحزان ، وقد بدأ البيت بفى الظرفية " فى ليلة " وكأنَّه غارقٌ فى هذه الليلة ، ثم يبيّن ثِقل هذه الليلة باستخدام لحرف الجر "على" ، وهذا الحرف مع دلالته على الفوقية والثقل فإنَّ له إيحاءً بمزيدٍ من الثِّقل والذى يوحى به إدغام ياء المتكلم فى ياء الحرف " علىَّ " , كما أن تقديمه " الجار والمجرور على المسند إليه يدل على وحدته في استقبال الهموم ، ويُلاحَظ أنَّه بدأ الأبيات بصيغة الخطاب ثم التفت إلى التكلم ، ولعلَّ مقصده بالابتداء بالخطاب أن يلمِّح أنَّ من شأن هذه التجربة التى يعيشها أنْ تكون شأناً عاماً لجميع المؤمنين الذين أُصيبوا بهذه المصيبة ثمَ عاد إلى التكلم لينقل إلينا تجربته الفردية التى عاناها .

ثمَّ يصوِّر أرقه وألمه فى البيتين الثالث والرابع ، ففى البيت الثالث يشبِّه حالة الأرق التى انتابته بسبب حزنه – فصار ينظر إلى السماء – بمن هو موكَّلٌ برعاية النجوم حتى تغيب ، ولمَّا كان المؤرَّق غالباً ما يترك فراشه وينهض إلى الخلاء ولما كانت الطبيعة السماوية بما فيها من مصابيحَ زاهرةٍ ، هى أول ما يلفت الأنظار ، ويأسر الألباب ، وتسحب الفكر إلى التأمُّل فيها والانشغال بعض الشئ عن همومه وأحزانه ، فقد شبَّه أرقه ونظره إلى نجوم السماء بصفةٍ دائمةٍ طوال الليل بمن هو موكَّلٌ برعاية شيءٍ بجامع دوام المتابعة والمراقبة , وقد دلَّل على استغراق الأرق الليل كلَّه بقوله " فبتُّ " بمعنى أنه استغرق الليل كلَّه يرعى النجوم ، كما دل على هذا المعنى أيضا التعبير بالفعلين المضارعين " أحن ، وأتململ " فهما يدلان على التجدد والحدوث ، وتقديم الجار والمجرور وما عُطف عليه " ببنات نعش والسماك موكل " للتَّخصيص ، بمعنى أنَّ نظره لا يتعدَّى هذه النجوم إلى غيرها وهذا يناسب المحزون المكروب " [1] ثمَّ يأتى التشبيه فى البيت الرَّابع ليؤكِّد معنى الأرق ويتصاعد به فلم يعد الأمر مجرَّد أرقٍ بسبب الآمه النَّفسية , وإنَّما اشتدت عليه هذه الآلام حتى صارت آلاماً حسيةً يشعر بها فى صدره وقلبه .

---

(1) انظر ص(188،189)من هذاالبحث

فهو يشبِّه الآلام النفسية التى تمنعه النَّوم بآلام من أُدخل فى جسده شهابٌ محرقٌ , وخصَّ المنطقةالتى بين الجوانح والحشا لأنَّها منطقة الصَّدر ويوجد فيها القلب وهو موطن الأحاسيس والمشاعر ، وعبَّر عن دوام الألم واستمراره بقوله " مُدخل " أى داخل جسده فألمه وحرارته لا تفارقه ، وهكذا عبَّرت الأبيات عن حالة كعب النفسية خير تعبير ، وهذه هى قيمة العمل الأدبى بصفةٍ عامة والتصوير البيانى بصفةٍ خاصةٍ والتى تكمن فى " قدرته على تصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعوريَّه والتعبير به وكشفِ العوامل النفسية التى اشتركت فى تكوينه " [1]

---

(1) النقد الأدبي أصوله ومناهجه الأستاذ / سيد قطب ص 6 بتصرف يسير ط رابعة ط دار الشروق 1400 هـ .

(2) وصف الأرق بسبب الخوف

وكما وجدنا فى الأبيات السابقة تصوير كعب لأرقه بسبب حزنه وآلامه ، يصور حسان فى هذه الأبيات أرقه بسبب خوفه من فراق محبوبته وشتان ما بين العاطفتين [1]
يقول حسان [2] [من الطويل]

تطــاول بالخمَّــان[3] ليلــى فلــم تكــد ... تهــمُّ هـوادى[4] نجمِـه أنْ تصوَّبا(5)
أبِيــت أراعيهــا كــأنّى موكَّــلٌ ب ... هامــا أريــد النَّــوم حتــى تغيَّبــا
إذا غــار منهــا كوكــبٌ بعــد كوكــبٍ ... تراقِــبُ عينــى آخــرَ الليــلِ كوكبــا
غــوائِرُ تتــرى مــن نجــومٍ تخالهــا ... مــع الصبح تتْلوهـا زواحـفَ لُغَّبَـا[6]
أخــافُ فُجــاءاتِ الفــراقِ ببغتــةٍ ... وصرفِ النوى من أن تُشِتَّ وتشْعَبَا

يصف حسان فى هذه الأبيات أرقه وسهره بسبب قلقه وخوفه من رحيل محبوبته, فيصوِّر حالته هذه من نظره إلى النجوم وعدم رغبته فى النوم بمن هو موكلٌ برعاية شىءٍ ، لا ينام حتى يبيت فى مكانه , ، وقد جاءت الصور البيانية مصوِّرةٌ لهذه المعانى خير تصويرٍ ، فهو يصور هيئة وهو مؤرَّق ينظر إلى نجوم السماءِ يراقب أفول نجومها نجما بعد آخر بهيئة من يرعى إبلاً لا يفارقها إلا بعد مبيتها , ثمَّ شبَّه هذه النجوم فى بطء حركتها بالإبل المتعبة من السير ، وقد جاء النظم مجليّا للصورة تماما ، فالفعل أبيت يدل على استغراق الليل كله وهذا المعنى الذى يوحى به الفعل متناسب مع الصورة فى البيت .

---

(1) انظر ص(187،188) من هذا البحث (موازنات). (2) ديوانه ص 148 قصيدة (38)
.(3) الخمَّان اسم موضع من أرض الثنيَّة من دمشق (4)هوادى / الهادية من كل شئ أوَّله وما تقدم منه / اللسان 43/15 مادة (هدى) (5)تصوبا:تغربا.
(6) لغبا / اللغوب : التعب والإعياء / اللسان 210/13 مادة (لغب) .

وتوالى الفعلين (أبيت ، أراعيها) – مع دلالتهما على التجدد والحدوث –

يوحيان بتتابع الأفعال الصادرة منه وهذا يناسب المورَّق بسبب عاطفة الحب ، ويناسب من يرعى شيئاً موكلاً به فإنَّه يشقُّ على نفسه ويروح ويغدو عليه دون غفلة أو إهمال ، كما أنَّ استخدام الفعل " أراعيها " دون " أرعاها " يدلُّ على مزيد من الاهتمام والملاحظة ، وألمح فى هذه الأبيات ظلالا نفسية أسقطها حسَّان على صوره فى هذه الأبيات، حيث إنَّ المراقبة فى البيت الثانى والثالث كما أنها من صفات الإنسان الذى يرعى إبلاً أو ماشية ، فهى أيضا من أهم ما يوصف به المحب العاشق الخائف من رحيل محبوبته ، فهو يترقَّب أخبارها ، ويتحسَّس حركاتها وتنقلاتها خشية الرحيل ، وأيضا استخدامه الإبل كعنصر من عناصر الصورة فى الأبيات لتعلقه بالابل ، وحضور هيئتها فى خياله وهى تحمل أحبته لتأخذهم بعيدا عنه وتفرقِّ بينهم وبينه ؛ لذلك فإنَّ "البليغ والناقد فى حاجة إلى الألمام بطرف من علم النفس لأنَّه يساعد على استبانة المؤثِّرات النفسية فى النصِّ الأدبى " [1]

---

(1) ملامح النقد الأدبى بين القديم والحديث د/ عبد الرحمن عبد الحميد على ص22 بمطبعة الجامعات 1400 هـ 1980م.

خامسا : وَصْفُ الجُرُوحِ

إنَّ مشهد الجراح والطعنات وتدفُّق الدماء من هذه الجراح مشهدٌ رئيسٌ مكرَّرٌ فى كلِّ المعارك ، وقد تناولته ألسنة الشعراء بالوصف ، ولكن هناك نوعان من الجراح ، جراحٌ توصِّل إلى النَّار وهى جراح مَهينةٌ فى سبيل الشيطان ، وجراحٌ هى الطريق إلى الجنَّة وهى ما كانت فى سبيل الله لهذا" التذَّ العربى وهو يرى نوافذ الجراح توصله إلى طريق الشهادة،حيث الجنان والأرائك وحور العين التى رسمتها آى الذكر الحكيم " [1]

؛ لذلك نرى شاعرا مثل عبد الله بن رواحة يتمنى طعنة نافذة ينال بها الشهادة ويحدِّد صفاتاً معينةً لهذه الطعنة وذلك فى قوله [2] [من البسيط]

لكنَّنـــى أســـألُ الـــرحمن مغفـــرةً ... وضَربة ذات فرغٍ[3]تقذف الزَّبدَا[4]

أو طعنـــةً بيـدى حـرَّان [5] مجهـزةً ... بحربـــةٍ تنفـــذ الأحشـــاء والكبـــدا

حتَّـى يُقـال إذا مَـرُّوا علـى جـدثى ... أرشـــده الله مـــن غـــازٍ وقـــد رشَـــدا

هذه الأبيات تنمُّ عن نفسٍ مطمئنَّة لما عند الله تطلب الشهادة راجيةً ثواب الله فهو يسأل الله مغفرته ، وأن ينال الشهادة بضربة قويةٍ نافذةٍ أو طعنةٍ بحربةٍ ، حتى يدعو له كل من يمرُّ على قبره ، وقد بدأ الأبيات "بلكن " التى تدل على مخالفة ما بعدها لما قبلها ، فبالرَّغم من دعاء الناس له بالسلامة لكنَّه يريد ما عند الله ويطلب الشهادة ، والتى صوَّرها بقوله " وضربةٍ ذات فرغٍ تقذف الزبدا "، حيث استعار الفرغ للجرح الناتج عن تلك الضربة التى يتمناها وذلك حتى لا يرجى برؤه منها ولا يطول ألمه .

---

(1) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية ص 91 .

(2) ديوانه ص147 قصيدة (20) .

(3) ذات فرغ / الطعنة الفرغاء :ذات الفرغ وهو السعة / اللسان 167/11 مادة (فرغ) .

(4) الزبدا / أزبد البحر إزبادا فهو مزبد ، وبحر مزبد أى مائج يقذف بالزبد والزبد الرغوة اللسان 8/7 .

(5) حرَّان/ رجل حرَّان أى عطشان اللسان 8/4 مادة (حرر) .

ثم يردف هذه الصورة صورة أخرى بديلة للصورة الأولى فى البيت الثانى، حيث شبَّه الحريص على الفتك بالأعداء " بالحرَّان " بمعنى العطشان للحريص على الفتك بالاعداء والنيل منهم ،وذلك على سبيل الاستعارةالتبعية حتى يكون ذلك أدعى إلى قوة الضربة , وحدَّد هيئة الضربة التى يريدها بقوله " تنفذ الأحشاء والكبدا " وإنَّما تكون الضربة على هذه الهيئة إذا كانت من أحد جانبيه حتى تسلك الكبد والأحشاء ، ولعله أرادها كذلك حتى لا يحدث له فزعٌ أو خوفٌ عندما يواجه من يطعنه , ويلاحظ أنه يريد فى استشهاده " السرعة " والقوة والمفاجأة .

سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية

يقول كعب بن مالك في أحد [1] [من المتقارب] :

ودفَّـــاع[2]رجـــلٍ كمـــوج الفـــراتِ يقـــدُم جـــأوَاءَ جُـــولاً(3)طحونـــا[4]
تـــرى لونهـــا مثـــل لـــونِ النجـــو م رِجراجـــــةً[5]تُبـــــرِقُ النَّاظرينَـــــا

يصف كعبٌ القوات المتلاحمة المندفعة من الراجلين بالسيل الجارف الذى يشبه موج نهر الفرات ، هؤلاء يقدمون كتيبةً عظيمةً قوية من الجيش الإسلامى هذه الكتيبة لكثرة الدروع المصقولة والقوانس اللامعة بها تبرق أعين من ينظر إليها ، وقد استعان كعب فى تصويره لكثرة أعداد الراجلين الذين يتقدَّمون هذه الكتيبة بتشبيهين الأول فى قوله " دفّاع رجل "وهو تشبيه أضيف فيه المشبه به إلىالمشبه "كقولهم"ذهب الأصيل" ، "لجين الماء "يقصدون "أصيلٌ كالذهب "، "ماء كاللجين ".

وفى هذه الصورة التشبيَّهية يصور كعب جموع الراجلين ، وقد اندفعوا متجاورين متلاحمين فى قوَّةٍ – بالدَّفاع وهو السيل الجارف المندفع بجامع السرعة وإزالة ما فى طريقه ، وقد عمد كعب إلى إضافة المشبه به للمشبه ليسلك بكلمة رجل مسلك التمييز ، وهو أبلغ من جعلها مفعولا به " ترى راجلين كالدفاع " أو فاعل " ترى جأواء يقدمها راجلون كالدَّفاع " وجعْلها تميزاً أبلغ ,لأنَّه يجعل هذه الصورة التشبيهية صورة خيالية رائعة، حيث يتبادر إلى الأذهان صورة هذا الدفاع الذى تكوَّن لا من الماء وإنما من الراجلين .

---

(1) ديوانه صـ275 قصيدة (61) .
(2) دفاع / الدُّفاع بالضمه والتشديد : السيل العظيم والموج / اللسان 274/5 مادة (دفع).
(3) جولا/ تجاولوا فى الحرب أى : جال بعضهم على بعض وكانت بينهم مجاولات / اللسان 243/3 مادة (جول).
(4) الطحون / الكتيبة تطحن ما لقيت / اللسان 96/9 مادة (طحن).
(5) رجراجه/ كتيبة رجراجة تموج من كثرتها / اللسان 111/6 مادة (رجرج) .

ثم انظر إلى هذه التداخل الرائع بين الصورتين التشبيهيَّتين، حيث إنَّه لم يرد أن يشبِّه الرجل بموج الفرات وإنما أراد أن يشبِّه هيئة الرجل المندفعين فى كثرة كالسيل الجارف المتموّج بموج الفرات ، فهو أراد أن يشبِّه الهيئة الحاصلة والمستفادة من التشبيه الأول بموج الفرات ، وهى هيئة الراجلين المندفعين فى سرعة وتموج بسبب عدم استواء الأرض ووجود مرتفعاتٍ ومنخفضاتٍ ، بموج الفرات فى ارتفاع تارة وانخفاضه أخرى , إذن فالصورتان متداخلتان متكاملتان ، فقد أفاد من التشبيه الأول السرعة والاندفاع فى قوةٍ تجرف ما فى طريقها ومن التشبيه الثانى التموُّج ، وهذا التشبيه أحسبه من بديع التشبيهات المركَّبة نظرا لتداخل التشبيهين , فقد وجد أنَّ الأوَّل لا يفى بتصوير الهيئة كاملة لأنَّه ليس فيه تموج ، وموج الفرات لا توجد فيه السرعة الجارفة لما فى طريقها فجمع بين التشبيهين فى دقة وبراعة ، ثم يشبِّه بريق الكتيبة ولمعانها بسبب كثرة الدروع والبيض والسيوف و الحراب اللامعة المصقولة – بلون النجوم الزاهرة التى لكثرتها وتموُّج لونها تبرق عين من ينظر إليها وقد عدا الفعل " تبرق " بدون حرف الجر "فى"وذلك ليبالغ في شدة لمعانها وبريقها ؛ فهي لا تبرق في العين وإنما تبرق العين ؛ فكأنها لشدة لمعانها تمنع العين من الإبصار ببريقها .

سابعا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بموج البحر

يقول كعب بن مالك يوم أحد يجيب هبيرة بن وهب : [1][من الطويل]

فجئنا إلى موجٍ من البحر وسْطَه أحابيشُ[2] منهم حاسرٌ[3] ومقنّعُ
ثلاثَةُ آلاف ونحن نصيَّةٌ(4) ثلاثُ مئينٍ إن كثرنا وأربعُ
نعاوِرُهم [5]تجرى المنيَّةُ بيننا نشارِعُهم [6]حوضَ المنايا ونشرعُ

فى هذه الأبيات يصوِّر كعب عدد المشركين وكثرتهم ، إذا ما قورنوا بأعداد المسلمين ، فيصوِّر جمعهم بموج البحر, ومع كثرة عددهم إلا أنَّ الحرب كانت سجالاً بينهم ، فنال منهم المسلمون قبل أن ينالوا من المسلمين ، وقد استعار كعب " موج البحر "لجموع المشركين ليصوِّر كثرة عددهم , حيث إنَّ كلمة موج "تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من النَّاس ترى فيه العين ما تراه فى البحر الزَّاخر من حركة وتموج " [7] , وألمح فى استعارة موج البحر خاصَّة ليصوِّر به جموع المشركين أنَّه اراد أن يصوِّرهذه الجموع كثيرةالعدد والعدة وهى مفكَّكةالأوصال ، مهزومة الأنفس لما حدث لهم ببدر ، أمام قوة العقيدة – بموج البحر يكون كثيرا هائجاً مضطرباً ، وسرعان ما ينكسر ويتلاشى على الشطان فكأنَّه يريد أن يبيِّن أنَّ هذا العدد الكثير الهائج المائج لا وزن له لأنَّه لا يستند إلى قوة حقيقية ، سرعان ما سيرتد خائبا خائر القوى عندما يصطدم بصخرة العقيدة الثابتة التى تأوى إلى ركنٍ شديدٍ .

---

(1) ديوانه ص 225 قصيدة (33)
(2) أحابيش (جمع حُبشى وهوجبل بأسفل مكة)سبق الحديث عنه .
(3) حاسر ، مقنع ، الحاسر الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه / اللسان 116/4 والمقنع ما كانت عليه درعه وبيضته
(4)نصيَّة الخيار والأشراف .
(5)نعاورهم:تعاوروا الشىء تداولوه بينهم ـالوجيز-440
(6) نشارعهم / الشِّرعه والشريعة : مشرعه الماء وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون / اللسان 59/8
(7) من بلاغة القرآن / د - أحمد بدوى ص 217 ط القاهرة 1950 (بتصرف)

ولموقع الفاء فى صدر البيت الأول من المقطوعة بلاغته ,، حيث إنَّها توحى بالسرعة فى المجئ وهذا يدل على توق نفوسهم للقاء عدوهم وهذا من كمال القوة والإيمان ، وحرف الجر إلى يدل على أن هذه الجموع من المشركين غاية للمسلمين وأن مجئ المسلمين إليهم مقصود ومخططٌ له ، وللطباق بين " حاسر ومقنّع " موقعه من هذه الصورة لأنَّهم لما كانوا أحابيش لا أصل يجمعهم ، ولا رابط بينهم كانوا مختلفى القلوب ، فكأنَّه بالطباق جعلهم مختلفى الهيئات مثلما هم مختلفو القلوب ، وتقسيمه إياهم أيضا إلى حاسرٍ ومقنَّع يوحى بالانقسام والتنافر بينهم لأنَّهم جمّعوا على غير رغبة منهم إلى أمرٍ لا ناقة لهم فيه ولا جمل , فما أجمل المحسنات البديعية عندما تأخذ مكانها من النظم , وتسهم فى ظلاله وإيحاءاته يقول الإمام عبد القاهر عن المحسنات البديعة " وههنا أقسامٌ قد يُتوهَّم فى بدء الفكرة ، وقبل إتمام العبرة ، أنَّ الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس ، إلى ما يناجى فيه العقل النفس ، ولها إذا حُقِّق النظر مرجع إلى ذلك ، ومنصرف فيما هنالك "[1] وفى البيت الثانى " لا ينسى كعب تحديد الأعداد التى دخلت المعركة فقد بلغ عدد المشركين ثلاثة آلاف ، أما عدد المسلمين فلم يتجاوز السبعمائة على أكثر تقدير ..... وهذه الدِّقة فى التحديد تعطينا تصوُّرا لتسجيل كعبٍ أحداث الغزوات وأنَّ شعره يمثل الواقعية لتلك الأحداث " [2]

وفى البيت الثَّالث يصوِّر كعب اللقاء بين الفريقين ، وأنَّه لقاءٌ دامٍ ، حيث جاء باستعارتين مكنيتين غاية فى الدِّقة والإبداع الأولى فى قوله " تجرى المنيَّة بيننا "، حيث شبَّه المنيَّة بساقٍ يطوف على مجموعة من النَّاس بلغ بهم العطش مبلغه فهو ينتقل بينهم فى سرعة ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو " الجرى " , وإثبات الجري " للمنية " استعارة تخيلية ، وهي قرينة المكنية .

والاستعارة الثانية فى قوله " نشارعهم حوض المنايا ونشرع "، حيث شبَّه المنية بشراب له أحواض ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الحوض ,

---

(1) أسرار البلاغة ص 7.

(2) كعب بن مالك الأنصاري حياته وشعره د / عبد المنعم أحمد يونس-ص114 - ط الأمانة ط أولى 1406 هـ 1983 م .

والفارق بين الاستعارتين أن الأولى جاء بها لبرهن على حرص كلا الفريقين بشدةٍ على الموت , وتهافتهم عليه كما يتهافت العطاش أو المخمورون على السَّاقى ، فالمؤمنون حريصون على الشهادة ، والتَّمكين لدينهم ، وتعضيد انتصارهم ببدر ، والمشركون حريصون على الموت حمقاً وجهالةً ورغبةً فى الثأر . وهذه الاستعارة تدل على شدة القتال ، أما الاستعارة الثانية فإنَّها تدل على كثرة موارد الموت وسهولته ، وقد سبق بيان بلاغة مثل هذه الاستعارة [1] ، وقد رشَّح الاستعارة بقوله " نشارعهم " نشرع " فهى مناسبة للمستعار منه " الماء " ويُلاحَظ أنَّه قدَّم ما يدل على إيقاع القتل على المشركين قبل أن يوقعوه على المسلمين فقدم (نشارعهم) وأخر " ونشرع " .

---

(1) انظر ص (66) من هذا البحث .

ثامنا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بحراء

قال حسان يوم الخندق " (1)[من الوافر]

وخبِّـــر بالـــذى لا عيـــبَ فيـــه بصـــدقٍ غيـــرَ إخبـــارِ الكـــذُوبِ
بمـــا صـــنَعَ المليـــكُ غـــداةَ بـــدرٍ (2) لنَـــا فـــى المشـــركينَ مـــن النَّصـــيبِ
غـــداةَ كـــأنَّ جمعهـــمُ حـــراءُ بـــدت أركانُـــه جـــنحَ الغـــروبِ

يعيِّر حسَّان المشركين بما أنزله الله بهم من هزيمةٍ يوم بدر ، ثم يشبِّه جمعهم يوم بدرٍ بجل حراء ، وقد ظهر سواد أركانه وقت الغروب ، وقد بدأ حسان بفعل الأمر " خبِّر " مضعَّف العين ليوحى برغبته فى التشفِّى من المشركين بما حدث لهم يوم بدر, لكى يعرف القاصى والدَّانى خبرهم وفضيحتهم فى هذا اليوم، وساعد على هذا الإيحاء صوت الباء المشددة وما فيها من صفة الانفجار ،حيث يوحى بهذه الرغبة فى انتشار خبرهم ، كما أنَّ هذا الصوت المشدَّد بما فيه من الثَّبات والقوة يوحى بالثقة والتأكُّد من هذا الحديث الذى يثير الدهشة والعجب عند من يسمعه فهذه فئةٌ قليلةُ العدد والعدَّة تغلب فئةً كثيرةَ العدد والعدَّة ، ولذلك قال فى الشطر الثانى بصدق غير إخبار الكذوب ، وتقديم ظرف الزمان " غداة " ومكان الحدث " ببدر " على متعلق الفعل " لنا " ألمح فى هذا التقديم قصد إيلام المشركين بتقديم ذكر الزَّمان والمكان اللذين حدثت لهم فيهما الفجيعة ، وكم من شخصٍ يتألم عندما يُذكر أمامه اسم مكان حدث له فيه حادثٌ مؤلمٌ بل ويعيش الحالة النفسية التى عاناها فى هذا الحادث .

---

(1) ديوانه ص 134قصيدة (31)

(2) حراء اسم جبل بمكة كان متعبد النبى ﷺ ومهبط الوحى عليه

إنّ صورة حسَّان على بساطتها إلا أنَّها موحيةٌ أيَّما إيحاء ، فهو يشبِّه هذا الجمع الكافر بجبل حراء ، ما أبدع هذه الصورة عندما نرى أنَّها تلتقط مشهداً فى الغداة ومشهدا فى وقت الغروب وتجمع بينهما فى براعة ودقة ، إنَّه الظلام الذى اتَّشح به القوم وكأنَّ قلوبهم نضحت على ثيابهم ، كما أن تشبيههم بهذا الجبل وقت الغروب يوحى بقرب زوالهم كما يختفى هذا الجبل خلف أستار الليل مع كبر حجمه وتطاوله ثم انظر إلى تشبيههم وهم جمعٌ كثيرٌ بتلك الكتلة الصخرية المتداخلة الأجزاء ، وما يوحى به ذلك من التداخل والتزاحم بين هؤلاء القوم ، وقد قذف الله الرُّعب فى قلوبهم فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهم حريصٌ على أن يتوارى ويحتمى بغيره وكأنَّه يريد أن يختبئ بداخله خوفا ، فكأنَّهم سرب من الطيور على الأرض ، تتزاحم حتى تحتمى وتستدفئ بغيرها ، ثمَّ انظر إلى كلمة " أركانه " هذا الثبات والجمود فى وقت الغداة والذى يخيّل للناظر أنهم جماد محدد الأركان وهكذا يكون دائما الجبان الخائف .

كما توحى الكلمة ببروز وتقدم أركان الكفر ورؤوسه على هذا الجمع ، فهم الذين لاقوا حتفهم أولاً يوم بدر وما أشبه قلوبهم بحجارة حراء بل إنَّها أشد قسوة فما أروع وما أبدع هذه الصورة فى إيحاءاتها ونظمها ! واختيار المشبه به ، فإنَّ اختيار المشبه به المناسب لإظهار المعانى التى تتعلق بالمشبه من أهم وظائف التشبيه" فإذا كانت حول المشبه معانٍ وأحوالٌ ومشاعرُ وقصد من التشبيه أن يبين عنها وأبان فذلك حسبه " [1]

---

(1) دراسة فى البلاغة والشعر د*/ محمد أبو موسى ص102 .

تاسعا : وصف هداية الرسالة الإسلامية

انطلقت ألسنة الشعراء بوصف هداية الرسالة الإسلامية وما جاءت به من النّور والهدى الذى يخرج الناس من ظلمات الضلالات والخرافات والظلم إلى نور العدل والحق والمساواة . يقول حسان بن ثابت " [1][من المتقارب]

فلمَّا أتانَا رسولُ الإله ... بنورود يُن بعدَ الظُّلَمْ
ركنَّا إليه ولم نعْصِهِ ... غداةَ أتانَا من أرضِ الحرمْ
وقلنا صدقتَ بما جئتنا ... هلمَّ إلينا وفينا أقِمْ
فنادِ بماكنتَ أخفيتَه ... نداءً جهاراً ولاتكتتِمْ
فتشهد أنَّك عبد المليك ... وأرسلتَ نوراً بدينٍ قِيَمْ
فإنَّا وأولادنا جنَّة [2] ... نَقِيك وفى ما لنِا فاحتكمْ

يوازن حسَّان بين نور الرسالة الإسلامية وضلال الوثينة الجاهلية ؛ لذلك فقد تمسَّكوا بالنَّبى ﷺ وصدَّقوا ما جاء به من الهدى وقالوا له اجهر بدعوتك فإنَّا ناصروك ، فقد أرسلك ربك نوراً بدين الحق ، وقد صوَّر حسان ما جاء به النَّبى ﷺ من الهدى (القرآن) بالنُّور على سبيل الاستعارة الأصلية ، وذلك ؛ لأنَّ النور يهدى السائرين ويقيهم الانحراف ، ويحفظهم من مواطن العثرات ، كذلك الهدى الذى جاء به النَّبىُّ ﷺ من عند الله ، يمنع من اتبعه الزيغ والضلال والانحراف عن الطريق المستقيم الذى أراده الله لعباده ، ثم استعار الظُّلَم " للضلالات " التى كانوا يعيشون فيها فى الجاهلية بجامع التخبُّط والحَيرة ، وهذه الصورة تدلُّ على أنَّهم قد ضاقوا بها ذرعاً والذى يوحى بذلك أنَّه أتى بلفظ" الظُّلَم " جمعاً إشارةً إلى كثرتها وتشعُّبها , بينما أفرد النُّور ؛ لأنَّ الحق كلَّه يعود إلى مصدر واحد وهو الدين ، وقد جمع للرِّسالة الإسلامية بين كونها هدايةً لنفوسهم ومنهجاً للحياة وذلك بقوله " بالنور والدين " فهى نور لنفوسهم ، ودين يدينون به ويسيرون على منهجه ولفظ الركون يوحى بالاعتماد عليه فى أمور دينهم والثِّقة فيما جاءهم به من عند الله كما يدل على التسليم والاستسلام له .

---

(1) ديوانه ص 139 قصيدة (32).
(2) جنَّة / الجنة السترة مختار الصحاح 74.

ثم جاء بالصورة التشبيهيَّة فى البيت الخامس استكمالاً للاستعارة فى البيت الأول، حيث يشبِّه النبى ﷺ بالنور والتشبيه فى هذا البيت من صور التشبيه البليغ الاصطلاحية، حيث إن المشبه به وقع " حالاً من المشبه " [1] ولما أثبت للرِّسالة التى جاء بها ﷺ نوراً لم ينس أن يثبت للنبى ﷺ نوراً ، فهو ﷺ كالنور فى خلقه وفى رحمته وإرشاده وتوجيهه لصحابته ، وانظر إلى المناسبة المعنوية بين البيت الرابع والصورة التشبيهيَّة فى البيت الخامس التى صوَّر فيها الرسول ﷺ بالنور فالنور أهلٌ لأنْ يظهر ولا يُحجَب ؛ لذلك مهَّد للتشبيه بقوله

فنـــاد بماكنـــت أخفيتـــه نـــداء جهـــارا ولا تكتـــتم

ثم انظر إلى اختيار المعانى والتراكيب التى تناسب الصورة وتبرز جمالها ففى قوله " فإنَّا وأولادنا جنٌّ له : نقيك وفى مالنا فاحتكم "، انظر إلى دقة المعنى ولطفه فإنَّه لمَّا شبَّه النبى ﷺ بالنور جعل من نفسه وقومه وأولادهم حمايةً لهذا النور ممَّن يريدون إطفاءه ، فكأنَّه ﷺ مصباحٌ منيرٌ وهم الزجاجة التى تحميه وتوصِّل نوره إلى الناس .

كما أنَّ ذكره للمسند إليه هنا " إنَّا " مؤكدًاعلى حضورهم فى كل موقف فداءً للنبى ﷺ، خاصةً أن صوت النُّون المشدَّدة يوحى بالثَّبات والقوَّة وهى معانٍ يدور حولها البيت كما أنَّ قوله : " وفى مالنا فاحتكم " قدم الجار والمجرور إشارة إلى تضحيتهم وتقديمهم ما هو محبوبٌ وعزيزٌ وغالٍ على النفوس فكلُّ شىءٍ وأى شئٍ من أجله ﷺ – رخيصٌ لا قيمة له .

وهكذا نرى التَّشبيه أو الصورة البيانية بصفةٍ عامَّة [" إذا استُشهِدَ به وحده وفُصلَ عن بقية القطعة كان كالكعاب تُفرَد عن الأتراب فيظهر فيها ذلُّ الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها فى العقد أبهى فى العين وأملأ بالزَّين منها إذا أُفردت عن النظائر وبدت فذَّةً للنَّاظر "][2]

---

(1) المنهاج الواضح د / حامد عونى ص 11 ط مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972م .
(2) أسرار البلاغة ص 206 ت محمود شاكر ط دار المدنى .

فالتَّصوير لا يمكن قطعُة ناصر التراكيب أو دراسة موطن التَّشبيه

أو المجاز أو الكناية مقطوعاً عن الكلام " وذلك ؛ لأنَّ التصوير من عناصر التراكيب , لا يتم إلا بمساندتها ولا تكتمل إلا به, ؛ لأنَّ نشاط عناصرالتركيب هو نشاط تصويرى أصلاً "[1] " فالتصوير سواء أقام على التشبيه أم الاستعارة أم الوصف يتلاحم مع عناصر التركيب " [2]

---

(1) مداخل إلى علم الجمال الأدبى د/ عبد المنعم تليمه ص118 ط دار الثقافة - مصر 1982م .

(2) التصوير البيانى بين القدماء والمحدثين د/ حسنى عبد الجليل يوسف ص25 ط دار الآفاق العربية - القاهرة 1997 م .

عاشرا : وصف قوة الهجاء وأثره

عرفت فيما سبق أن حسان بن ثابت كان العلم فى الهجاء فى عصر صدر الإسلام فقد كان هجاؤه قوبا لاذعا ؛ لذلك فقد وصف هجاءه فى أكثر من موضع . يقول حسان بن ثابت " (1) [من البسيط]

قد تَكِلَتْ أمُّه مَنْ كنتُ صاحِبَه ... أو كانَ منْتشِباً[2]فى برثن الأسدِ

ما البحرُ حين تهُبُّ الريحُ شاملةً ... فَيَغْطَئِلُّ[3] ويرمى العَبْرَ بالزَّبَدِ

يوماً بأغلبَ منّى يومَ تبصرُنِى ... أَفرِى[4]من الغيظِ فَرْنَالعارضِ البَرَدِ

يصف حسَّان قوة هجائه ويبيّن عاقبة من يتعرَّض له بالأذى ، وأنَّه كمن يدخل عرين الأسد طائعاً ، ثمَّ يبيّن هيئته عندما يغضب ، وأنَّه فى هذه الحالة يكون كالبحر عندما تهيّجه الريح ، وأسلوب حسَّان الإبداعى فى هذه الأبيات يتناسب تماماً مع غرضها , فالغرض من الأبيات هو وصف تفوُّقه واقتدارة فى الهجاء بحيث لا يدانيه فيه أحدٌ ، وأسلوبه فى هذه الأبيات أيضاً أسلوبٌ غير تقليدى , فقد عدل فى هذه الأبيات عن التَّشبيه الصريح إلى التشبيه الضِّمى فى البيت الأول ، وإلى أسلوب الاستدارة فى البيتين الثانى والثالث .

---

(1) ديوانه ص 160 قصيدة (52) مناسبتها " أن ابن المعطل السلمى وبلال بن الحارث المزنى وغيرهم تهددوا حسان بن ثابت بالكلام الذى تكلم به فى عا ئشة وضربة ابن المعطل ضربة بالسيف " فقال حسان هذه القصيدة فيهم ومطلعها :

أمسى الخلابيس قد عزُّوا ، وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد .

(2) منتشبا / يقال نشب فى الشئ إذا وقع فيما لا مخلص منه / اللسان 227/14 مادة (نشب)

(3) فيغطئل / غيطل : الغيطلة الصوت والجلبة اللسان 63/11

(4) أفرى / فلان يفرى الفرى إذا كان يأتى بالعجب فى عمله اللسان مادة (فرى)

ففى البيت الأوَّل يشبِّه حسَّان من يعرِّض نفسه لأذاه بمن يدخل عرين الأسد تشبيها ضمنياً ، وقد أسهم النَّظم فى توضيح هذه الصورة ، فهو يصدِّر البيت بقد التى تؤكِّد الفعل, ثمَّ جاء بالاسم الموصول " مَنْ " للدلالة على العموم وفيه إشارةإلى غَلَبتِه للجميع وأنَّه لم يُولَد من يقارعه فى الهجاء والقوَّة ,ثم اختار كلمة " صاحبه " دون عدوه للدلالة على ملازمة العداوة ودوامها، وأنه لن يترك من يؤذيه ما دام حيا ، أما البيتان الثانى والثالث ، فيشبِّه هيئته حين تتابع منه الأقوال والأفعال العجيبة بسبب غيظه والتى لا تحدث منه فى الأحوال العادية ، بهيئة البحر عندما تهيِّجه الرياح فتتلاطم أمواجه وتتدافع تباعاً فى قوةٍ وسرعةٍ وترمى بالزبد على الشاطئ , والصورة جميلةٌ مرتبة العناصر متقنة الألوان ، فهو أولا يسوِّى بين هيئته وهيئة البحر مبتدئًا بهيئة البحر (المشبَّه به) مسبوقا بأداه نفى (ينفى أن يكون البحرفى هيئته هذه التى أثبتها له أغلب منه) وهذه الصيغة أطلق عليها بعض البلاغيين أسلوب (الاستدارة) وهى أن يبدأ التركيب بما النافية ، ويليها المشبَّه به ، تتبعه صفات أو أفعال تصوِّر هيئته, ثم بعد انتهاء صورة المشبَّه به يأتى بصيغة أفعل مسبوقة بالباء وبعدها من ، وتتمثل بلاغة هذا الأسلوب فى "إثباته للمشبه الخصائص التى أثبتها للمشبه به مع نفى تفوق المشبه به على المشبه " [1]

وقد جاء بكلمة "يوم " نكرة حتَّى يتحقَّق له عموم النفى فلا أحد يدانيه فصفاته هذه فأىِّ وقت من الأوقات , ثمَّ تتداخل صورةٌ أخرى فى المشهد وهى صورةٌ متمِّمةٌ لهيئة المشبَّه، حيث يصوِّر هيئة تتابع الأقوال والأفعال العجيبة منه فى غضبه فى سرعة وقوَّة ، بهيئة السحاب الممطر الذى تتساقط منه قطرات المطر فى سرعةٍ وتتابع ، وبجانب تصوير هيئة الكثرة والتتابع فى سرعة وقوَّة ألمح هنا معنى العلو والرِّفعه والفضل كالسحاب ، فكثيراً ما يُساء للإنسان ممن هم منتفعون به وله عليهم أياد.

---

(1) انظر الصورة البيانية دراسة تطبيقية محمود محمد بن ص30 ، دفاع عن البلاغة ص112

التصوير البيانى
وبلاغته فى
شعر الفخر

التصوير البيانى وبلاغته فى شعر الفخر

الفخر فنٌ قديمٌ وهو من أكثر أبواب الشعر التى طرقها الشعراء ، وقد كان الفخر فى الجاهلية بالمجد والرفعة والحسب والأموال والأولاد وتحقير الآخرين والسخرية منهم , والحميَّة الجاهلية التى نهى عنها الإسلام ورسوله الإسلام ﷺ " فلمَّا جاء الإسلام اعتدلت موازين النفس بفعل القيم الجديدة السامية ؛ فتحوَّل الفخر إلى الاعتزاز بأمجاد الإسلام والانتساب للدين والعبودية لله رب العالمين وذكر البلاء الحسن فى نصرة النبى ودعوته .... إلى جانب الفخر بالطاعة لله ورسوله "[1]

وهذا كلُّه معناه أنَّ العرب أصبحوا فى عصر جديد يخالف العصر الجاهلى فى كثير : فى الدين السماوي القويم وفى الحضارة والثقافة فكان طبيعياً أن تتطور فنون شعرهم ؛ لذلك وجدنا النبى ﷺ ينهى عن العصبية الجاهلية ويقول " دعوها فإنَّها مُنتنة"[2] ، ونراه ﷺ يصوِّب لكعب بن مالك شعره موجِّها إياه بعيداً عن القيم الجاهلية عندما قال كعب (3):

مجالدنا عن جِذمِنا(4) كل فخمة مذرَّبة فيها القوانس تلمع

" فقال ﷺ لا تقل " عن جذمنا وقل عن ديننا " [5] فأمره ﷺ بتعديل الكلمة التى تثير أو تشير إلى الموروث الجاهلى الذى لم يعد له مكانٌ فى الإسلام .

---

(1) التحوُّل الشعرى فى عصر البعثة المحمدية د/ صفوت زيد ص 68 ط التركى بطنطا بدون تاريخ .
(2) شرح النووى على مسلم 138/16 ط ثالثة ط دار إحياء التراث العربى بيروت 1392هـ .
(3) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ص34 ط دار المعارف .ط 11 د.ت .
(4) الفاضل للمبرِّد تحقيق د/ عبد العزيز الميمنى - ص / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 .
(5)جذمنا: الجذم :الأصل وجذم الرجل أهله وعشيرته .

أولا : الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام

يقول حسان بن ثابت "[1] [من الطويل]

ألا أيهـــا الســـاعى ليـــدركَ مجـــدَنَا ... نـأتـــكَ العلـــى فـــاربَع عليـــكَ فســـائِلِ
فهـل يسـتَوِى مـاءان أخضـرُ آجـنٌ[2] ... وحِسْـيٌ[3] ظَنـونٌ مـاؤُه غيـرُ فاضـلِ
ومـن يعـدلُ الأذنَـابَ ويحـكَ بالـذُّرى ... قـد اختلفـا بـرٌ يَحثـقُّ بباطـلِ ؟!
تَنَـاوَلْ سـهيلاً[4] فـى السَّـماء فإنَّـه ... سَـــتُدرِكُنَا إنْ نِلتَـــه بالأنامـــلِ

هـذه المقطوعـة جزءٌ مـن قصـيدةٍ يفتخـر فيهـا حسَّـان بعلـوِّ منزلـة قومـه فى الجاهليـة والإسلام ، فيبيّن أنَّ إدراك هذه المنزلة لغيرهم أمرٌ مستحيلٌ , ويصوِّر البون الشَّاسع بين أمجاد قومه وغيرهم بصور حسية رائعة , فالصورة الأولى أنَّه لا يستوى ماء البحر وماء الحسى ، فالأول كثيرٌ نقىٌ ، والثانى عَكِرٌ قليلٌ ، والصورة الثانية أنَّه لا تستوى الأذناب والـذُّرى مـن الناقـة ، والصـورة الثالثـة يصـوِّر قومـه نجمـاً فى السـماء ويصـوِّر مـن يحـاول اللحاق بهم بمن يحاول أن يمسك نجماً فى السماء بيده وهو على الأرض .

والمتأمِّل فى هذه الأبيات يجد أنَّ معانى الفخر فيها جاهلية ، ولكـن إذا تأملت باقـى أبيـات القصـيدة وجـدت أن هـذه الأبيـات إنمـا هـى حلقـة فى سلسـلة مـن الفخـر يكملها حسَّان بالفخر بنصر النبى ﷺ وبالانتصار على المشركين ببدر وأحد [5] ، وقد عمد حسَّان فى هذه الأبيات إلى تصوير مجد قومه وعلوهم على أمجاد غيرهم – وهو أمرٌ عقلى – وإبرازه فى صورة محسوسة وذلك لأنَّه " لتصوير الشَّبه من الشئ فى غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلَّته ، واجتلابه إليه من الشقِّ البعيد باباً آخر من الظرف واللطف , ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل" [1]

---

(1) ديوانه ص 166 قصيدة (55)
(2) آجن / أجن الماء أجنا تغير طعمه ولونه ورائحته فهو آجن-- الوجيزص 7
(3) حسى / السهل من الأرض يستنقع فيه الماء --الوسيط -174
(4) سهيلا / نجم من النجوم (5) ديوانه ص144 (6) أسرار البلاغة ص 129

ومبالغةً فى تأكيد هذا المعنى ، فقد أورد أكثر من صورة يستدلُّ بها على ما يريد إثباته ، فقد صوَّر البون الشاسع بين مجد قومه وبين أمجاد غيرهم من الناس بالتشبيه التمثيلى الذى يشبِّه فيه مجد قومه بماء البحر الكثير النَّقى , ومجد غيرهم بماء الحسى القليل العَكِر ، فقد صوَّر فضل قومه وعلو منزلتهم مقارنةً بغيرهم من الناس ، بفضل ماء البحر على ماء الحسى ، وقد سبق أن بيَّنت أنَّ تشبيه المجد بالماء أو استعارة الماء للمجد فيها دقة وذلك ؛ لأنَّ الماء إن لم يحفظ ويبالغ فى حفظه فإنه يسهل ضياعه أو تعكيره وكذلك المجد " [1] .

وحسَّان هنا يشيرإلى ثبات الفارق بين مجد قومه ومجد غيرهم من الناس ,وذلك ؛ لأنَّ ماء الحسى العكر يظلُّ عكراً, حتى وإن حاول أحد أن ينقِّيه فإنَّ رائحته الكريهة تظلُّ عالقةً به , ثم يصوِّر بالاستعارة التمثيلية قومه فى رفعتهم وعلوِّهم بذرى الإبل وغيرهم بالأذناب فمن يسوِّى بينهم ، وبين غيرهم يكون كمن يسوِّى أذناب الإبل بذراها ،وتوحى هذه الصورة بأن قومه قادة مقاديم / لأنَّه شبههم بالذرى، وذرى الإبل رؤوسها ، وتكون فى مقدمتها وأذنابها فى مؤخرتها فقد جمع لقومه فى هذه الصورة بين العلو والقيادة والتقدم ، وفي الاستفهام " ومن يعدل الأذناب ويحك بالذرا " سخرية واستهزاء بمن يسوى بين قومه وغيرهم ، ثم يتصاعد بالفخر أكثر وأكثر بالاستعارة التمثيلية , فيصوِّر علو قدر قومه ونأيهم على من يريد اللحاق بهم – بأنَّهم كنجمٍ فى السماء ومن أراد أن يلحق بهم فكأنمَّا يريد أن يمسك هذا النجم بيده , ، وقد جمع لقومه فى هذه الصورة بين علوهم ، واستحالة إدراك الناس لمجدهم .

ويلاحظ أن حسان تدرج فى تصوير هذا المعنى (رفعة قومه) ومجد غيرهم فبدأ بالموازنة بين شيئين مستويين فى المكان والجنس فماء البحر وما الحسى كلاهما على الأرض ، ولكن شتَّان ما بينهما ، وكذلك قومه يعيشون مع الناس وهم من جنسهم ، ولكنَّهم يختلفون عنهم فنقاء مجدهم وكثرته كما يختلف ماء البحر عن ماء الحسى فى النقاء والكثرة ، وهكذا يتَّضح الغرض من هذا التشبيه وأمثاله وهو بيان الإمكان فتفوُّق قومه وعلوِّهم على غيرهم من الناس مع أنَّهم من جنسهم , دعوى تحتاج إلى برهانٍ يبيِّن إمكان هذه الدعوى .

---

(1) انظر ص(79)من هذا البحث

ثم يرتفع حسَّان عن الأرض قليلاً ليتصاعد بالمعنى، حيث صوَّر قومه بالذُّرى من الإبل وغيرهم بالأذناب , فأضاف إلى معنى تفوقهم على غيرهم الزعامة والقيادة والثبات أعنى ثبات الفارق بينهم وبين غيرهم فكما أن الأذناب ثابتة لا يمكن أن تحلَّ محل الذرا ، والذرا لا تهبط مكان الأذناب كذلك قومه ثابتون راسخون فى الرفعة والقيادة ، ثم يتسامى بالمعنى ويرتفع به إلى عنان السماء , ويبلغ به حدَّ الاستحالة عندما يصوِّر قومه نجماً فى السماء ومن يحاول اللحاق بهم كم يحاول أن يمسَّ هذا النجم بيديه ، ويُلاحَظ أنَّ النَّظم جاء مناسباً للمعنى الذى يصوِّره حسَّان ، فقد بدأ فى البيتين الثانى والثالث بأسلوب الاستفهام التقريرى إشارةً إلى أنَّ مجد قومه معلومٌ يُسأَل عنه ويُقَرَّرُ به النَّاس ، ثم جاء فى البيت الرابع بأسلوب الأمر " تناول سهيلاً " وأرى أنَّ أسلوب الأمر مناسبٌ للاستحالة المستفادة من البيت وهى استحالة إدراك الناس لمجدهم فكأنَّه جاء بالأمر استهزاءً وتعجيزاً ، وكذلك جاء بأسلوب الشرط الذى آداته " إنْ " والتى تدلُّ على الشكِّ فى حدوث فعل الشرط ، والشرط هنا يدل على الاستحالة لا على الشك فحسب,فالمعلَّق على المحال محالٌ .

ثانيا : الفخر بالقوة والخبرة

(1) الفخر بكرم الأصل والشجاعة والقوة

يقول كعب بن مالك " (1)[من الوافر]

قــذفنا فــى السَّــوابغِ كــلَّ صــقرٍ ... كــريمٍ غيــر معتلــثِ الزِّنَــادِ(2)
أشــمَّ (3) كأنَّــه أســدٌ عبــوسٌ ... غـداةَ نَـدَى (4)بِـبَطن الجِـذعِ غـادى
يغشِّــى هامَــة البطــلِ المــذكَّى ... صــبىَّ الســيفِ مُســترخِى النِّجَــادِ
لنظهِــرَض دينَــكَ اللهــمَّ إنَ ... بكفِّــكَ فاهــدنا سُــبُلَ الرَّشَــادِ

فى هذه الأبيات يفخر كعب بكرم أصل قومه وشجاعتهم فى القتال ، وأنَّهم أقوياء ، يدفعون أنفسهم لنصرة دين الله ، وقد صوَّر كعب قوة المحاربين المسلمين وكرم أصلهم وشجاعتهم بالاستعارة والكناية والتشبيه ؛ فهو أولا يستعير الصقر لهذا المحارب الذى دُفع إلى ميدان القتال . ثم أتْبع هذه الاستعارة بالكناية عن صفة وهى قوله " غير معتلث الزناد " فهى كناية عن حسن اختيار أمهات هؤلاء المجاهدين ، وهذا يدل على كرم أصلهم ، ثم يشبِّه هذا المجاهد المسلم فى رغبته فى التشفى والانتقام من أعدائه وإقباله عليهم فى عزة وجرأة بالأسد الذى يكشِّر عن أنيابه ويزأر فى الغداة عندما يخرج وهو جائعٌ مشتاقٌ لرؤية فريسته كى ينقضَّ عليها ، وقد اختار كعب صوره بعنايةٍ فائقةٍ, فقد استعار كلمة صقر للدلالة على حسن تدريبهم لصيد أعدائهم والانقضاض عليهم كالصقور فى سرعة خاطفةٍ وهذه الاستعارة مناسبة للتشبيه فى البيت الثانى تمام المناسبة ؛ لأنَّه راعى فى هيئة الأسد الذى شبَّه به المقاتل المسلم أن يكون جائعاً مشتاقا لاصطياد فريسته ,كما أنَّ الصقر هو الآخر يخرج مع صاحبه مشتاقا مترقِّبا متحفِّزا لرؤية فريسته .

---

(1) ديوانه ص 195 قصيدة (14).
(2) معتلث الزناد / يقال فلان " غير معتلث الزناد إذا كان متخير الزوجه وفلان معتلث الزناد لم يتخير زوجته / الوسيط صـ620 مادة (علث).
(3) أشم/ ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه- مختار الصحاح ص196 .
(4) ندى/ ندى الصوت : بَعُد مذهبه / اللسان 227/14 والمراد بها : علا صوته " .

كما أنَّ كعباً أحسن اختيار كلمات الأبيات ، فكلمة ندى لها موقعٌ فى الصورة وذلك ؛ لأنَّ الأسد إذا رفع صوته بزئيره فإنَّه يرفع رأسه وبالتالى تتطابق الصورتان صورة المشبه الموصوف بقوله (أشم) وصورة الأسدالموصوف بأنَّه "ندى" ويبدو أن الشاعر أراد أن يجمع للمجاهد المسلم ، بين حسن التدريب والقوة والشجاعة وتمام الخلقة ، فجاء بالاستعارة لبيان حسن التدريب والخبرة وجاء بالتشبيه لتصوير القوة والعزة والشجاعة ثم أكمل الصورة بالكناية عن صفة فى قوله " مسترخى النجاد " ليدلل على أنهم يمتازون بصفة الطول ، وقد جاء بهذه الكناية لتناسب وصف المجاهد المسلم بأنه (أشم) وليحترس بالكناية من بعض الصفات غير المرادة فى الاستعارة فى البيت الأول وفالتشبيه فى البيت الثانى ، ؛ لأنَّ استعارة الصقور لهم قد يُفهَم منها سرعة انقضاضهم لصغر أحجامهم كما أنَّ الأسد الذى شبههم به وإن كان قويا إلا أنَّه لا يسير فى قامة مديدة ؛ لذلك فإنَّ الكناية لها موقعها الرائع من هذه الصور ، حيث إنها تفصل بين الألوان وتنحِّى الألوان التى قد تفسد الصورة ، وفى البيت الثالث يكنى عن قوة سواعد المجاهدين المسلمين بالكناية فى قوله " مسترخى النجاد " واسترخاء النجاد يلزم منه ثقل هذه السيوف وينتقل من ثقلها إلى قوة سواعد المجاهدين وحسن تدريبهم الأمر الذى يجعلهم يجيدون القتال بهذه السيوف الثقيلة ، وهى كناية كما نرى كثرت فيها الوسائط كما أنها أيضا كناية عن صفة الطول كما سبق أن ذكرت .

ثم يأتى كعب بالمجاز المرسل فى البيت الأخير فى قوله " بكفك "، حيث عبَّر بالكف وأراد العهد فالعلاقة " الآلية " [1], وهذا المجاز متمِّم للصور فى الأبيات وليس غريباً عنها ، فالقوة والعزة والخبرة التى صوَّرها فى الأبيات السابقة إنَّما هى من الله وإلى الله ، فكعب بهذا المجاز يوجِّه فخره الوجهة الإسلامية ، فكلمة " بكفك" توحى بالبراءة من الحول والقوة ، وتدلُّ علىمطلق الاستسلام لله عز وجل .

---

(1) العلاقة الآلية : هى كون الشئ " واسطة فى إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر " انظر ص197 الرسالة البيانية للصبان .

وهكذا رأينا التشبيه يمتزج مع الاستعارة والكناية والمجاز فى لوحة فنية رائعة " فلابد أن تكون العلاقات بمثابة الشرايين الجارية فى , الجسد أو الدم ، وكما لا يكون الدم الجارى بعض أجزاء الجسد من فصيلة مخالفة للدم الجارى فى البعض الآخر كذلك لا تكون الأنسجة اللغوية والصورة النفسية والرموز المعنوية الجارية فى التشبيه معزولة عن الحركة اللغوية العامة الجارية فى السورة كلها أو القصيدة كلها " [1]

---

(1) دراسة فى البلاغة والشعر ص31 .

(2) الفخر بالخبرة فى الحروب

يقول كعب بن مالك في يوم أحد : (1) [من الطويل]

جِـــلادٌ عَلَـــى رَيـــبِ الحـــوادثِ لا تَـرَى ... علَـــى هالـــكٍ عينـــاً لنـــا الـــدهرَ تَـــدْمَعُ

بنُـــو الحـــربِ لانعيَابشـــيءٍ نقولُـــه ... ولا نحـــنُ ممـــا جـــرتِ الحـــربُ نجـــزعُ

بنُـــو الحـــربِ إن ْنظفرفلســـنا بفحَّـــشٍ ... ولا نحـــنُ مـــن أظفارهـــا نتوجَّـــعُ

بنُـو الحـربِ إن ْنظفرفلسـنا بفحَّـشٍ ... ويفـرُج عنـه مـن يلِيـهِ ويُسْـفَعُ (2)

يفتخر كعبٌ فى هذه الأبيات بقوة قومه وشدة بأسهم وصبرهم فى الحروب فهم أشدَّاء أمام نوائب الدهر, لا تدمع لهم عين على هالك , إيمانًاوصبرًا،ذلك لأنَّهم نشأوا فى أحضان الحروب فَخَبِروا دروبها ومسالكها وما يقال فيها ، وهم لتعودهم النصر فالحروب لا يبالغون فى الفرحة إذا ما انتصروا ولا يتألَّون للهزيمة ، وقد كانوا قبل الإسلام جهَّالا يخشاهم الناس ويبتعدون عنهم اتِّقاء لأذاهم ، بدأ الشاعر بحذف المسند إليه للمسارعة إلى إثبات المسند وتقريره ، فهو محور الأبيات ، بل هو محور ارتكاز القصيدة كلها فالغرض من القصيدة هو إثبات الجلد والتحمُّل والصبر عند الهزيمة ، يقول الإمام عبد القاهر في بلاغة مثل هذا الحذف " هو بابٌ دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ،شبيهٌ بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ " (3) ثم نراه يقدم " على هالك " على " عيناً " للدلالة على عظمة الفجيعة ليسوق الدليل على جلدهم وقوَّتهم ، كما أنَّ تنكير كلمة " هالك "يدل على أنَّهم لا يجزعون على أي شخص منهم شريفاً أو ضعيفاً ، وتنكير كلمة " عينا" لنفي الجزع عنهم جميعاً .

---

(1) ديوانه ص 227 قصيدة رقم 33 .

(2) يسفع : السفع هو السواد والشحوب ، لسان العرب مادة " سفع" ص 207 .

(3) دلائل الإعجاز ص 146 .

ثمَّ يبرهن على جلدهم وصبرهم وخبرتهم فى الحروب وذلك عن طريق الكناية عن نسبة الخبرة بالحرب إلى قومه فى قوله " بنو الحرب " لما فيها من معنى الملازمة ونشأتهم فى أحضانها كما ينشأ الأولاد مع أمّهم يتعلمون منها ، وقد تقسو عليهم أحيانا لتعلّمهم , ولأنَّهم بنو الحرب ، فليس هناك أسهل من جرى الشعر على ألسنتهم فى الحروب (لا نعيا بشئ نقوله) ، ثم جاء بضمير المتكلمين " نحن " مسبوقا بلا التى هى " لتوكيد النفى " [1] ليعرّض بالمشركين ، حيث إنَّ الصبر على الحرب وما فيها ليس مقصوراً عليهم فحسب ، وإنَّما الغرض أن يعرّض بمن لا يصبر على أهوال الحروب ونتائجها وهم كفَّار مكة ,، حيث فزعواً فزعاً شديداً لما حدث لهم ببدر ، ثم صدَّر البيت الثالث هو الآخر بنفس الكناية التى تدل على إلفهم للحروب بخيرها وشرّها منذ نعومة أظفارهم ، إشارةً منه إلى حروبهم قبل الإسلام .

ويُلَاحظ أنَّ كعباً فى هذا البيت يُثبِت لقومه رزانةً واتّزاناً فى حالتى النصر والهزيمة ، وقد ساق المعنى الأول وهو الاعتدال والاقتصاد فى الفرحة عند النصر فى معرض الشرط ، وجاء بجواب الشرط منفيا بليس ومجئ المعنى فى معرض الشرط مع تقديم حالةالانتصار على الهزيمة يوحى باستواءأثر الأمرين لديهم النصر والهزيمة . وجاء بجملة الجواب منفية بليس ليؤكد النفى بزيادة الباء فى خبر ليس .

---

(1) ديوانه ص 227 ، 228 قصيدة 33.

ثمَّ عدل عن أسلوب الشرط فى الشطر الثانى إلى الأسلوب الخبرى لتأكيد النفى خاصَّةً وأنَّ الأمر الذى يدَّعيه أمرٌ غريبٌ يمكن أن يكون فيه شكٌ أو ريبٌ , فعدم الحزن والجزع عند الهزيمة أمرٌ غريبٌ يمكن أن ينكره السَّامع ؛ لذلك جاء بالأسلوب الخبرى مؤكدا النفى" بلا" مقدما الضمير ": نحن " بعد أداة النفى ليعرِّض بالمشركين ، ونلاحظ أنه وصل بين الجمل في البيتين الثاني والثالث ؛ لأن أراد أن يثبت لهم مضمون هذه الجمل مجتمعة .

وقد صوَّر هذا المعنى –"عدم جزعهم عند الهزيمة " –بالاستعارة المكنية فى قوله " ولا نحن من أظفارها نتوجَّع " وبلاغة الاستعارة المكنية تكمن فى أنَّها " تعمل غالبا على بثِّ الحياة والحركة فى المشبه به لغرض المبالغة " [1] ، ففى هذه الاستعارة جعل الحرب حيواناً مفترساً يخمُش المتحاربين بأظفاره ، فقد شبه الحرب بحيوان مفترس ثم حذف المشبه به رمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهى " الأظفار " والصورة دقيقةٌ موحيةٌ ، فالتركيب الذى جاءت الاستعارة فى معرضه نَظَمَه الشاعر بدقَّةٍ وإتقانٍ . فالأظفار تدل على أنَّ الهزيمة مهما نالت منهم فلن تعدو أن تكون آثارها كخدوشٍ من أظفار حيوانٍ مفترسٍ, فهم من القوة بمكانٍ بحيث لا ينال منهم عدو نيلاً بالغاً ؛ ولذلك آثر الأظفار كلازم للمشبَّه به المحذوف دون الأنياب ، لهذا الغرض ،وألمح مناسبةً معنويةً دقيقةً بين الكناية " بنو الحرب " وهذه الاستعارة وهى أنَّه لما أثبت لقومه بنوتهم للحرب اختار الأظفار كلازم للمشبه به المحذوف فيكون المعنى أن الحرب مهما قست عليهم فلا يعدو أثرها أن يكون إلا كحيوان مفترسٍ يداعبُ أبناءه بمخالبه فهو إن أصابهم خطأ بأظفاره فإنما يصيبهم إصابةً غير بالغة ، وللجناس التام المستوفى بين " نظفر ، والأظفار " معنىً بالغ الروعة والجمال، حيث يطوى هذا الجناس الأبيات طيًّا ليعبِّر هو عن معناها فى كلمتين , فالجناس يوحى بمساواة الظفر بالأظفار وهو المعنى الذى تدور حوله الأبيات .

---

(1) محاضرات فى علم البيان د/ ربيعى عبد الخالق ص37 التركى طنطا 2000 م.

ثمَّ يواصل كعبٌ بيان مجد قومه وقوتهم وشدة بأسهم حتى قبل الإسلام حيث يقول:

وكنَّا شهاباً يتَّقى الناسُ حرَّه ۞ ويفرج عنه من يليه ويُسفع

يصور كعب قومه قبل الإسلام فى قوتهم ، وجهالتهم ، فيشبّههم بالشِّهاب المحرق شديد الحرارة ، فالناس كانوا يتَّقون غضبهم فضلاً عن أذاهم كما يبتعد الإنسان عن النار خوفاً من حرّها ، ومع ابتعاد النَّاس عنهم اتقاءً لغضبهم فإنَّهم لم يسلموا من أذاهم بسبب جهالتهم وشدة بأسهم ، فمن اقترب منهم يريد إيذاءهم فإنّ أدنى قوةٍ منهم تردُّه خائباً مهزوماً كما يرتدُّ من يشعر بحرارة النار هربا منها ، ويُلاحَظ استخدام الشاعر كلمة " حرُّه " دون إحراقه ، وهذا يوحى بأنَّ الناس كانوا يتَّقون يسير غضبهم ، لأنَّهم لو غضبوا ولو غضبا يسيراً ، فإنَّ من أغضبهم لا يأمن أن تتطور الأمور إلى ما لاقبل له به ، كما أن قوله " يتَّقى " دون يجتنب يوحى بشدة حرص الناس على اجتنابهم ، وبناء الفعل " يسفع " للمجهول إشارة إلى أن وصول أذاهم لمن عاداهم قانون لابد منه ، فهو واقع لا محالة ، وأن باعهم طويل يمتد إلى القريب والنائى .

ثالثا : الفخر بالشهادة

وهذا الغرض ممَّا استحدثه الإسلام وهو من توابع العقيدة الرَّاسخة فإنَّ الإنسان إذا صحَّت عقيدته فإنَّه سيستعذب فى سبيلها التضحية بكل شئ حتى ولو كانت نفسه ، ؛ لأنَّ النظرة إلى الموت تغيرت من فقدان للحياة إلى وسيلة لحياة آخرى أتمّ حياة عند الله من الحياة الدنيا قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (1)

لذلك نرى كعب بن مالك يفخر بمن استشهدوا فدخلوا الجنة [2] :

ألا أبلـــغ قريشـــا علـــى نأيهـــا ... أتفخـــر منَّـــا بمـــا لـــم تلـــى؟
فخـــــرتُم بقتلـــــى أصـــــابتهم ... فواضـــلُ مـــن نعـــم المُفضِـــلِ
فحلُّـــوا جنانـــاً وأبقـــوالكم ... أســـوداً تحـــامى عـــن الأشْـــبُلِ

ينفى كعب أى فضل لقريش فى يوم أحد, فهم يفخرون بشىءٍ ليس لهم فيه فضل فما حدث إنَّما كان بمعصية المسلمين ، ومع ذلك فإنَّ ما افتخروا به وفرحوا أن أصاب المسلمين ، إنما هو فضل من الله لا يعطيه إلا لمن يحبه – لو كانوا يعلمون – فقد تركوا الحياة إلى حياة أعظم ، وإن كانوا قد رحلوا فقد خلَّفوا أسودا أقوياء أمثالهم ، وقد بدأ الأبيات بألا الاستفتاحية التى "يؤتى بها لإيقاظ المستمع ولفت انتباهه إلى ما سيلقى إليه" [3] ثم يسخر من قريش ويضع من مكانتها فى قوله " على نأيها " مستخدما على بمعنى مع "[4] على سبيل الاستعارة التبعيَّة والعبارة توحى بالضَّعة والحقارة .

---

(1) سورة آل عمران الآية (169). (2) ديوانه ص254 قصيدة 49.
(3) دلالات التركيب ص262.
(4) الجنى الدانى فى حروف المعانى ص476 للمرادى ت .د / فخر الدين قبادة ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1415هـ / 1994م.

ثمَّ يسخر من فرحتهم بشىءٍ لا 152 ن صنعهم وذلك بالاستفهام الانكارى

التوبيخى " أتفخر منا بما لم تلى " فهم كالحادى وليس له بعير ، ثم تأتى الصورة فى البيت الثالث لتزجر قريشا وتنبههم إلى الحقيقة الغائبة عنهم ، وهى أنَّهم – (شهداء المسلمين) – إن كانوا قد رحلوا فقد رصدوا لأعداء الله (أسودا) تقاتلهم من بعدهم

، وقد تآزر النظم مع الاستعارة حتى خرجت الصورة متناسقة بديعة ففاء السببية فى (فحلُّوا) تدل على أنَّ قريشا هم سبب النعيم الذى صار إليه هؤلاء الشهداء ، وياشقاء العدو عندما يعلم أنه أسعد عن غير قصد من يعاديه ، وقوله " حلوا " بمعنى انتقلوا مناسب تماما لجزاء الشهداء وهو الانتقال من الحياة الدنيا إلى حياة حقيقية ثانية

كما أنَّ إيثارة الفعل أبقوا دون تركوا ؛ لأنَّ الفعل أبقوا يدل على الدوام والاستمرارية وهو مناسب تماما لما يخبر به كعب من رعاية الكبار للصغار فإذا ما شبَّ الصغار فإنَّهم يرعون ويحمون من دونهم وهكذا ، كما أن قوله " لكم " تدل على التخصيص والرصد وكأنَّهم ليس لهم مهمة وهدف فى هذه الحياة إلا الوقوف بالمرصاد لهؤلاء المشركين ، وقوله " أسودا " يدل على الكثرة كما أن له وقعا صوتيا مخيفا من توالى الضمتين مع المد الطبيعى وصوت الدال القوى .

وقوله " تحامى " دون " تدافع " ؛ لأنَّ المدافعه تكون عند إحداق الخطر واقترابه ، أمَّا المحاماة فهى تدفع الخطر قبل اقترابه ، فكأنَّهم جعلوا لأنفسهم وذويهم حمىً لا يقترب منها ولا يتعداها أحد ، كما أنَّ قوله"الأشبل" استعارةالأشبل للأبطال صغار السن من أبناء المسلمين , هذه الاستعارة تنزّلهم منزلة الأسود وتعلى من قدرهم وتخيف عدوهم ، وهكذا يجتمع الصبر والعزاء مع التهديد والوعيد والسخرية فى ثلاثة أبيات ، حولت فرحة قريش فزعاً ورعباً .

رابعا : الفخر باتباع الإسلام

يقول حسان "[1]

1. الله أكرمنـــا بنصـــر نبيّـــه وبنـــا أقـــامَ دعـــائِم الإســـلامِ
2. وبنـــا أعزَّنبيَّـــه وكتابـــه وأعزَّنـــا بالضـــرب والإقـــدامِ
3. فـــى كـــلِّ معتـــركٍ تطيـــرُ ســـيوفنا فيـــه الجمـــاجِمَ عـــن فـــراخِ الهـــامِ[2]
4. ينتابُنـــا جبريـــل فـــى أبياتنـــا بفـــرائضِ الإســـلامِ والأحكـــامِ
5. يتلـــو علينـــا النُّـــور فيهـــا محكمـــاً قســـماً لعمـــرك لـــيسَ كالأقســـامِ
6. فنكـــون أوَّل مســـتحلِ حلالـــه ومحـــرمٌ لله كـــلَّ حـــرامِ
7. نحـــنُ الخيـــارُ مـــن البريـــةِ كلِّهـــا ونظامهـــا[3] وزمـــامُ كـــلِّ زمـــامِ[4]
8. الخائضـــو غمـــرات[5] كـــلَّ منيَّـــةٍ والضَّـــامنون حـــوادِث الأيَّـــامِ
9. والمبرمـــون قـــوى الأمـــور بعـــزِّهم والنَّاقضُـــون مرائِـــرَ الأقـــوامِ

يفتخر حسَّان بأنَّ دعائم الإسلام أقامها الله بقومه , وبهم أعزَّ الله نبيَّه ﷺ فى المعارك التى خاضها بهم ضدَّ أعدائه ، كما أنَّهم يؤمنون بكلِّ ما نزل به الوحى على النبى ﷺ ويكفيهم فخراً وشرفاً نزول جبريل فى مدينتهم بالأحكام من عند الله فيحلُّون ما أحل الله ويحرِّمون ما حرَّم غير مسبوقين إلى ذلك ، ثم يفتخر بأمجاد قومه وقوتهم وشجاعتهم ، تظهر الروح الإسلامية جليَّةً فى هذه الأبيات، حيث يسند حسَّان الأفعال إلى الله سبحانه وتعالى فهو سبب كل فضل لله ؛لذلك قدّم لفظ الجلالة.

---

(1) ديوانه ص143 قصيدة (35) .

(2) الهام / الهامة طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى ، والجمع هام ، فإن العرب كانت تقول إن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير / اللسان 112/15 .

(3) نظامها / النظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ. وكل خيط ينظم لؤلؤ أو غيره فهو نظام / اللسان 204/14 .

(4) زمام / الخيط الذى يشد فى البُرة أو فى الزمام ثم يشد فى طرفه المِقوَد ، ويسمى المقود زمام/ اللسان 59/7 .

(5) غمرات / الغمرة الشدة . وغمرة كل شئ منهمكه وشدته . كغمرة الهم والموت ونحوهما / اللسان 81/11 مادة (غمر).

وهذا من مستتبعات العقيدة الإسلامية, فهو هنا يربط الفخر بالقوة والشجاعة بمصدرهما وصاحب الفضل فيهما وهو الله سبحانه وتعالى ، وبعد أن أبدى أسباب القوَّة والتفضيل وأنَّها ما عادت بالمال والجاه والقوَّة , وإنما بالله ورسوله ودينه , أخذ يفخر فى اطمئنان لأنَّه وضع أساسه فلن يُساء فهمه ، وقد أورد حسَّان بعض الصور البيانية فى هذه الأبيات ، ففى البيت الثالث يستعير (تُطِير) لـ (تُزِيل) على سبيل الاستعارة التبعية وهى توحى بقوة الضَّرب وحده السيوف ، فالسيوف تضرب الجماجم فتزيل الغطاء وتكشف الرأس من الداخل ، فيطير الطائر الخرافى الذى كان العرب يزعمون أنَّه يخرج من رأس القتيل ، وقد يُعترض بأنَّ الفعل هنا على حقيقته وليس استعارة ؛ لأنَّ المقصود أن هذا الطائر الخرافى يطير فعلا . أقول إنَّ السيوف تكشف وتزيل الغطاء عن هذا الطائر فللدلالة على قوة الضرب والمبالغة فى قوة أثره استعير "الطيران للكشف والإزالة ثمَّ اشتُقَّ منه تطير بمعنى تكشف .وفى قوله " فراخ الهام " كناية عن أنَّهم يقتلون الشباب الأقوياء من أعدائهم ، فذكر الفراخ هنا إشارة إلى أنَّها مازالت صغيرة لم تكبر بعد وينتقل من ذلك إلى أنَّ أصحابها ما زالوا صغاراً ، وفى هذه الكناية أيضا معنىً دقيق من حسَّان أو مأ إليه وهو أن هذه الفراخ لن تستطيع كما يزعمون – أن تطلب ثأر أصحابها (*) لأنَّها لن تصيح كما كانوا يزعمون , وفى هذا إشارة من حسَّان إلى أنّ قتلى أعدائهم لا يُثأر لهم ؛ لأنَّ من قتلوهم من العزة والمنعة بمكانٍ فلن ينال منهم أحدٌ ، ثمَّ جاء حسان فى البيت الخامس باستعارة ملائمة لما قبلها من معانٍ، حيث استعار النور للقرآن الكريم بجامع الهداية وهذه الاستعارة كما ذكرت مناسبةٌ لما قبلها , فكون القرآن نوراً من الله مناسبٌ لإثبات كل الفضل لله فى قوله من أول بيت " الله أكرمنا – وبنا أقام – وبنا أعز " حتى فى الأفعال التى فيها مباشرةٌ وقوةٌ منهم يسندها لله عز وجل فى قوله " وأعزنا بالضرب والإقدام " فالاستعارة مناسبه تماماً لهذا الاستسلام وتوحى بأنهم يفعلون هذه الأشياء بهدى من الله وتوفيق منه بسيرهم على منهجه المنير الهادى وهو القرآن الكريم ، وقد قدم حسان الجار والمجرور علينا على المفعول به " النور " إظهارا للفرح والسعادة والفخر بكونهم أول من يُتلى عليه نور الله .

--

---

* كان العرب يزعمون أن القتيل يخرج من رأسه طائر كالبومه ويقف على قبره ويصيح قائلا اسقونى - اسقونى ولا يزال على هذه الحالة حتى يؤخذ بثأره .

انظر / المستطرف من كل فن مستطرف للأبشيهى 84/2 - مكتبة الحياة 1989 م

وفى البيت السابع يأتى بتشبيهين مؤكَّدين مجملين فى قوله نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام ، فقد شبه قومه أولاً بالنظام وهو الخيط الذى يُنظم فيه اللؤلؤ وغيره ثم شبههم بالزمام وهو أيضا خيط يزمُّ الأشياء فيقرِّب بينها ، فالتشبيه الأول يصوِّر قومه ، وقد استمسكوا بحبل الله فجمعوا الناس بتبلغهم رسالة الله لهم فحفظوهم من التفرق فى الظلمات فهم فى هذا الوجه يشبهون النظام الذى يحفظ حبَّات العقد من الانفراط والتبعثر، ثمَّ شبَّههم بالزِّمام فى تقدُّمه " يقال زمَّ القوم : تقدمهم كأنَّه زمامٌ " [1] فهو أراد أن يثبت لهم سبقاً وتقدُّماً على غيرهم ، وليفيد عموم تقدُّمهم على كل الناس قال " وزمام كل زمام " بمعنى أنَّهم مقدمون وسباقون لكل سابق ، وهذان التشبيهان أيضا مناسبان للمعانى التى صدَّر بها القصيدة .

فالتَّشبيه بالنظام مناسب لإقامتهم لدعائم الإسلام واستقبالهم الوحى أولاً ثم توصيله للناس – وكونهم قدوة للناس فى أنَّهم أول مستحلٍ للحلال ومحرِّم للحرام ، والتشبيه الثانى مناسبٌ للأشياء التى تفوَّقوا وتقدَّموا بها على الناس والتى لا يمكن أن يُنَازَعوا فيها كوجود النبى الذى ينزل عليه الوحى فى ديارهم – ونصرهم للنبى ﷺ – وخوضهم المعارك معه لنصر الله ورسوله .

وهكذا نلاحظ أنَّ " كل تشبيهٍ إنَّما هو امتدادٌ للأنسجة اللغوية التى صاغت السياق كلَّه وهذا يعنى ضروباً من الانساق الخفى المكين " [2] وفى البيت الثامن نجده يذكر جانباً من تضحيَّاتهم من أجل الإسلام فى صورةٍ تمتزج فيها الاستعارة بالمجاز المرسل فى قوله " الخائضوا غمرات كلِّ منيَّة " حيث يوضح أنَّه كما يعم خيرهم البرية كلها فإنَّ لهم قوةً وشجاعةً فى الحقِّ تجعلهم يخوضون من أجله غمرات الموت .

وقد عبَّر عن الحرب بالمنيَّة "، حيث عبر بالمسبب عن السبب تبشيعاً للحرب ، ومبالغةً فى إثبات شجاعتهم، حيث صوّر قومه بالمجاز كأنَّهم يخوضون الموت لا الحروب وفى هذا إشارة إلى كمال القوة و الشجاعة . أما موطن الاستعارة المكنيَّة فهو قوله " غمرات كلِّ منيَّة " حيث شبَّه الحرب وغمراتها ببحرٍ يخوضونه وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الخوض والصورة موحيةٌ تصوِّر صعوبة الحروب وتجعلها صعبةً ثقيلةً فالذى يخوض فى الماء يجد صعوبة فى السير ؛ لأنَّ الماء له مقاومة .

---

(1) المعجم الوسيط ص 401 مادة زم. (2) دراسة فى البلاغة والشعر د محمد أبو موسى ص30 .

التصوير البيانى وبلاغته

فى شعر الرّثاء

التصوير البيانى وبلاغته فى شعرالرّثاء

" هذا الفن قديم قدم الإنسانية لأنَّه يعبر عن حزن الإنسان وألمه على فقد عزيز عليه [1] " والعاطفة فيه من أصدق العواطف ؛ لأنَّ أوتار الشجى والطرب لا تحركهما إلا الأنغام الصادقة "[2] فهو فن " فلما تشوبة الصنعة والتكلُّف " [3] ، وقد اختلف الرِّثاء الإسلامى عن الرثاء فى الجاهلية فبينما كان فى العصر الجاهلى تعلو فيه نبرة السخط والضجر ، والتفجع ، لا نجد لهذه الأشياء وجوداً فى الإسلام ، فلا اعتراض على الأقدار ، ولا نسبة للموت إلى الطبيعة ، فالمرثيَّة الإسلامية أخذت تذكر فضل المرثى فى الإسلام وأخلاقه ، وشجاعته والذَّود عن دين الله " والحقيقة أننا لا نستطيع أن نطلق على هذه الصور مرثية ، فالمرثية لميت فى حين أن من تكتب عنه هذه القصائد يتجاوز مرتبة الأحياء " [4] وإن وجد بعض الشعر الحزين المتفجِّع " إلا أنه صابرٌ محتسبٌ " [5] وأرى أن أثر التفجُّع فى المرثية الإسلامية خفيف , حتى يمكن أن نقول بأنَّه مدح ولكنه مدح للأموات .

" وقد ازدهر فنُّ الرثاء فى هذا العصر ، حتى ليمكن جمع ديوان كبير من الشعر الحزين فى بدر وأحد خاصة " [6] وكما بدأنا فى باب المدح بمدح النبى الأكرم ﷺ، فسنبدأ هنا برثاء الشعراء للنبى ﷺ ، ولقد رأينا فى باب المدح أنَّه ﷺ لم يكن يحب المدح والثناء ، لأنه ليس كملوك الدنيا فكان هذا تقييدا لهذا الغرض (مدح ا لشعراء له) إلا أنَّه ﷺ لما قُبِض أظلمت الدنيا فى وجه صحابته، حيث بدأوا يشعرون بغياب نور النبى ﷺ، فيدخلون المسجد فلا يجدونه ، وتتوارد إلى أذهانهم ومخيلتهم المشاهد المختلفة للنبى ﷺ فهنا كان يصلى بهم ، وهناك كان يجلس يعلمهم القرآن والسنة فيشعرون بافتقادهم النبى ﷺ فتتفجر مشاعرهم ، وتفيض على ألسنتهم بأصدق وأعذب الكلمات فى رثاء خير رسل الله وأفضل خلق الله ﷺ

---

(1) فن التشبيه د/ أمينة محمد سليم ص 135 ط الدار المصرية - الإسكندرية بدون تاريخ
(2) خصائص التراكيب ص 190 د/ محمد أبو موسى.
(3) الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د/ يحيى الجبورى ص311 ط رابعة ط مؤسسة الرسالة 1983
(4) أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية ص102
(5)الأدب فى عصر النبوة والراشدين د/ صلاح الدين الهادى ص262 ط الخانجى القاهرة 1988/1409
(6) شعر المخصرمين وأثر الإسلام فيه ص 355

يقول حسان بن ثابت فى رثاء الرسول ﷺ [1]

مـنِ الـذى كـان نـوراً يُستضَـاء بـه ... مبـــاركُ الأمـــرِ ذا حـــزمٍ وإرشـــادِ
مصـــدقاً للنبيـــين الألـــى ســـلفوا ... وأبـــذلُ النَّـــاس للمعـــروفِ للجـــادى[2]
خيـــر البريـــة إنّـــى كنـــت فـــى نهـــرٍ ... جـــارٍ فأصـــبحتُ مثـــل المفـــردِ الصـــــــــــــــــــــــــــــــادى[3]

يذكر حسان فضل النبى ﷺ ونوره الذى كان يستضئ به المؤمنون عندما كان فيهم ، وقد جاء برسالة مصدِّقة للرسالات التى جاء بها الأنبياء ، وأكثر الناس معروفاً ، وقد كان حسان مع النبى ﷺ كمن ينهل من نهرٍ ، لا يظما أبدا ، فصار من بعده كطائر الهام الذى يصيح بسبب العطش ، وترى صدق العاطفة جليَّاً فى هذه الأبيات ، متمثلا فى الأنفاس المكروبة القصيرة والتى انعكست على الأبيات فى الإيجاز وقصر المقاطع المتمثِّل فى الأسلوب الإنشائى دون الخبرى ، وبناءُ الفعل للمجهول " يُستضَاءُ " إيجازًاحتى لا يطيل ويقول " يستضئ به الناس جميعاً " وحذف أداة النداء من " خير البرية " لضيق المقام بسبب الحزن.

وفى هذه الأبيات يصور حسان هداية وإرشاد النبى ﷺ بالنور ، حيث شبَّهه بالنور فى البيت الأول , والتشبيه صورة من صور التَّشبيه البليغ الاصطلاحية وقع فيه المشبه به خبراً لكان ، وقد أعان النظم على إظهار الصورة فتنكير كلمة "نوراً" للتعظيم والتكثير وبناء الفعل للمجهول مع إفادته الإيجاز يفيد أيضا الدلالة على عموم المنتفعين به لعموم هدايته ونفعه ورحمته بالمسلمين وغيرهم ، كما أن الصيغة "يستضاء " تدل على الحرص على التزود من هذا النور وتهافت الناس عليه فالسين والتاء يفيدان الطلب.

---

(1) ديوانه ص208 قصيدة (87)
(2) الجادي / اجتداه ، طلب منه الجدوى / الوسيط ، مادة (جدا) ص 111 .
(2) المفرد الصادى / الصدى : الذكر من البوم ، وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يُدرك بثأره خرج من رأسه طائر كالبومه وهى الهام والذكر الصدى فيصبح على قبره اسقونى / اللسان 218/8 مادة صدى

كما أن هذا النور فى ازدياد ، فكلما مر الزمان ارتفع شأن النبى ﷺ وزاد اتباعه وهو ما عبَّر عنه حسان بقوله " مبارك الأمر " ، ثمَّ يصور حسَّان حالته فى حياة النبى ﷺ وحالته بعد قبضه بصورتين ، الأولى بالاستعارة التمثيلية فى قوله " إنى كنت فى نهر جارٍ "، حيث شبه حالته ، وقد كان يتزود وينهل من كرم وعلم وخلق ودين النبى ﷺ بهيئة من هو فى نهرٍ جارٍ لا يظما أبداً ، ثم استعار هيئة المشبه به للمشبه ، ثمَّ جاء بصورةٍ تشبيهيَّة تصور حالته بعد قبض النبى ﷺ.

فلما ذكر فى الاستعارة أنَّه كان مع النبى ﷺ كمن هو فى نهرٍ لا يظما أبداً صوَّر حالته بعد قبضه ﷺ بحالة طائر الهام الخرافى الذى يصيح دائما بسبب عطشه كما كانوا يزعمون حتى يُثأر للقتيل ، ويُلاحَظ أنَّ حسَّان استخدم فى البيت الأول " كان " التى تدل على الماضى مع أنَّ نور النبى ﷺ مستمرٌ إلى يوم القيامة ، والذى حسَّن المعنى مع دلالتها على الماضى أنَّها تأتى فى مقام الرثاء " فتذَكَّر ما كان من الأموات فى الماضى لازمة من لوازم الرِّثاء بكافة أنواعه " .

---

(1) رثاء غير الإنسان فى الشعر العباسى ، عبد الرحيم السودانى ص289 ط المجمع الثقافى أبو ظبى 1420هـ /1999 م.

أولا : رثاء النبي ﷺ

يقول كعب بن مالك فى رثاء النبى ﷺ "[1]

1. نُخصُّ بما كان من فضله وكان سراجاً لنا فى الدُّجى
2. وكان بشيراً لنا منذراً ونوراً لنا ضوؤه قد أضا
3. فأنقذنا الله فى نوره ونجَّى برحمته من لظا[2]

يذكر كعب فضل النبى ﷺ عليهم فقد كان هداية لهم وكان بشيرا ونذيرا ، أنقذهم الله بما أرسله به من الإسلام فنجَّاهم من النار ، ففى البيت الأول يشبِّه كعب النبى ﷺ بالسراج بجامع الهداية ، ثمَّ جاء بقوله " لنا " الذى يدل على اختصاصهم بنور النبى ﷺ ، ولكى يدل على تمام النور وعظيم نفعه جاء بكلمة الدُّجلأنَّ النُّور لا يظهر كاملاً ولا تعظم فائدته إلا فى دياجى الظلمات ؛ لأنَّ الضِّدَّ يظهر حسنَه الضِّدُّ ، فالظلمة تظهر النور تماماً ، ويُعتَذر عن تخصيص كعب قومه بنور النبى ﷺ مع أنَّه من كمال المدح وتمامه المدح بعموم الفضل – بأنَّه قد يكون المقصود " بالدجى " النوازل والشدائد وعظائم الأمورعلسبيل الاستعارة الأصليَّة التصريحيَّة, أو لعل المقصود بها الحرب ، خاصة وأنَّه ذكرها فى بيت سابق لهذه الأبيات، حيث يقول "[3] :

وبكَّى الرسولَ وحقَّ البكا عليه لدى الحربِ عندَ اللقا

فيكون مقصده أنَّهم اختصوا ببركة النبى ﷺ ودعائه وتوجيهه فى المحن والكربات والحرب وأنَّ رأيه وتوجيهه فيها يكشفها ويزيلها كما يهدى السراج من يسترشدُ به فى الظلمات ، وكلمة الدجى استعارة للضلال ، أو الكربات والشدائد أو الحرب ثم تأتى الصورة فى البيت الثانى من جنس سابقتها، حيث يشبِّه النبى ﷺ بالنور فى قوله " ونورا لنا ضوءه قد أضا " وهذا التَّشبيه وثيق الصلة بالشطر الأول " وكان بشيرا لنا منذرا" فكونه بشيراً ومنذراً يجعلهم بالتبشير والإنذار يلتزمون الطريق المستقيم الذى أراده الله لهم .

---

(1) ديوانه ص 173 قصيدة 4(2) لظا/ اللظى : النار ... لظى اسم جهنم اللسان 204/13 مادة (لظى)
(3)ديوانه ص 173 قصيدة 4.

فهو فى ذلك كالنور الذى يهدى الناس ويحفظهم من العثرات والإنحراف عن الجادة . وهذا الوجه أيضا يجوّز تخصيص المؤمنين بنور النبى ﷺ بتكراره " لنا " فى شطرى البيت . وتعبيره بالفعل أضا مقصوراً دون همز ؛ لأنَّ صوت الألف الممدود مفتوح فكأنَّ المدَّ الناشىء عن قصر الفعل يوحى باستمرار نور النبى ﷺ وانتشاره بخلاف ما لو أتمَّ الفعل فقال" أضاء " فسكو ن الهمزة يفوّت الإيحاء الذى أشرت إليه ، ثم يأتى البيت الثالث نتيجة لمضمون البيت الثانى فانقاذهم بسبب نور النبى ﷺ مسبَّبٌ عن تبشيره وإنذاره واستجابتهم ؛ لذلك صدَّر البيت بالفاء التى " من معانيها السببية " [1] ، وفى البيت استعارة فى قوله " نوره "، حيث استعار النور لما جاء به النبى ﷺ من هدى من الله بجامع الهداية والإرشاد واستخدام فى الظرفية دون الباء " (فى نوره) يعطى للصورة ظلالا رائعة فالعدول عن الباء مع ما فيها من معنى السببية إلى " فى" يوحى بأنَّ هذا النور (الهدى) ظرف أحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف وكأنَّه سفينه نجاةٍ أنقذتهم وحملتهم إلى شاطئ النجاة وبرِّ الأمام .

---

(1) المقتصد فى شرح الايضاح 1 / 941

ثانيا : رثاء حمزة رضي الله عنه

يقول كعب بن مالك "(1)

ولقد هُددتُ لفقدِ حمزةَ هِدَّةً ظلَّت بنَاتُ الجوفِ[2] منها ترعدُ[3]
ولو أنَّه فُجِعت حراءُ بمثلِه لرأيتَ رأسَى صخرِها يتبدَّدُ
قرمٌ [4] تمكَّنَ فى ذؤابةِ [5]هاشمٍ حيثُ النبوَّةَ والنَّدى والسؤدُدُ
والعاقِرُ الكُوَمِ [6] الجلادِ إذا غَدَت ريحٌ يكادُ الماءُ منها يجمُدُ
والتَّارِكُ القِرنَ الكَمِيَّ مُجدَّلاً يوم الكريهة والقَنَا يتقصَّدُ[7]

يصوِّر كعبٌ هذه الأبيات حزنه العميق على فراق حمزة عمّ النبى ﷺ فلو أنَّ جبلا فُجِعَ بمثله لتهدَّم ، وهو من خيرة بنى هاشم ، كان كريماً فى زمن الشتاء، حيث يحتاج الناس إلى من يطعمهم ، شجاعاً فى الحروب يصرع الأبطال الأقوياء ويتركهم مطروحين على الأرض ، يصوِّر كعبٌ عاطفته الحزينة التى سيطرت عليه لفقد حمزة وهذه التجربه قاسية على المسلمين بسبب موت بطلِ مدافع عن الإسلام ، ففى البيت الأوَّل يعطينا صورة لأثر الصدمة عليه ووقعها فى نفسه فاستعار هُدِدتُ لفزعه وانهيار قواه عند سماع خبر استشهاد حمزة , فصوَّر أثر الخبر على نفسه بما يعترى البناء أو الجانب من الجبل من انهدام وانهيار ، والكلمة " هددت " وتأكيدها بالمفعول المطلق " هدة " " مناسبة بصوتها الشديد ومعناها الهلع للدمار وما يصحبه من أصوات "[8] والدمار ليس دمارا حسّيا وإنما هو تصدُّع الأنفس حزنا على سقوط هذا الجبل الشامخ , كما أن تكرار الدال فى" هددت" وتشديدها فى " هدَّ ة" "وهى من الصوامت المغلقة التى توصف بالشدَّة والانفجار " [9] يوحى بقوة الحدث وفجائيته .

---

(1) ديوانه ص189 ، 190 قصيدة (13) (2) بنات الجوف / يقصد بها القلب والأحشاء .
(3)ترعد/ ارتعد ارتعش واضطرب الوسيط 353
(4) قرم / المقرم من البعير الذى لا يحمل عليه ومنه قيل للسيد قرم ومقرم/ مختار الصحاح 289
(5)الذؤابة / من كل شئ أعلاه الوجيز 342(6) الكوم/ الكوماء الناقة العظيمة السنام الوجيز 545
(7)يتقصَّد : تقصد العود : تكسر يقال تقصدت الرماح تكسرت/ الوسيط 738
(8) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابى ص 39 أ .د / صباح درازى مطبعة الأمانة 1986/1406
(9) المختار من علم الصوتيات د/ عبد الله ربيع محمود أد/ عبد العزيز أحمد علام ص196 ط دار البشرى – القاهرة 2000/1420

والصورة كما رأينا صوتيةٌ حركيَّة فالصوت والحركة معاً فى قوله " هددت " , " ترعد" ولمَّا كان من شأن المسلم الَّا يدعو ويرفع صوته بدعوى وصفها ﷺ بأنَّها دعوى الجاهلية من العويل وما شابهه, تحوَّل أثر هذه الفجيعة إلى صوت مصحوب بحركة ولكنها تُحس بداخله ولا ترى ، وامتزاج الصوت والحركة يوحى بامتزاج المشاعر واختلاطها ، فالشاعر حزين حزناً شديداً ، لا يستطيع أن يعبِّر عنه إلا بالبكاء الذى لا يسعف هذه العاطفة ولا يخفِّف من أثرها فتتحرك وتضطرب بداخله ، وفى الوقت ذاته هو يعلم كمؤمن أنه يجب أن يفرح للشهيد لماله من منزلةٍ عظيمة عند الله ، وقد أدَّت الكناية فى قوله –(ظلت بنات الجوف منها ترعد) دورها فى بيان عمق مشاعر الحزن ، حيث أثَّر الحزن فى كل عضو من أعضائه ، كما أنَّ ذكر فزع الأحشاء خاصةً مناسب لما حدث لحمزة من بقر بطنه من قبل هند بنت عتبة ، كما أنَّ هذه الكناية تدل على أنَّه لم يتأثَّر بهذا الحدث تأثّـُرا ظاهريا أو تأثرا مفتعلا ، وإنما كان تأثُّراً حقيقياً عميقاً شاركته فيه كل أعضائه .وفى إسناد الفجيعة اإلى حراء مجاز عقلى.

والبيت الثانى كله كناية عن عظم الفجيعة كما أن كلمات البيت " حراء " " رأسى صخرها " مناسبة للصورة فى البيت الأول ، وفى البيت الثالث استعارة مكنية فى قوله " ذؤابة هاشم " حيث شبَّه بنى هاشم فى اختلافهم وتباين فروعهم فى الفضل والأصل بشجرة لها فروع وفرع سيدنا مُحَمَّد وسيدنا حمزة فى ذؤابتها أى أعلاها ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو قوله " ذؤابة "كما أن قوله " قرم " استعارة، حيث إنَّها بمعنى الفحل الكريم من الإبل استعاره لسيدنا حمزة ، بمعنى أنَّه يشبه الفحل من الإبل فى ضخامة جسمه وإشراق وجهه وارتفاع قامته ، والبيت الرابع كناية عن شدة كرمه ، وفى البيت مبالغة مقبوله فى قوله " يكاد الماء منها يجمد والبيت الخامس كناية عن شدة قوته وشجاعته .

ثالثا : رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال كعب بن مالك يرثى سيدنا عثمان " [1] [من الكامل]

1. يـــا للرجـــالِ للُبّـــكَ المخْطُـــوفِ ... ولِـــد معـــكَ المترقْـــرقِ المنـــزُوفِ
2. ويـــحٌ لأمـــرٍ قـــد أتـــانى رائـــعٌ ... هـــدَّ الجبـــالَ فانقَضَـــتْ برجـــوفِ [2]
3. قتـــلُ الخليفـــةِ كـــان أمـــراً مفظعـــاً ... قامـــــتْ لـــــذاكَ بليَّـــــةُ التَّخويـــــفِ
4. قتـــلُ الإمـــامِ لـــه النجـــومُ خواضـــعٌ ... والشَّـــمس بازغـــة لـــــه بكســـوفِ
5. يـــا لهـــفَ نفســـى إذ توَلَّـــوا غـــدوةً ... بـــــالنَّعشِ فـــوقَ عواتـــقٍ وكتـــوفِ
6. ولُّـــوا ودلُّـــوا فـــى الضـــريحِ أخـــاهُمُ ... مـــــاذا أجـــنَّ ضـــريحهُ المســـقوفِ
7. مـــن نائـــلٍ[3]أو ســـؤدُدٍ[4]وحَمَالَـــةٍ[5] ... ســـبقتْ لـــه فـــى النَّـــاس أو معـــروفِ
8. كـــم مـــن يتـــيمٍ كـــان يجبُـــرُ عظمـــهُ ... أمســـــى بمنزلـــــه الضَّـــــياعُ يطـــــوف
9. فرَّجتَهـــا عنـــه برحْمِـــكَ[6] بعـــدما ... كـــــادت وأيقـــــنَ بعـــــدَها بحتـــــوفِ
10. مـــازالَ يقـــبلُهم ويـــرأبُ ظلمَهـــم ... حتـــــى ســـــمعتُ برنّـــــة التَّلهيـــــفِ[7]
11. أمســـى مقيمـــاً بـــالبقيعِ وأصـــبحُوا ... متفـــــرقينَ قـــــد أجمعُـــــوا بخفـــــوفِ

يبكى كعب فى هذه الأبيات مقتل الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه ، ويبيّن عظم الخطب ، وأنَّه أمرٌ تخرُّ له الجبال هدًّا ، حزنت له السماء وما فيها ، ويصف مشهده وهو محمول على الاعناق إلى قبره ،حيث غيَّبوه وغاب معه الخير فقد كان عونا للفقراء واليتامى ، ثم يبيّن بشاعة فعلتهم ، ويوازن بين ما فعلوه معه وبين حلمه وعفوه رضى الله عنه هذه الأبيات شأنها شأن قصائد الرّثاء نابعة من القلب , فجاءت تحمل عاطفةً صادقةً وحزناً عميقاً ، وقد أسهم فى زيادة نبرة الحزن وعلوّ نبرة التفجُّع فى هذه الأبيات أنَّها ترثى مؤمناً قتل ظلما وعدوانا ؛كما أنَّها ترثى معه أمَّة قد تفرقت ودخلت فى كهف الفتن المظلم

---

(1) ديوانه ص238 ،239 قصيدة 39(2)رجوف/الرَّجَفَان/ الاضطراب الشديد /اللسان111/6مادة رجف.
(3) النائل / النيل والنائل : ما نلته / اللسان 399/14 مادة(نيل).(4) السُّودد/ الشرف ، وقد يهمز بضمّ الدال : السؤدد بضم الدال الأولى لغة طئ / اللسان. 296/7 مادة (سود) . (5) الحمالة / رجل حمَّال يحمل الكلَّ عن النَّاس / اللسان مادة حمل 230/4.(6) برحمك / من الرحمة : الخير والنعمة، الوسيط مادة (رحم) ص 335 .(7)التلهيف / لهف : استغاث: تلهف على الفائت حزن وتحسر/ 842 الوسيط.

وبما أنَّ المقام مقام حزنٍ عميق وهذه الأبيات ينعى فيها صاحبها تلك الفعلة الشنيعة التى يندى لها جبين الأمة حسرة وخجلاً من خذلان الخليفة وتركه لهؤلاء السفهاء يقتلونه ؛ لذلك فإن الكناية أبلغ من التصريح فى هذا المقام المخجل المؤسف وهى المناسبة للخجل والذهول الناشئ عن عدم توقُّع أو تصديق ما حدث للخليفة الراشد الثالث من أمة مُحَمَّد ﷺ. ففى البيت الثانى " تطالعنا الكناية " هدَّ الجبال " وهو كناية عن شدة هذا الأمر وهو قتل الخليفة . وكلمة "هدَّ "كما سبق أن ذكرت " مناسبة بصوتها الشديد ومعناها ذى الصوت الهلع للدمار المتخيل وما يصحبه من أصوات هائلة " (1) فهى مناسبة للهرج والصخب حول دار الخليفة من هذه الفئة الباغية ومناسبة لأصوات البكاء التى عمَّت المؤمنين فى أنحاء الأمة .ولاحظ حذفه اداة النداء من "ويح" إسراعا إلى هذا الحزن ولضيق المقام لشدة الأمر . ، وقدذكر كعب الآداة فى البيت الأول للتلهُّف والتحسُّر والتوجُّع فى قوله "ياللرجال".

ثم جاءت الكنايتان فى البيت الرابع فى قوله " له النجوم خواضع " والشمس بازغة له بكسوف ، وهما كنايتان عن شدة الفجيعة . حتى إنَّ الأشياء التى لا تعقل حزنت وألمت لهذا الحدث .وفى الكنايات السابقة تعريض بمن قتلوا الخليفة عثمان ؛ فكأنَّه يريد أن يقول أن قلوبهم أشدّ صلابة وقسوة من الحجارة ، وأنَّ الأشياء التى لا تعقل أوعى منهم وأكثر إحساساً وفى البيتين السادس والسابع كناية عن نسبة، حيث كنى عن نسبة الكرم والسيادة والرحمة إلى الخليفة بأنَّها اختفت معه فى ضريحه حيث يقول :

ولّوا ودلُّوا فى الضَّريحِ أخاهُمُ ماذا أجنَّ ضريحُه المسقوف
من نائِلٍ أوسؤددٍ وحمالةٍ سبقتْ له فى النَّاس أو معروف

وقد أعان النظم على دقة التصوير فى هذه الكناية فعرض الصورة بالأسلوب الإنشائى (الاستفهام) فى قوله " ماذا أجن ضريحه المسقوف ؟ دون الأسلوب الخبرى ، وذلك ليذهب العقل فى تصور هذه الصفات التى غيِّبت مع الخليفه عثمان كل مذهب ، وابتداؤه بالاستفهام سوّغ له أن يدخل حرف الجر من على الصفات المنكرة " نائل – سؤدد – حمالة " لتفيد التعظيم والتكثير .

---

(1) البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابى ص39 .

وفى البيت الثامن كناية عن نسبة فى قوله " أمسى بمنزلة الضياع يطوف "كناية عن نسبة الضياع والشقاء لليتامى من بعد سيدنا عثمان رضى الله عنه ، وفى اختياره لكلمة أمسى إيحاء بالظلمة والوحشة التى صار إليها هؤلاء اليتامى من بعد عثمان رضى الله عنه كما أنّ استخدامه"كم "وتنكير كلمة "يتيم"يدل على كثرة اليتامى الذين كان يكفلهم ﷺ وبالتالى يدلّ ذلك على عظمة جرم من قتلوه.

والبيت العاشر كله كناية عن طول صبره وحلمه ﷺ على هؤلاء المعتدين ، وقد عبّر عن دوام هذه الصفة بقوله " مازال " وباستخدام الفعلين المضارعين فى " يقبلهم – يرأب " واللذين يدلان على التجدد والحدوث وهكذا رأينا دور الكناية فى المقام الذى ضاقت فيه نفس الشاعرحزناًعلى الخليفة فليس المقام مقام تأنق .

الخصائص الفنية

للتصوير البيانى عند

شعراء الرسول ﷺ

الخصائص الفنيَّة للتَّشبيه

التَّشبيه فنّ فطرى مشترك بين جميع الأمم وتستخدمه كل طبقات المجتمع على تفاوت فى بلاغته ، حتى إنَّه ليستخدمه الأطفال الصغار عندما لا تسعفهم حصيلتهم اللغوية فيسمُّون الشئ باسم غيره للشَّبه بينهما ، والدَّافع إلى استخدام التشبيه أنَّه "يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً فى النَّفس ، وقد أدرك هذه الوظيفة جميع الألسنة من العرب والعجم ، فلم يستغن أحدٌ منهم عنه " [1] ، وهذا الفن " قد يكون أكثر الفنون دلالةً على حياة الأمم وحضارتها وثقافتها وتفكيرها ، لأنَّه مؤرخٌ صادقٌ لمشاهد الطبيعة وروائع العمران ولحياة البدو والحضر والقرى والمدن ، والمجتمعات والشعوب، وهو من ناحية البلاغة الأدبية فنٌ واسعُ الأثر ، عظيم المدى فى الاستدلال والإقناع ، والتمثيل والتصوير ، والبيان والتعبير ، وإثارة المشاعر والعواطف والوجدانات "[2]

وتعتبر الإصابة فى التشبيه مؤشِّرًا من مؤشِّرات خصوبة الخيال والشاعرية ؛ هذا عبد الرحمن بن حسان يصف زنبورا قد لسعه فيقول لأبيه " لسعنى طائر ..... كأنَّه ملتفٌ فى بردى حبرة ، فقال حسان " آبنى الشعر ورب الكعبة " [3] .

والإصابة فى التشبيه ليست أمراً سهلاً يقول ابن رشيق"أشدُّ ما تكلَّفه الشاعر صعوبة التشبيه ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل ،واقتضاء العيان"[4] ، وقد كثر استخدام التشبيه عند شعراء الرسول ﷺ وخاصَّة حسَّان ، وكعب بن مالك هو الآخر نجد أنَّ التشبيهات فى شعره أكثر من ألألوان البيانية الأخرى ، ولعل السبب فى كثرة التشبيه عندهم أنَّه وسيلة إقناع وخاصةً التشبيه التمثيلى لأنَّه "إذا جاء فى أعقاب المعانى ، أو برزت هى باختصار فى معرضه ونُقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته ، كساها أبَّهة ، وكسبها منقبةً ورفع من أقدارها " [5]

---

(1) الصناعتين ص249 .

(2) التشبيه فى شعر ابن المعتز ، وابن الرومى د/ محمد عبد المنعم خفاجى صـ5 ط أولى ط النارقية الحديثة - القاهرة .

(3) أسرار البلاغة ص191.

(4)العمدة لابن رشيق 241/1 ت / عفيف نايف حاطوم ط دار صادر بيروت ط أولى 1424هـ /2003م

(5) أسرار البلاغة ص121

خصائص أركان التشبيه البلاغية

أولا : الطرفان :

أولاً : من حيث الحسِّية والعقلية :-

لا شك أنَّ الشاعر الجاهلى والإسلامى ، بحكم تفاعله مع بيئتة ، وعدم اطِّلاعه على العلوم العقلية ، بجانب واقعية الإسلام ودعوته كل هذا دعم الجانب الحسى فى هذا الشعر إضافةً إلى تأثُّرهم بالمنهج القرآنى المعجز " ففى ميدان التشبيه نجد أنَّ القرآن الكريم يستمد عناصره من الطبيعة الحيَّة من نباتها وحيوانها وجمادها " [1] كما أنَّ العرب لهم " طرائقهم الخاصَّة فى التَّشبيه من وحى بيئتهم " [2] فقد كان كل تفاعلهم مع بيئتهم وما يوجد فيها من صحراء ونباتات وحيوانات وسماء وشمس وقمر ونجوم مما جعلهم يميلون إلى الواقعية " وانغماس الشاعر فى الواقع يجعل صوره يغلب عليها الحسية "[3] .

ومع ذلك فقد برزت معانٍ جديدة هى معان خلقية عقلية سعى الشعراء فى عصر صدر الإسلام إلى تصويرها كالإيمان والكفر ، والنفاق ، والهداية ، والمجد والرفعة ، واللؤم والخسَّة ، والكرم وغيرها من المعانى العقلية التى تناولها الشعراء فى تشبيهاتهم إلا أنَّ تصوير هذه المعانى لم يفلت من ربقة الحسية تماما فقليلا ما نجد فى شعر شعراء الرسول ﷺ تشبيه معقول بمعقول أو محسوس بمعقول . والأعم الأغلب أن يُشبَّه المعقول بمحسوس لأنَّه أقرب إلى الإقناع إذا كان فى مقام النُّصح والتوجيه والدعوة وأقدر على الايجاع والإبلام إذا كان فى مجال الهجاء يقول الإمام عبد القاهر عن فضل تمثيل المعانى " فإنْ كان مدحاً ، كان أبهى وأفخم ، وأنبل فى النفوس وأعظم ..... وإن كان ذمَّا كان مسُّه أوجع .... وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور ....." [4]

---

(1) الأثر القرآنى فى التصوير الشعرى د/ يوسف عبد الوهاب صـ 39 ط التركى - طنطا 2001/1421

(2) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د/ إحسان عباس ص 235 ط بيروت بتصرف يسير

(3) الشباب والشيب فى شعر ابن الرومى ص305 كلية اللغة العربية (ايتاى البارود) بتصرف يسير

(4) أسرار البلاغة ص115

ولعل حسَّان هو أكثر الشعراء 170 تصويراً لهذه المعانى العقلية لأنَّه بجانب

وصفه للإيمان والكفر والهداية وغيرها مما يشترك فيه معه زميلاه عبد الله وكعب إلا أنَّه يزيد عنهما فى تناوله بعض الصفات العقلية فى هجائه اللاذع كاللؤم والخسة وغيرها فقد تناولها كثيراً ومثَّلها فى صورة حسية .يقول فى تصوير اللؤم [2]

ترى من اللؤمِ رقماً بين أعينهم كما كوى أذرُعَ العانَاتِ كاويها

ثانيا : الطرفان من حيث الإفراد والتركيب والتعدد :-

قلَّ التشبيه المتعدِّد قلةً واضحةً فى شعر شعراء الرسول ﷺ، وهذه الندرة " جاريةٌ على أعراق البلاغة الأصيلة التى تنفر من التكلُّف والإغراق "[3] ولم يقع التشبيه المتعدد فى القرآن الكريم وإنما جاء التشبيه واحدًا بواحد . ، وقد كثر التعدد فى العصور اللاحقة عندما تبارى الشعراء فى " التعقيد والاسهاب ورغبوا فى التزيين ، والتنميق والمبالغة " [4] ، ولم أجد فى شعر حسان من التشبيه المتعدد سوى التشبيه [5] فى قوله :

إنِّى لأعجبُ من قولٍ غُرِرْتُ به حلو يُمَدُّ إليه السمعُ والبصر
لو تسمعُ العُصمُ من صمِّ الجبالِ به ظلَّت من الرَّاسياتِ العصمِ تنحدر
كا لخمر والشَّهد يجرى فوق ظاهره وما لباطِنِه طعمٌ ولا خبر

فقد شبَّه هذا القول الخادع بشيئين بالخمر والشهد فى حسن المظهر وسوء الجوهر (الطعم) وهو ما أسماه العلماء بتشبيه الجمع وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه " [6] أما التشبيهات المفردة فهى الأكثر عند شعراء الرسول ﷺ وتكاد تقترب منها التشبيهات المركبة ، ولعل السبب فى كثرة التشبيهات المركبة فى شعر شعراء الرسول ﷺ هو قدرتها على وصف الهيئات والحركات وهو ما يناسب جو المعارك والجهاد .

---

(2) ديوانه قصيدة رقم 43 ص153
(3) فن التشبيه ص129 (4) المرجع السابق
(5) ديوانه ص383 ، 384 ملحقات
(6) الإيضاح صـ284 تحقيق د/ عبد القادر حسين مكتبة الآداب 1996/1416

أولاً: من حيث الاستعمال :

استخدم شعراء الرسول ﷺ أدوات التشبيه الشائعة ، والتى كثر تداولها فى كتب البلاغة* ,وأكثر الأدوات استخداماً عند شعراء الرسول ﷺ "كأن " التى تدل على قوة الشبه بين الطرفين" فما كان من التشبيه صادقا قلت فى وصفه (كأنَّه) "[2] ويلى كأن فى كثرة الاستخدام " الكاف "كما استخدموا الأفعال التى قال عنها البلاغيون إنها تبنئ عن التشبيه وتأتى بعد تمامه لتدل على قربه أو بعده كما قال صاحب خلاصة المعانى عن الفعلين حسب ، خال " بل الفعل منبىء عن حال التشبيه فى القرب والبعد لا عن نفسه "[3] وأرى أن هذين الفعلين – خاصَّة – من أدوات التشبيه ، فقد أورد صاحب الإيضاح مثالا للتشبيه المرسل وهو :

وإذا الأسنَّة خالطتْها خِلتَها فيها خيالَ كواكبٍ فى الماءِ [4]

"فكأنَّه اعتبر الفعل المذكور آداة تشبيه "[1] وأرى أن هذين الفعلين يفيدان التشبيه .

---

* توجد أدوات أخرى لم تذكر فى كثير من كتب البلاغة ذكرها بهاء الدين السبكى (انظر " أدوات التشبيه فى لسان العرب صـ13 د/ أحمد هنداوى هلال ط مكتبة وهبة 1424 / 2003

(2) عيارالشعر – ابن طباطبا - تحقيق د/ محمد زغلول سلام –ص36- ط منشأة المعارف - الإسكندرية 1980

(3) خلاصة المعاني للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى ص341 تحقيق د. عبد القادر حسين ط دار النصر للطباعة الإسلامية 1993م

(4) الإيضاح صـ 302

(5)المنهاج الواضح فى البلاغةد–حامد عونى ص 150 ط مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972 م

ولى أدلة على ذلك : الدليل الأول " لُغوى " :

وهو أن دلالة الفعلين اللغوية ؛ 172 حول " الظنِّ من غير يقينٍ " [2] وهذه الدلالة بعينها هى معنى التَّشبيه ، أليس التشبيه يعنى اشتراكا وافتراقا ، يقول قدامة بن

جعفر فى تحديد مفهوم التشبيه " يقع بين شيئين ، بينهما اشتراكٌ فى معان تعمُّهما يوصفان بها،وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها " [2] وهذا المعنى يفيده الفعلان فإفادتهما الظنُّ وهو " إدراك العقل الشئ مع ترجيحه " [3] دليل على سبق الوهم إلى حاسةٍ من الحواس بإقامة شئ مقام غيره ابتداءً قبل التحقُّق ، وما ذلك إلا بسبب شبهٍ بيّن ، وهذا هو الشِّق الأول من معنى التشبيه ، وكون هذا الظن من غير يقين دليل على وجود بعض الاختلاف بين المشبه والمشبه به ، وهذا هو الشق الثانى من معنى التشبيه .

وأرى أن الفعلين يوحيان بقوة الشبه بين الطرفين ، ؛ لأنَّ ظنَّك الشئ غيره – وإن كان من غير ترجيح – يدل على قرب الهيئتين ، فكأنَّهما آداتا تشبيه مشفوعتان بالدليل على وجود الشبه وقوته ,وهو خلط الحواسِّ بين المشبه والمشبه به ابتداءً .

الدليل الثَّانى : إقامة حسب مقام كأنَّ فى القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ [4]

وقال فى سورة الإنسان ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا [5]

وليس أدل على بلاغة حسب من استخدامها فى القرآن الكريم للدلالة على التشبيه .

الدليل الثالث " عرفى " :

وهو أنَّه جرى عرف الناس على أنَّهم إذا رأوا شخصا من بعيد يشبه آخر أو شيئاً يشبه آخر فإنِّهم يؤكِّدون على أمر المشابهة التى أدت إلى الخلط بينهما قائلين " حسبته فلان – أو حسبته كذا .

---

(1)المعجم الوسيط مادة حسب ص171 ، خيل ص 266 (2)نقد الشعر قدامه من جعفر ص 109، ت كمال مصطفى ط الخانجي القاهرة ط ثالثة .د.ت. ،

(3) المعجم الوسيط مادة ظنَّ ص578

(4) سورة الطور آية 24 (5) الإنسان آية 19

الدليل الرابع : دليل استعمالى :

وهو أنَّ الشعراء يستخدمون هذين الفعلين كثيرافى مقام المدح ليؤكّدوا قوّة الشبه بين طرفى التشبيه يقول بشَّار:

وكـــأنَّ تحـــت لســـانها هـــاروت ينفـــث فيـــه ســـحرا
وتخـــال مـــا جمعـــت عليـــه ثيابهـــا ذهبـــا وعطـــرا

فكيف يكون مادحاً متغزّلاً ويأتى بفعلٍ يدلُّ على بعد الشبه بين الطرفين !!! ، وقد عدّ ابن أبى الإصبع هذه الأفعال من أدوات التشبيه، حيث ذكر أنَّ من أنواع التشبيه " ما تكون أدواته أفعال الظن واليقين كقولك حسبت زيداً فى جرأته الأسد ، وعمرا فى جوده الغمام – والجارية فى حسنها القمر – ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى :

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ

وأرى أنه يجب التفرقة بين ما يمكن أن يسبق إليه الوهم ويظنه الإنسان غيره حقيقة ، وبين الأمثلة التى للمبالغة والتى ذكرها ابن أبى الأصبع ما عدا آية الكهف – فإنى أرى أنَّ دلالة الفعلين على التشبيه تتوقف على قوة الشبه بين الطرفين حقيقة ، لا ادعاء ومبالغة .

ثانيا : أدوات التشبيه من حيث الإرسال والتأكيد

جاءت أغلب التشبيهات مرسله ذكرت فيها أداة التشبيه ولكن هناك بعض المقامات التى تقتضى التأكيد على قوة الشبه بين الطرفين فتحذف آداة التشبيه ؛ لأنَّ حذف الأداة يوحى باتحاد الطرفين،مثل مقام المدح يقول حسان فى مدح النبى ﷺ (2)

من الذى كان نورا يستضاء به مبـارك الأمـر ذا حـزم وإرشـاد

ويقول (3)

فنشـــهد أنـــك عبـــد المليـــك أرســـلت نـــورا بـــدين قـــيم

---

(1) تحرير التحبير جـ 1 صـ 164 (1) ديوان بشَّار بن برد/ت-محمد الطاهر بن عاشور 70/4-طالشركة التونسيَّة للتوزيع والشركة الوطنيَّة للنشر والتوزيع الجزائر -1976م

(2) ديوانه صـ139 (3) ديوانه صـ 136 قصيدة 32

ثالثاً : 174 ـه الشبه

أولا : من حيث الإجمال والتفصيل :

أغلب تشبيهات شعراء الرسول ﷺ مجملة ولعل السبب فى شيوع هذه الظاهرة فى الشعر العربى بصفة عامة ، سلامة الفطرة اللغوية لدى المخاطبين فيحذف وجه الشبه ثقة بأنَّ المخاطَب سيعرفه ، كما أنَّ الشاعر قد يحذف وجه التشبه " ليذهب الخيال والفكر كل مذهب فى تحديد وجه الشبه على أساس تداعى المعانى والإيحاءات والظلال ويغلب هذا فى القرآن الكريم والحديث وجيد الشعر " [1] ولعل سبب مجئ أغلب تشبيهات شعراء الرسول ﷺ مجملة تأثرهم بالقرآن الكريم ، لأنَّه لم يذكر فى القرآن الكريم وجه الشبه مطلقاً , كما أن ذكر الوجه يحدد وجه الشبه ، أما حذفه فيوحى باشتراك الطرفين فى كل الصفات ، كما أن ذكر الوجه يتعارض مع الإيجاز الذى هو عين البلاغة وقد جاء ذكر الوجه غالبا فى مواطن المدح والذم ؛ لأنَّ ذكره فى المدح يدعو الممدوح إلى السرور ، وذكره فى الذم آلم وأوجع وأبلغ فى التحقير والتنكيل ، فمثال ذكره فى الذم قول حسان [2]

أزبّ [3] أصلع سفسير له ذأب [4] ♦ كالقرد يعجم[5] وسط المجلس الحمرا

وقوله [6]

ففيم يقول يشتمنى لئيم ♦ ككنزير تمرغ فى رماد

ومثال المدح قول كعب بن مالك [7]

يمضى ويذمرنا عن غير معصية ♦ كأنّه البدر لم يطبع على الكذب

---

(1) فى رحاب البيان العربى أ.د / صباح دراز .أ.د / أحمد ناجى صـ 63
(2) ديوان حسان صـ342 قصيدة (235) (3) زب : زبيا كان كثير الشعر ، الوسيط مادة (زب)
(4) ذأب : ذأب في السير أسرع الوسيط مادة (ذأب).
(5) يعجم : عجم فلان عجمة كان في لسانة لكنة الوسيط مادة (عجم).
(6) ديوانه صـ 324 قصيدة (219)
(7) ديوانه صـ 105

ثانيا : من حيث قرب الوجه أو 175 :

تنوعت تشبيهات شعراء الرسول ﷺ من حيث قرب وجه الشبه وبعده فهناك

تشبيهات شائعة الاستخدام قريبة الوجه مثل تشبيه الحرب بالرحى فى قول كعب بن مالك "[1]

لعمرك لقد حكت رحى الحرب بعدما ♦ أطـارت لؤيـا قبـل شـرقا ومغربـا

فتشبيه الحرب بالرحى شائعٌ متداول قريب الوجه . وكتشبيه الشجاع بالأسد كقول حسان [2]

ليـوثٌ إذا غضـبوا فـى الحـروب ♦ لا ينكلـــون ولكـــن قـــدم

وقد يكون الوجه بعيدا طريفا كتشبيه السيوف بالمقابيس فى الاحراق فقد جرت عادة الشعراء على تشبيهها بالمقابيس أو بالنار فى اللمعان أما كعب فقد جاء بمعنى آخر طريفٍ هو من مستتبعات ومستحدثات العقيدة الإسلامية . يقول كعب [3]

وقد عُرِّيت بيضٌ خفافٌ كأنها ♦ مقـابيس يزهيهـا لعينيـك شـاهر

ومثل وجه الشبه فى قول حسان [4]

بطعن كإيزاغ المخـاض* رشاشُـه ♦ وضـرب يزيـل الهـام مـن كـل مفـرق

فقد اعتاد الشعراء على تشبيه سيلان الدم من الجروح بسيلان الماء من المزادة أما حسان فقد جاء بمشبه به جديد ووجه شبه أكثر جدَّة ودقة فقد جمع فى الوجه بين كون الدماء رخيصة ، وكونها نجسة : [5] وهو وجه لطيفٌ بعيدٌ يحتاج إلى شئ من التأمل لاستخراجه .

---

(1) ديوانه ص 176 (2) ديوانه ص138 (3) ديوانه ص200
(4) ديوانه ص 298 (5) راجع ص 211 من هذا البحث
*إيزاغ المخاض:دفعها بولها يقال أزغت به أى قذفت به

ومن الوجه البعيد أيضا قول كعب بن 176 فى مدح الرسول ﷺ [1]

يمضى ويذمرنا عن غير معصية ﴿ كأنـه البـدر لـم يطبـع علـى الكـذب

إنَّ التشبيه بالبدر فى الحسن مألوف متداول أمَّا التشبيه به فى الصدق فوجه دقيق يحتاج إلى فكر ورويَّة وهو أنَّ النبى ﷺ لا يتخلف عن موعد يرُجى فيه حضوره كالبدر يسير بنظام ومواعيد دقيقة لا يتخلف عنها أبدا . (2)

وقد لاحظتُ أنَّ كثيراً من التشبيهات عن شعراء الرسول ﷺ بل أغلبها يحتاج إلى تأملٍ وتدقيق نظر لاستخراج وجه الشَّبه ، وليس هذا بسبب غموضٍ أو تعقيد وإنَّما بسبب عمق الصورة ودقَّة المعنى كما سبق بيان ذلك فى التحليلات .

---

(1) ديوانه ص 175 (2)راجع ص 55 من هذا البحث /

التصوير الاستعارى أرقى من التَّشبيه ؛ لأنَّ " الإحساس بالمشابهة بلغ مداه فى الاستعارة وارتقى إلى هذه الحالة التى يدخل فيها المشبَّه فى جنس المشبَّه به ويصير فرداً من أفراده "[1] وتتفاوت الاستعارات فى وظيفتها وبلاغتها " فكلُّ لون منها يتَّجه اتجاهاً فى التَّصوير ... فالقصد فى الاستعارة التَّبعية إلى مصادر الأفعال والمشتقات ، هى التى يجرى فيها التصوير ويُلاحَظ التشبيه أصلاً ، والقصد فى الاستعارة المكنية إلى المتعلقات ، فهى التى يجرى فيها التصوير أصلاًَ ويُلاحَظ التشبيه أساساً " [2] وبناء على ذلك فإنَّ المقام هو الذى يستدعى ويتطلَّب نوعاً معيناً من أنواع الاستعارة دون غيره .

ومن خلال تتبُّع الاستعارات عند الشعراء الثلاثة لاحظتُ أن الاستعارات التصريحيَّة التبعية هى الأكثر استخداماً , تليها الاستعارات التصريحية الأصلية ثم الاستعارات المكنية . ، وقد لاحظت ما يأتى :

أولا: أنَّ السَّبب فى كثرة الاستعارات التبعية هو أنَّها نتيجة طبيعية لكثرة الأفعال التى ترصد سير المعارك والغدوَّ والرواح والضراب والفرار والمطاردة وبذلك تتناسب مع أحداث المعارك ، فالخيل عند حسان "[3]

يبـــارِينَ الأســـنَّة مصـــغياتٍ ♦ علـــى أكتافِهـــا الأســـلُ الظِّمـــاءُ

والفجيعة عند كعب يصورها بالهدِّ [4]

ولقـد هُـدِدتُ لفقـد حمـزةَ هـدَّةً ♦ ظلَّـت بنـاتُ الجـوفِ منهـا ترعـدُ

---

(1)التصوير البيانى د/ محمد أبو موسى ص 171 ط مكتبة وهبة 1400/1980

(2) بين المكنية والتبعية والمجاز المرسل / د : بسيونى عبد الفتاح فيُّود ص124 ط الحسين الإسلامية ط أولى 1993/1413

(3) ديوانه صـ 73 (4) ديوانه صـ 189

ثانيا : أنَّ الاستعارة المكنية عند شع 178 سول ﷺ جاء أغلبها إن لم تكن كلها فى تصوير الحرب والموت فالحرب عن كعب حيوانٌ مفترسٌ أوناقةٌ عضوضٌ:

بنو الحربِ إن نظفرْ فلنا بفُحشٍ ولا نحــنُ مــن أظفارِهــا نتوجَّــع[1]
فلا تَمَنَّوا لقَاح الحربِ واقتعدُوا إنَّ أخا الحربِ أصدَى اللونِ مشعُول[2]

والموت عنده شراب يقول كعب [3]

نعــاورِهم تجــرِى المنيَّــة بيننــا ♦ نشــارِعهم حوضَ المنايــا ونَشْرَع

ويقول أيضا [4]

تَعَـــاور أيمـــانُهم بيـــنَهم ♦ كــؤوس المنايــا بحــدِّ الظَّبِينَــا

وحسان هو الآخر يرى الحرب ناراً يقول [5]

أمـــام محمَّـــدٍ قـــد آزرُوه ♦ على الأعداءِ فى وهَجِ الحروبِ

ويقول [6]

ولا يهرُّ جنابَ الحربِ مجلسُنا ♦ ونحن حين تلظَّى نارُها سُعُرُ

ويراها ناقة شرسة فيقول [7]

فــلا تأمنَنَّــا يــا ابــن أمِّ مجالــدٍ ♦ إذا لقِحتْ حربٌ وأعصلَ نابُها

ولعل اختصاص الاستعارة المكنية عندهم بالحرب والموت لأنَّها تعطى للجماد مزيداً من التَّشخيص والفاعلية ، ففرق بين أنْ يقول الشاعر نزلنا ناراً وبين أن يقول وهج الحرب ، فكأنَّها نارٌ لها وهجٌ حقيقةً .

---

(1) ديوانه ص 228 (2) ديوانه ص255 (3)ديوانه ص225
(4) ديوانه ص276 (5)ديوانه ص135 (6)ديوانه ص207
(7) ديوانه ص331

وأرى أنَّ القول بأنَّ الاستعارة الـ تـ رى أولاً فى المصادر ثمَّ فى الأفعال – أرى أنَّ هذا الأمر يتعارض مع البلاغة ؛ فالشاعر عندما يعمد إلى الاستعارة الأصلية فإنَّه

يرى أنَّها هى المعبرة عما يريده أبلغ تعبير وعندما يعمد إلى التبعية فإنَّه يرى أنَّها هى المحقِّقة لغرضه ، ولا يُجرى استعارته أولاً فى المصادر ثم تنسحب على الفعل أو الاسم المشتق " ألا يُعدُّ هذا تعقيداً فى تحليل الاستعارة بلا فائدة ؟ وإذا كان لعلماء اللغة – أو النحو والصرف بخاصة – منطقهم فى هذا التقسيم ، بحكم طبيعة الدراسة عندهم فإنِّى لا أرى أى منطقٍ لعلماء البلاغة فيما ذهبوا إليه " [1]

---

(1) التعبير البيانى د/ شفيع السيد ط دار الفكر العربى بالقاهرة ص115

المجاز المرسل " يعبِّر عن طريقة رؤية الأشياء والإحساس بها " [1] وأكثر علاقاته وروداً عند شعراء الرسول ﷺ السَّببيَّه " إشارة إلى فاعلية السَّبب وقوَّته ، واستخدام المجاز المرسل قليلٌ جداً إذا ما قورن بالتَّشبيه أو الاستعارة , ويستخدم المتكلم المجاز المرسل " لإثارة الانفعالات المناسبة فى نفس المتلقِّى ، ويستخدم للوصول إلى ذلك ، تلك الصورة الفنية من التعبير المجازى التى تكون أكثر تمكُّناً ، وقدرةً على إثارة الانفعالات ، وقابليَّة لجعل موقف المتلقى منها ملائماً " [2] ومع هذه القيمة الفنِّية للمجاز المرسل , نجد أنَّ استخدامه فى شعر شعراء الرسول ﷺ قليل جداً إذا ما قُورن بالتشبيه أو الاستعارة مع ما له من قدرة على نقل المشاعر والأحاسيس وتعميق إحساس المتلقى بالمعنى ، ومع قلَّة استخدامه إلا أنَّ شواهده فى شعرهم تدلُّ على بلاغته فحسان بن ثابت يقول فى يوم أحد [3]

وعلونا يوم بدرٍ بالتُّقى طاعة الله وتصديقِ الرُّسل

حيث أطلق السبب " التقى " وأراد المسبَّب وهو قوتهم فى الحق وذلك لشدة إحساسه بالسبب وشدة إعجابه به ، وحتى يلفت نظر أعدائهم إلى هذه الفاعلية الشديدة لهذا السبب , والتى جعلتهم يتفوقون على أعدائهم مع قلتهم ، كما أنَّه يعمِّق إحساس المسلمين بفاعلية هذا السبب يوم بدر وعدم فاعليته يوم أحد ، بسبب المخالفة ، انظر كيف حمل المجاز كل هذه المعانى والإيحاءات .

---

(1) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د/ صلاح فضل ص 205 نقلاً عن الصورة البيانيَّة د/محمود بن ص65

(2) الأصول د/ تمام حسَّان ص371 . نقلاً عن الصورة البيانيَّة د/ محمود بن ص65

(3) ديوانه ص 95

وقال حسان يو أحد أيضا [1]

بكفِّ رسول الله حتى تلفَّقت ♦ على القوم ممَّا قد يثرن نقوع

وموطن المجاز في قوله "بكفِّ " والعلاقة الجزئية ، وهو هنا يعمِّق الإحساس بمشاركة القائد ووجوده ، فهو ليس بمنأى عن القتال .

وهكذا نرى كيف ينفذ المجاز إلى الوجدان مباشرة ويمسُّ شِغاف القلب ؛ ولذلك كان من الأساليب المؤثِّرة التي استخدمها القرآن الكريم في مواقف التنفير والتخويف الشديدة القوية انظر إلى قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ (2)

كيف خيَّل لهذا المعتدي على هؤلاء الضعفاء أنَّه إنَّما يأكل ناراً حقيقيةً .

ولعلَّ السَّبب في قلّة أسلوب المجاز المرسل عند شعراء الرسول ﷺ هو شيوع الطابع الملحمي وسيطرتِه على أشعار تلك الفترة ، حيث إنَّ المجال ضيقٌ أمام مخاطبة الوجدان ؛ لأنَّ أغلب هذا الشعر جاء في مقامات الحرب ، إمَّا قبلها للتَّشجيع على خوضها ، وإمَّا بعدها واصفا بطولاتها ، وإمَّا في مقامات الهجاء والتراشق بالكلمات قبل اللأسنة أو بعدها تعييرا بالهزيمة ، أو تنفيساً عن مرارتها .

فكل هذه المقامات (غير الإقناعية) لا سبيل فيها إلى النفاذ إلى القلوب بقدر ما يُقصد فيها الوصول إلى العقول من الطريق الأسرع المباشر الذي يحقق الإيلام والإيجاع بسرعةٍ , وهو طريق التشبيه والاستعارة اللذين يتميزان بالسرعة في إدراكهما وإيحاءاتهما ومغزاهما من قِبَل المتلقي أسرع من إدراكه للمجاز المرسل " فبالرغم من دلالته على الإحساس بدقة إلا أننا لا نلمس فيه الانحراف بالسهولة نفسها التي ندرك بها الانحراف في الاستعارة " (3)

---

(1) ديوانه ص99 (2)سورة النساء الآية (10)

(3) الصورة البيانية دراسة تطبيقية د / محمود محمد بن صـ 101

الكناية هي فنٌّ من فنون البيان فيها يستتر المعنى المراد بها فلا يصل إليه السامع إلا بعد رَوِيَّةٍ لأنَّها تمتاز بدقَّةٍ وغموض فهي " أسلوب مصوِّر يثري التعبير لأنَّه لا يدل على المراد مباشرةً ، وإنَّما يشير ويوميء ويترك للمتلقي أن يستشفَّ منه بقدر ما تمكِّنه ملكاته ويسعفه به حسه [1] "وهي درجاتٌ بحسب الوسائط بين المكنَّى به والمكنَّى عنه "[2] ومع حاجاتها إلى تدقيق ورويَّة إلا أنَّها تدرك بسهولة إذا ما قُورنت بالمجاز المرسل ؛ لأنَّ المستمع يدرك موطنها ولكن الفكر يكون في إدراك المكنى عنه ، أمَّا المجاز المرسل فإنَّ إدراك موقعه وتحديده غير يسير لأنَّه ليس غريباً عن السِّياق اللغوي كما سبق أن عرفنا " .[3]

وقد كثرت الكنايات في شعر شعراء الرسول ﷺ ، وقد جاءت الكناية عن صفة في المرتبة الأولى تليها الكناية عن نسبة ثم الكناية عن موصوف ، ولعل سبب كثرة الكنايات عن صفة في شعرهم هو نفس سبب قلة المجاز المرسل وهو غلبة الطابع الحربي الملحمي على شعرهم ، فالشعراء الثلاثة خرجوا من الحروب والأيام الجاهلية إلى الحروب والأيام الإسلامية ، فأكثر شعرهم مستولد من رحم واحدة رحم الحرب ، فراحوا يتفنَّنون في الكناية عن صفاتهم من عزة وكرم وشجاعة ونجدة وأصالة وطول وقوة وكرم الأصل والرفعة والخبرة بالحرب والعفَّة والشَّرف وحسن الخلق ... الخ

---

(1) مستتبعات التراكيب د/عبد الغني بركة ص142 ط دار الطباعة المحمدية ط أولى 1409هـ/ 1989 م
(2) شروح التلخيص 4/ 264 .
(3) الصورة البيانية د محمود محمد بن ص 101.

كما كنُّوا عن صفات أعدائهم من جبنٍ وفرارٍ وضعة الأصل وضعف ولؤم و خسة وقبح وسوء خلق ولعل سبب قلّ 183 ية عن موصوف ترجع إلى أنَّ المكنَّى عنه

إمَّا ممدوح فيذكر صراحة تلذذا بذكره ، وإما مهجوٌ فيُذكر إهانةً وتحقيراً وإجراءًللهجاء على اسمه صراحة ففي هذين المقامين يكون التصريح أبلغ من الكناية .

فعلى سبيل المثال عندما يتحدث حسَّان عن الرسول ﷺ يقول [1]

بكف رسول الله حتى تلفَّقت ♦ على القوم ممَّا قد يثرن نقوع

وعندما يهجو [2] يقول :

إن كنتِ كاذبة الذي حدَّثتنا ♦ فنجوتِ مَنْجى الحارثَ بن هشام

وعندما تستخدم الكناية عن موصوف تستخدم للتذكرة بفضل الموصوف وذكرا وعدًّا لأفضاله وصفاته الحسنة ، وخاصةً في مقامات الرثاء للتذكرة بالأفضال ، واستمالة القلوب لتعميق الحزن عليه يقول كعب بن مالك في رثاء عثمان رضي الله عنه [3]

وقوَّام أمر المسلمين إمامهم ♦ يزع السفيه ويقمع العدوانا

---

(1) ديوانه ص99 (2) ديوانه ص108 (3) ديوانه ص285

موازنات

أولا

تصوير الأرق والليل

يقول حسان بن ثابت :[1]

186

تطَــاولَ بالخمَّــانِ ليــلِي فلــمْ تكــدْ ... تَهــمُّ هَــوَادي نجْمِــه أنْ تَصَــوَّبَا
أبِيْــتُ أراعِــيهَا كــأنِّي مُــوكَّلٌ ... بِهــا مــا أريــدُ النَّــوم حتَّــى تغيَّبــا
إذا غَــارَ منهــا كوكــبٌ بعــد كوكــبٍ ... ُتراقِــبُ عينــي آخــرَ الليــلِ كَوكَبــا
غــوائِرُ تَتْــرى مــن نُّجــومٍ تخــالُها ... مــعَ الصُّــبح تتلُوهــا زواحِــفُ لُغْبَــا
أخَــافُ فُجَــاءَاتِ الفِــراقِ بِبَغتَــةٍ ... وصَرفِ النَّوى من أنْ تشِتَّ وتَشْعَبَا

ويقول كعب بن مالك : [2]

نـــامَ العيـــونُ ودَمـــعُ عينِـــكَ يهْمُـــل ... سـحاً كمـا وَكَـفَ الطِّبـابُ المُخضَـلُ
فـــي ليلـــةٍ ورَدتْ علـــىَّ همُومُهـــا ... طَـــوراً أحـــنُّ وتـــارةً أتَمـــلْملُ
واعتَـــادَنِي حـــزنٌ فبـــتُّ كـــأنَّني ... ببنـــاتِ نعـــشٍ والسُّمـــاكِ مُوكَّـــلُ
وكأنَّمـــا بَـــينَ الجـــوانِحِ والحَشَـــا ... ممَّـــا تـــأوَّبنِي شـــهابٌ مُـــدخَلُ

ويقول النابغة الذبياني : [3]

كِلِينـــي لهَـــمّ يـــا أميمـــةَ ناصـــبِ ... وليـــلٍ أقاسِـــيه بطـــيءِ الكواكِـــبِ
تَطَـــاولَ حتَّـــى قلـــتُ لـــيسَ بمـــنقَضٍ ... ولـــيس الـــذي يرعـــى النُّجـــومَ بآيـــبِ
بصـــدرٍ أرَاحَ الليـــلُ عـــازبَ همِّـــهِ ... تضَـاعفَ فيـه الحـزنُ مـنْ كـلِّ جانـبِ

ويقول امرؤ القيس : [4]

وليـلٍ كمـوجِ البحـرِ أرخـى سُـدُولَه ... علـــىَّ بـــأنواعِ الهمـــومِ ليبتلِـــي
فَقلـــتُ لمَّـــا تمطَّـــى بصُـــلْبِه ... وأردَفَ أعجـــازاً ونَـــاءَ بكَلكَـــلِ
ألا أيُّهـــا الليـــلُ الطويـــلُ ألا انجَـــلِ ... بصـبحٍ ومـا الإصـبَاحُ منـكَ بأمثَـلِ
فيَالَـــكَ مـــن ليـــلٍ كـــأنَّ نجومَـــهُ ... بكـــلِّ مُغَـــارِ الفَتْـــلِ شُـــدَّت بِيـــذبُلِ
كـــأنَّ الثريَّـــا علِّقَـــت فـــي مُصَـــامِّها ... بـــأمراسِ كتَّـــانٍ إلـــى صـــمِّ جنـــدَلِ

---

(1) ديوانه ص 148 (2) ديوانه ص 260 .
(3) ديوانـه ص 40 ط دار المعارف مصر 1977 م (4) ديوانـه ص 18، 19 ت تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط خامسة دار المعارف د ت .

ويقول كشاجم : [1]

187

ألا ربَّ ليلٍ بتُّ أرعى نجُومَه ... فلم اغْتَمِض فيه ولا الليلُ غَمَّضَا
كأنَّ الثريا راحةً تشْبُر الدُّجَى ... لتعلمَ طالَ الليلُ أم لي تعرَّضَا
فأعجِب بِّليلٍ بين شرقٍ ومغربٍ ... يُقاسُ بِشِبرٍ كيف يُرجَى له

لقد ركَّز حسَّان في أبياته على تصوير طول الليل ، فالصُّورة الكليَّة في الأبيات " أرقٌ بسبب قلقٍ أو خوف " ، ولم يشر أو يفصِّل الهموم والأحزان أو

الأشواق التي جعلنه مؤرَّقا ، واكتفى بالاستدلال على طول ليله بتصوير بطء حركة النجوم وسهره يراقبها بالراعي الذي يرعى ماشيةً لا تتحول عيناه عنها حتى تبيت في أماكنها ، وقد أشار إلى استمرار أرقه واستغراقه الليل بقوله:

إذا غار منها كوكب بعد كوكب تراقب عيني آخر الليل كوكبا

وبالبيت الأخير الذي يشبِّه فيه النجوم بإبل بطيئة أنعبها السير ، إذن فصورة حسَّان تدل على شيءٍ واحدٍ وهو أنَّه لم يغمض له جفن طوال هذا الليل الذي بات يراقب نجومه ، وكان أرقه بسبب خوفه من رحيل محبوبته ؛ لذلك نراه نشيطاً يصف كلَّ حركةٍ وسكنة لليل .

أمَّا صورة كعب فقد جاء تصوير الأحزان في بؤرتها ، وذلك لما كان يقاسيه من الفجيعة والحزن على شهداء مؤته ؛ ولذلك نجد أكثر ألفاظ الأبيات متعلقة بالحزن والألم (عين – همومها – أحن – أتململ – اعتادني حزن – شهاب مدخل) .

إذن فالعاطفة الحزينة هي المسيطرة علىالأبياتٍ ؛ لذلك فإن تصويره لأرقه وسهرة وطول الليل وبطء نجومه لم يكن مشهداً أصلياً ؛ لذلك نجد أنَّه لم يفصِّل في مراقبة النجوم ولم يحاول أن يجد شبها لبطء النجوم في حركتها ، ؛ لأنَّ المحزون المكروب يثقله الهمُّ بسبب حزنه ، إلا أنَّ الصّورة التي صوَّر بها أرقه وسهره بسبب حزنه – على اختصارها وخلوِّها من التفصيل – راعى فيها حالته النفسية

---

(1) ديوانه ص 453 تحقيق د / النبوي شعلان ط أولى ط الخانجي – القاهرة 1417هـ / 1997 م.

حيث صوَّر أرقه وسهره ونظره إلى[188] السماء بمن هو موكل برعاية هذين النجمين فقط " بنات نعش والسُّماك "،وقد يُقال أنَّ ثبات عينيه على هذين النجمين فقط يتنافى مع الأرق والسهر ؛ لأنَّ المؤرَّق تتحرك كل أجزائه حركةً قلقةً ولا يثبت نظره على شيء معين .

أقول إنّ حالة كعب النفسية وحزنه العميق يناسبه تماما هذا الثبات وأراه أحسن وأجاد

عندما حبس نظره على هذين النجمين فقط ، ولم يثبت لهما حركةً ومراقبة للنجوم وأفولها واحدا بعد الآخر ؛ لأنَّ الحزين لا يكاد يصرف عينيه عن الشيء الذي ينظر إليه ، لأنَّه يكون خائر القوى مهزوم النفس ، أما المؤرَّق بسبب الحب أو الحزن الخفيف الذي لم يصل إلى درجة أحزان كعب فإنَّه مع أرقه يكون لديه بعض النَّشاط الذي يجعله يراقب النجوم ما غاب منها وما لم يغب ويصف بطء حركتها ويشبهها بأقرب نظير ، أما النابغة فإنَّ سبب أرقه أقل من الأسباب التي أرَّقت كعباً وهو ما عبَّر عنه بقوله " همٌّ " فالهمُّ دون الحزن ؛ لذلك نجد أنَّ الحديث عن الهمِّ وعن طول الليل في أبيات النابغة يكاد يكون متوازناً ، ففي الشطر الأول من البيت الأول يذكر همَّه وفي الشطر الثاني يذكر بطء الكواكب وفي البيت الثاني كله يتحدث عن الليل وبطء كواكبه والبيت الثالث يتحدث عن الهموم .

وصورة النابغة مع اشتراكها مع صورة حسان في الرَّعي إلا أن هناك فارقا دقيقا بين الصورتين فالنابغة لم يجعل من نفسه راعيا للنجوم وإنما أثبتها لآخر غير معلوم ليؤكد يأسه من انتهاء الليل,أمَّا حسَّان فكان غرضه أن يؤكِّد أرقه وسهره طوال الليل فلذلك أسند الرعي إلى نفسه . هذا الفارق من حيث الغرض ، أما الفروق الجمالية فإن صورة النابغة تعتبر من الخيال الرائع فقوله في وصف الليل :

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ♦ وليس الذي يرعى النجوم بآيب

"فقد صور النجوم بصورة الإبل تمرح في أديم السماء وصوَّر الصبح بالراعي الغائب الذي يخشى ألا يئوب " [1] **وقوله :** 189

بصدرٍ أراح الليل عازب همه ♦ تضاعف فيه الحزن من كل جانب

صوّر الهموم بصورة إبلٍ تسرح نهاراً ، ثم تراح ليلاً إلى الحظيرة وكذلك يشغل المرء عن همومه بالنهار ، فإذا انقطعت شواغله بالليل دبَّت الهموم إلى صدره فاحتلته من جديد " [2] ولا يخفى ما في هذه الأبيات من خيال رائع مناسب لغرض الشاعر كما سبق أن

أوضحت .

ثمَّ يأتي الإبداع في أبيات امرئ القيس ، وليس سبب الإبداع أنَّه عبر عن المعنى الواحد (طول الليل) بطرق مختلفة في قصيدةٍ واحدة وهو ما يسميه العلماء التصرف أو الاقتدار " وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور " [3] وإنَّما كان مناط الإبداع في أن وصف مراحل الليل وصورها بدقَّة بما يناسب حالته النفسية في كل مرحلة وبما يناسب حقيقة الهموم والأحزان في كل مرحلة ، فأوَّل الليل شبَّهه بموج البحر , وأرى أنَّ الوجه أن تتابع الهموم والأحزان عليه مع دخول الليل همّ يتبعه همٌّ وحزن يعقبه تذكُّر حزن آخر, يشبِه تتابع موج البحر إلى الشاطئ وهذا الوجه فيه معنى الكثرة والشدَّة ، هكذا وصف توارد الهموم والأحزان عليه مع قدوم الليل ، ثمَّ انتقل إلى تصوير حالته النفسية في قوله " أرخى سدوله عليَّ " فإنَّ هذا الشاعر استعار لظلمة الليل السُّدول المرخاة لما بين المستعار والمستعار له من اجتماعهما في منع الأبصار من الأبصار " [4] وأرى أن ليس هذا التناسب فحسب هو سر جمال الاستعارة ولكن , جمالها يكمن في أن نقل إلينا شعوره بوحدته فمع أنَّ هذا الليل يعمُّ الدنيا إلا أنَّه جعلنا نشعر بأنَّ الليل أرخي ستائره عليه هو وحده ؛ ليجعله في حجرة صغيرة بقوله " أرخى سدوله علي "، حيث إن الجار والمجرور جعلنا نتخيله قد حبس وحده في حجرة صغيرة من صنع الليل .

---

(1) الموازنة بين الشعراء د / ذكي مبارك ص 15 .

(2) المرجع السابق ص 106 .

(3) تحرير التحبير ص 582 ج 4 ت . د / حفني شرف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر 1416 هـ / 1995 م .

(4)المرجع السابق 100/1.

وهكذا يشعر كل مهموم مكروب 190 حيدٌ في كل شيء وبعد أن وصف مرحلة أول الليل بدقةٍ وإبداع انتقل إلى وصف وسط الليل وهي المرحلة الثقيلة على نفس الإنسان لأنَّه صار على بعد عهد بالنهار ومنأى من الصباح ، فتكون هذه المرحلة ثقيلة جداً على المهموم المؤرَّق ؛ لذلك جاء بـ " لمّا" والتي توحي بطول المدة ، ثم صوَّر هذه المرحلة الثقيلة عليه " مرحلة وسط الليل " بما يناسب ثقلها، حيث صورها بجمل تراخي وتمدَّد متثاقلاً في صور استعارية متكاملة غاية في البراعة ، وقد جعل الآمدي هذه الاستعارات من أجمل الاستعارات قيمة لأنَّها " أشد ملاءمة لما استعيرت له "[1] ثمَّ تأتي المرحلة التي تلي مرحلة

وسط الليل ، وقد ضجر هذا المؤرَّق المهموم بالليل ، ونفد صبره وضاق صدره ، فجعل ينظر إلى نجوم السماء فيراها لا تتحرَّك ؛ لأنَّه يستعجل حركتها فيشبِّهها في بطء حركتها وكأنَّها لا تبرح مكانها بشيءٍ ثُبِّت بجبل يذبل بأقوى الحبال وأمتنها ، ويُلاحَظ علو لهجة الضجر والتأفُّف في قوله " فيا لك من ليلٍ !! " فهذه النبرة التعجبية تحمل في ثناياها زفرات تأفُّف وضجر وضيق ملتهب ، وهكذا رأينا كيف تصاعد امرؤ القيس بصوره تبعا لحالته النفسية في كل مرحلة من مراحل الليل في إبداع واقتدار ، وقد انتقد ابن رشيق هذين البيتين اللذين يصف فيهما امرؤ القيس بطء النجوم، حيث يقول :

فيا لك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامّها ... بأمراس كتان إلى صمّ جندل

يقول إنَّ في الأبيات " تكراراً للمعاني دون الألفاظ فالبيت الأول في رأيه مغنٍ عن الثاني , والثاني يغني عن الأول ومعناهما واحد ، ؛ لأنَّ النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صمّ الجندل ، وقوله شدّت مثل قوله ، علّقت بأمراس كتان " [2]

---

(1) الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر ت /السيد أحمد صقر ص 214 ط /دار المعارف ط رابعة د.ت .

(1) العمدة لابن رشيق نقلا عن / أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء د / شفيع السيد ط دار الفكر العربي ص 8 ، 9 .

وأرى أن ليس المعنى واحدا وأنَّ [191] ـه الثريا بالذكر بعد ذكرها في عموم لفظ النجوم لتخيله فيها معنى القوة وأنَّه إذا كان هذا شأن النجوم المفردة أن تثبت وكأنَّها مثبَّتة بحبال قويَّة فى يذبل , فكان من شأن الثريا وهى مجموعة من النجوم أن تقاوم وتسرع في حركتها ، فعاد وعلل ثباتها هي الأخرى بأنَّها ثبتت وكأنَّها شُدَّت بأدوات أشدّ قوةً تتناسب مع قوَّتها وكثرتها ، وعلى أيِّ حال فإنَّ الصورة مناسبة تماماً لبطء حركة النجوم في وسط السماء لأنَّها عندما تقترب من وسط السماء تسير بطيئة جداً بخلاف

وقت طلوعها ووقت اقتراب أفوالها فإنها تسير بسرعة ، ثم انظر إلى هذه اللفتة الجميلة في البيت الثالث والتي تدل على استمرار همومه ليل نهار ، وهذا يجعل همومه أكثر من هموم النابغة ؛ لأنَّ هموم النابغة تسرح نهاراً ويريحها له الليل ، وذلك في قوله :

ألا أيهـا الليـل الطويـل ألا انجـل بصـبح ومـا الإصـباح منـك بأمثـل

انظر إلى استفتاحة البيت بألا الاستفتاحية وتكرارها ونداء الليل بأي وها التنبيه ، هذا المطلع ينمُّ عن استسلام صادر عن نفس متعبة مستكنَّة ، فهو يستعطفه ويناديه في رفق قبل أن يظهر ضجره وتأففه منه في الأبيات التالية ، ثم انظر إلى الكناية الرائعة في قوله " وما الإصباح منك بأمثل " فهي كناية عن دوام همومه ليل نهار ، وليس جمالها في دلالتها على هذا المعنى فحسب وإنما لأنه شخَّص من الليل إنسانا يناصبه العداء ، يحرص على إيلامه وتعذيبه ، فيقول له : هوِّن عليك فهناك من هو أحرص منك على هذا الأمر ، وبذلك يتَّضح أنَّه ليس تزاحم الصور البيانية في الأبيات هو معيار الجودة إلا أن تكون ملائمة متناسقة .

وهكذا تنم الأبيات وتعبر تعبيرا صادقاً عن نفس محرقة بألوان من الشتات والضياع بسبب " رجمه من قبل أبيه وأمره بقتله ثم مقتل أبيه من بني أسد ، ووقوع مهمة الثأر عليه " [1] كل هذه الأحزان تقرِّب هذه الصور المبالغ فيها من الحقيقة عند صاحبها ، وتأتي الصورة الخامسة وهي لكشاجم الرملي ، وواضحٌ تأثّره في البيت الأول بصورتى حسَّان والنابغة في قوله " بت أرعى نجومه " إلا أن الصورة التخييلية الجميلة في الأبيات التالية تنم عن خيال خصب ، تأثر صاحبه بالعلوم الرياضية والمقاييس وغيرها من العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي ، فقد لاحظ الشاعر شبها بين الثريا وكفِّ

اليد ثم تخيل أن الثريا تقيس الليل من الأفق الشرقي إلى الأفق الغربي ، ثم فرَّع من هذه الصورة المتخيلة نتيجة منطقية متخيلة وهي استحالة انقضاء هذا الليل لأنَّه يُقاس بأداة صغيرة لا يتأتى بها قياسه ، " ولا شك أن صورة الثريا مع الليل على تلك الحال التي وصفها الشاعر صورة بديعة رائعة ، تعد من لطائف كشاجم التي تميز بها عن غيره ... فلم أعهد أحدا من الشعراء عبَّر عن طول الليل بمثل هذه الصورة الفريدة " [2] .

ويرى ابن سنان الخفاجي أنَّه " من وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسيين ومعانيهم " [3] !! ولم لا " واختيار الرجل قطعة من عقلة كما أنَّ شعره قطعة من علمه " [4]

وهكذا وبمعرفة الجو النفسي والعاطفة المسيطرة يتضح الخيط الرفيع الذي يفصل بين الأساليب المتقاربة ، ؛ لذلك نادى بعض المحدثين أن يُضمَّ إلى البلاغة " مقدمة نفسية ....يعرف منها الدارس القوى الإنسانية ذات الأثر في حياة الأديب ، وكذلك الوجدان والذوق والخيال " [5]

---

(1) الأدب الجاهلي نصوص ودراسة د / محمد عبد المنعم خفاجي ص18 ط دار الجيل بيروت ط أولى 1991م.
(2) الصورة التشبيهية وقيمتها البلاغية في شعر كشاجم رسالة ماجستير كلية اللغة العربية بإيتاي البارود.
(3) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص166 ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1402هـ/ 1982 م
(4) الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ9 ت . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر العربي د. ت .
(5) مناهج تجديد الأدب ، أ/ أمين الخولي ص267 ، صـ268 ط دار المعرفة القاهرة ط أولى 1960م .

وبعد فقد رأينا كل واحدٍ من هؤلاء الشعراء قد أجاد في تصوير الليل وطوله بحسب حالته النفسية فجاءت الصور ملائمة تماما للتجارب ، إلا أنَّ أفضل الصور الخمس كما رأينا هي صورة امرئ القيس لما فيها من الدِّقة وحسن التقسيم ، تليها صورة النابغة لما فيها من خيال حسن، تليها صورة كشاجم بما فيها من صورة خيالية مبتدعة غير مسبوق إليها ثمّ صورة سيدنا كعب ثمّ صورة سيدنا حسّان.

ثانيا

تصوير الدروع

(1)

تصوير

شكلها وهيئتها

يقول عمرو بن كلثوم [1]

196

عليـنَـــا كـــلَّ ســـابغةٍ دلاصٍ(2) ... تـرى فـوقَ النِّجـاد لهـا غصـونا
إذا وُضـعَت علـى الأبطـال يومـاً ... رأيـت لهـا جلـودَ القـومِ جونـا
كـأنَّ متـونَهنَّ متـونُ غُـدرٍ ... تصـفِّقُها الرِّيـاح إذا جرينـا

وقال حسان [3]

وبيضـــاء كـــالنَّهي(4) فضفاضـــة دلاص تثنَّـــي علـــى النَّاشـــر(5)

ويقول أبو العلاء المعري [6]

غـــديرنقَّت الخِرصَـــان(7) فيـــه نقيـــقَ علاجـــمٍ والليـــلُ داجٍ
أضَـــاةٌ لا يـــزال الزَّغـــف(8) منهـــا كفـــيلاً بالإضـــاءة فـــي الـــدياجي

لقد كثر تشبيه الشعراء الدروع بالغدران وبالنّهي وبمسطحات الماء بصفة عامة دون أي شيء آخر لامع وذلك ؛ لأنَّ الماء والدرع يعنيان الحياة ، فالماء هو الحياة ، والدرع بالنسبة للمحارب تساوى الحياة لأنَّها تدفع عنه أسباب الموت من رماح وسيوف وحراب وسهام ، فهي تحفظ حياته كما يحفظها الماء ، والصورة الأولى لعمرو بن كلثوم وهي صورة تفصيليَّة دقيقة لكل أجزاء الدرع فقد وصف سطحها ، والفواصل بين أجزائها ولونها وتموُّج وانكسار الضوء عليها , فهذه الدرع سابغة لينة وكأنَّ خطوط مسامير الدروع التي تشك أجزاءها غصون متفرعة , وكأنَّ النجاد جذع لهذه الغصون ، ثمَّ صوَّر لونها الأبيض عن طريق الكناية في قوله " رأيت جلود القوم جونا " وهي كناية عن كثرة الدروع ،حيث بدا القوم وكأنها كسوة بيضاء لهم.

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 182 (2)الدلاص:المحكمة . (3) ديوانه ص 116 .
(4)النهى :الغدير .
(5)الناشر :وجمعه النواشر :عروق فى ظاهر الكف والساعدين
(6) شروح سقط الزند جـ4 تحقيق د/ طه حسين وآخرون ص 1724 ط المجلس الأعلى للثقافة ط ثالثة. مصورة عن نسخة دار الكتب 1394هـ / 1945م .
(7)الخرصان :الأسنَّة .
(8)الزغف :ما فيها من اللين واللمعان .

ثمَّ صور شدة بريقها ودقة صقلها بالصورة التشبيهيَّة في البيت الثالث في قوله " كأنَّ متونهن متون غدر " وجمع القيدين ، قيد المشبه (إذا جرينا) وقيد المشبه به في آخر البيت ؛

إذن فالصورة شاملة لكل أجزاء الدرع ، وما أجمل الصورة التخييلية في البيت الثاني " ترى فوق النجاد لها غصونا " ، وما أجمل الصورة في البيت الأخير فهي صورة صوتية حركية ، والأجمل أن الذي دلَّ على الصوت والحركة في هذه الصورة كلمة واحدة (تصفقها) فهي ترسم الحركات المتتابعة المتصادمة بسبب آثار الرياح على سطح الماء ، كما تسمعنا صوت تصادم الماء ، والأجمل من كل ذلك هو التطابق بين المشبه والمشبه به في هذه الصورة الصوتية الحركية ، فالمشبَّهِ (سطح الدرع) له تموُّج ولمعان إذا جرى بها حاملها بسبب انكسار الضوء عليها ، كما أنَّ لها صوتا عندما تقابل الرياح وحاملها يجري بها ، وعندما تنكسر على شاطئها موجات السهام والسيوف .....

أما صورة حسَّان فصورة بسيطة يصور فيها الدرع بالنهي في اتساعها ويصور ليونتها بالكناية في قوله " تثني على الناشر " أما صورة أبي العلاء فهي صورة عميقة جمعت بين الصوت واللون والحركة ، فقد تخيل أبو العلاء أصوات السهام والسيوف وهي تنقر وتقرع سطح الدرع علاجما أي ضفادع تنق في الماء ، فالصورة رائعة موحية، حيث إنَّ قوله والليل داج يوحى بأن غبار المعركة مقابل لليل في جانب المستعار ، فقد أرانا في بيت واحد اتساع درعه ولمعانها وظلمةالمعركة وأسمعنا وقع السهام والسيوف عليها ، ثم يبالغ في لمعانها وبريقها بأنها كفيلة بالإضاءة في الظلمات وإضاءة الأجسام غير المشتعلة في الظلام غير ممكنة عقلا إلا أنَّه أخرج كلامه على سبيل المبالغة، حيث جعلها لشدة لمعانها وصقلها تعكس أيَّ ضوءٍ يقع عليها وتزيده .

وأحسب صورة أبي العلاء صورة بديعة رائعة ، ففيها خيال جميل وتقريب بين المتباعدين ، فالمستعار منه يندر حضوره إلى الذهن عند حضور المستعار له ، كما أن الجناس بين الأضاة والإضاءة له موقعه فقد اختار لفظ الأضاة دون النهي أو الغدير أو غيرها لما فيه من إيحاء بالإضاءة والنور ، وصورة أبي العلاء هي أجود الصور الثلاث تليها صورة عمرو بن كلثوم فمع ما فيها من تفصيل وإيحاء إلا أن صورة أبي العلاء تفوقها بالخيال الحسن .

(2)

تصوير مسامير الدروع

يقول كعب بن مالك [1]

بيضـاء محكمـة كـأنَّ قتيرهـا حدق الجنـادب ذات شك موثَّـق

يقول كنانة بن عبد يا ليل [2]

علينا دلاصٌ من تراث محرق كلــون الســماء زينتُهــا النجــوم

يقول أبو العلاء [3]

أتأكل درعي أن حسبت قتيرها وقـد أجـدبت قـيسٌ عيـون جـرادِ

الصورة الأولى لكعب بن مالك يشبه فيها إحكام مسامير الدروع والتصاقها بمتنها حتى إنَّها لتبدو للناظر إليها جزءا منها بحدق الجنادب , وهي صورة تركِّز على شدة الإحكام [4] والصورة الثانية لكنانة بن عبد يا ليل ، وألمح فيها لفتة جميلة وصورة دقيقة فطن إليها كنانة وهي أنِّ مسامير الدروع مع أنَّها فوق صفحةٍ لامعة شديدة اللمعان والبريق إلا أنّها لبروزها عن سطح الدروع ولشدة لمعانها –(المسامير)– تبرق عند سقوط الضوء عليها , وكأنها نجوم السماء , ولو أنَّه خصَّ هذه الهيئة وقيَّدها بوقت الصبح حين يدبر الليل ويقبل النهار لاكتملت الصورة براعة ، ولعلَّه أراد ذلك ولم يصرح به في الكلام ، ؛ لأنَّ هذه الهيئة لا تكون إلا في هذا الوقت عندما يظهر لون السماء الأزرق مختلطٌ ببقية من سواد الليل وتظهر معه بعض النجوم قوية الضوء .

أما صورة أبي العلاء فقد استخدم الصورة التقليدية وهي تصوير مسامير الدروع بعيون الجراد ووجَّهها وجهة ساخرة، حيث إنّه يسخر ممن أخذ درعه التي كانت رهناً عنده ورفض ردَّها إليه ، وهكذا نرى أن الشاعر الحاذق " حين يقع على هذه التشبيهات في شعره عليه أن يضيف إليها من فنّه ما يجددها به " [5] ؛ فهو يتهكَّم بصاحبه ويعلل أخذه درعه وأكله إياها بعلة غير حقيقة وهي أنَّه حسبها عيون جراد في زمن القحط ، وصورة أبي العلاء بما فيها من ابتكار وتجديد أحسبها أفضل الصور الثلاث تليها صورة سيدنا كعب بما فيها من دقَّة وتفصيل .

---

(1) ديوانه ص 145 (2) سيرة ابن هشام 200 (3) شروح سقط الزند 4 / 1713.
(4) انظر ص (96) من هذا البحث (5) دراسة في البلاغة والشعر د / محمد أبو موسى ص 140 .

ثالثا

تصوير الحرب

201

يقول عمرو بن كلثوم [1]

متى ننقُل إلى قومٍ رحانا ♦ يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثِفالُها[2] شرقيَّ نجدٍ ولهوتُها[3] قضاعةَ أجمعينَا

يقول زهير [4]

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمٍ ♦ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ♦ وتضْرَ[5] إذا ضرَّيتموها فتضْرَمِ[6]
فتعركُكُم عركَ الرَّحى بثفالها ♦ وتلقح كشَافا ، ثم تنتج فتتئِمِ
فتَغلل لكم ما لا تغل لأهلها ♦ قرىً بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ

يقول كعب بن مالك [7]

لعمري لقد حكَّت رحى الحربِ بعدما ♦ أطارت لؤياً قبلُ شرقاً ومغربا

إن الرحى أداة من لوازم البيئة الصحراوية استخدمها كثير من الشعراء في تصوير الحرب لما للحرب من آثار مدمرة ، فبعدها تناثر الأشلاء وتختلط بالسيوف والرماح والخيول ، بجانب الحركة والاضطراب والدوران أثناء اشتداد المعركة "كما أن لكلٍ ثفالاً ، فأرض المعركة ثفال لها، وجلدة الرحى ثفالها ،وكل يتلقالضحايا "[8]. كل هذا دفع الشعراء إلى تصوير الحرب بالرحى .

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 128. (2) ثفالها : الثفال ما يبسط تحت الرحى عند الطحن ، الوسيط مادة (ثفل) ص 97 .
(3) لهوتها : اللهوة ما يلقيه الطاحن من الحب في فم الرحى بيده ، الوسيط مادة (لها)
(4) شرح شعر زهير بن أبي سلمى تحقيق د / فخر الدين قبادرة ط دار الآفاق الجديدة بيروت الجديدة ط أولى 1402/ 1982 صـ 26 ، 27
(5) تضرى : ضرِيَ ضرًا وضَرَاءً وضراوة أي اشتد ، الوسيط مادة (ضرى) ص 539 .
(6) تضرم : ضرم فلان أي جد وأسرع ، وضرم في أكله أي أسرع الوسيط مادة (ضرم) ص 539 .
(7) ديوانه ص 176
(8)التصوير البيانى فى معلقات العرب ص 240

والصورة الأولى التي معنا لعمرو بـ 202 م ، ومعلوم أن معلقته هذه يغلب عليها الفخر , والصورة التي معنا خير دليل على علو نبرة الفخر في هذه المعلقة ، فالشعراء

يستعيرون الرحى للحرب ويشبِّهون الحرب بها على أساس أنها طاحنة ومدمرة للفريقين المتحاربين على حد سواء .

أمَّا عمرو فقد جعل الهلاك بالحرب لمن يعاديهم فقط ، أما قومه فهم الذين يديرون الرحى لإهلاك من أرادوا دل على ذلك قوله :

متى ننقل إلى قوم رحانا ♦ يكونوا في اللقاء لها طحينا

حيث جعل الحرب ملكا لهم بالإضافة في قوله " رحانا " ثم جعل هلاك أعدائهم قانونا حتميا، حيث جعله جوابا للشرط في قوله " يكونوا في اللقاء لها طحينا "، حيث شبههم بالطحين تشبيها مؤكدا ، ثم كنى عن كثرة قومه وشدَّة قوتهم بقوله

يكونوا ثفالها شرقي نجد ♦ ولهوتها قضاعة أجمعينا

حيث جعل قبيلة قضاعة كلها هي ما يوضع في هذه الرحى ليطحن .

أما أبيات زهير فأبيات صادرة من حكيم ذي خبرة بعادات العرب واهتمامهم ، فهو يستميلهم في أول الأبيات ، ويثْبت لهم علما وخبرة ؛ لأنَّ النَّفس تستثقل التحذير أو الأمر المباشر من الغير ، فإن إذا ما أثبتَّ لمخاطبك غنيً عن النصيحة ، فإنَّك تشق إلى قلبه طريقاً وتفتح منافذ عقله للتَّدبُّر ، وتروِّض نوازع الكبر في نفسه ، وهذه طريقة الحكماء الناصحين ودرب أصيل من دروبهم ، قالت الأعرابية التي نصحت ابنتها قبل عُرسها " أي بنية : إنَّ الوصية لو تُركَت لفضل أدبٍ تركت لذلك منك " [1] ، وقد استعان زهير في مقدمته هذه باستعارة " ذقتم " لتجربة معاناة الحرب وويلاتها وهى استعارة تبعيَّة بليغة لبيان شدَّة الحرب .

---

(1) من النصوص الجاهلية أ . د / رزق داود ص 170 ط ـدار- الأزهر ط 2000

ثم ينتقل ببراعة مخوفاً لهم بطريقة غير مباشرة ، فلم يثبِت هلالكا لهم بسبب الحرب بطريقةٍ مباشرةٍ ، وإنما أثبت لهم بعد ذلك للحرب على هيئة تكون عليها ذميمة على

سبيل الاستعارة التبعية في " تبعثوها " ثم أثبت لهم أيضا أنهم سيجعلونها تتجرَّأ وتتدرَّب على الافتراس والإهلاك وذلك باستعارة " تضرى ، ضريتوها ، تضرم " مع إبهام المفعول به حتى تذهب أذهانهم في تحديده كل مذهب ، فيصلوا بأنفسهم إلى أنَّهم إنما جعلوها تضرى وتضرم وسيكونون هم طعاماً لها .

ثم إذا به يمسُّ ما يهمُّ العربي , بل ويهم جميع القبائل والأمم وهو البقاء فاستعار العرك الذي هو " حك الشيء حتى يمحى " [1] لاستئصالهم شيئاً فشيئاً والقضاء عليهم تدريجيًا ، وهو لا يقصد أنَّها تطحنهم بدليل قوله " بثفالها " ولم يقل" بلهوتها" وإنما قصد أنها تمحوهم تدريجيا بأخذها منهم أعدادا كبيرة في كل مرة تُبعث فيها ، كما تحكُّ الرحى الثفال مرة بعد مرة ، حتى يمور ويصبح باليا ، وهذه الصورة متفرِّعة من الصورة في البيت السابق فالحرب إذا ما ضرت وأسرعت وجدَّت في التهامهم فإنَّها ستقضي عليهم وتستأصل شأفتهم ؛ ولذلك ربط بين البيتين بفاء السببية ، ويلاحظ ارتفاع لهجة التخويف في هذا البيت .

ثم إذا به يصوِّر من ينشأ في ظلال الحروب ، وقد فقد أخاً أو أباً ، أو عزيزاً ، فيعتاد عليها كأنَّه تولَّد من رحمها وتربَّى في أحضانها ، فيصير مسعر حروب داع إليها فيستعير لهذه الهيئة هيئة الناقة التي تلقح تباعاً كل عام فتلد توائم ثم ترضعهم وتفطم ، ثم يمزج الحقيقة بالصورة التي استعارها في قوله :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ♦ كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

ولاحظ تقديم الجار والمجرور " لكم " والذي يفيد التخصيص ، ثم تقديم " أشأم " على " كلهم " وذلك ؛ لأنَّ كلا الطرفين يظن أنَّ الحرب تضرُّ الطرف الآخر ولا تضرُّه هو ، وتكون شؤماً عل عدوه لا عليه فقدَّم ليقلب هذا الاعتقاد .

---

(1) تعر ككم / عرك الشيء دلّكه حتى محاه / الوجيز 415 .

ثم يتحول النَّاصح إلى متهكم وساخر بعد أن اطمأنَّ إلى تفتُّح منافذ العقول والقلوب , فيستعير تغلل لأضرار الحروب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، لأنَّها لا تغلل

لهم خيرا " بل تغلل لهم غلة ليست كغلة أهل العراق ففيها الموت والهلاك" [1] .

وبعد فهذه حكم وصور مترابطة محكمة تليق برجل من رجال الحوليات ، وهكذا رأينا صوراً شتَّى يربطها زهير ببراعة فنراه يصور الحرب بالوحش الضاري ثم ينتقل بإتقان إلى الرحى ثم يحكم الانتقال إلى الناقة وهكذا تمتزج الألوان تحت ريشة زهير التي تعرف طريقها إلى الإبداع لتخرج صورة كلية متناسقة محكمة تصاعد بها تخويفا وإنذار ، أمَّا صورة كعب فهي صورة بسيطة يشبِّه فيها الحرب بالرحى ، قدَّم فيها المشبه به على المشبه وأضافه إليه مثل " ذهب الأصيل " وهي صورة تقليديه ليس فيها إبداع كالصورتين السابقتين ، إلا أنَّه راعى الدقة في اختيار الفعل " حكَّت " دون " دارت " وذلك ؛ لأنَّ حصار بني النضير لم يكن فيه قتال شديد فناسبه الفعل حكت .

وبعد . فما أجمل وأروع أبيات زهير ، ولم لا تأتي بهذه الروعة والدقة وهو في مقام النُّصح والتوجيه ومعه متَّسعٌ من الوقت كي يفكر وينقِّح ويغِّير ويبدِّل حتى يحسن صنعته ، وصنعة زهير " تدخل في باب الصنعة المقبولة والمطلوبة في الفن " [2] ولله در من قال " لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ وإنما يسألون عن جودته وإتقانه " [3] وتأتى صورة عمرو بعد صورة زهير ؛ لأنَّ صورة زهير أعمق وأبلغ لشمول تصويرها ودقّة معانيها.

---

(1) الفن ومذاهبه د/ شوقي ضيف صـ 31ط دار المعارف ط 11

(2) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء جبر صـ50 مكتبة الشباب بدون تاريخ

(3) دفاع عن البلاغة الأستاذ / أحمد حسن الزيات ص6 –ط الرسالة -- 1945

رابعا

تصوير التَّوازن النَّفسى

فى الحروب

يقول كعب بن زهير [1]

لا يفرحــون إذا نالــت رمــاحُهم قومــاً وليســوا مجازيعــاً إذا نِيلُــوا

وقال كعب بن مالك [2]

جـلادٌ علـى ريـبِ الحـوادثِ لا تـرى علــى هالــكٍ عينــاً لنــا الــدَّهر تــدمعْ
بنُــو الحــرب لا نعيَــا بشــيءٍ نقولــه ولا نحــن ممَّــا جــرت الحــرب نجــزعْ
بنـو الحـرب إن نظفـر فلسـنا بفُحـشٍ ولا نحـــن مـــن أظفارهـــا نتوجَّـــعْ

وقال حسان "[3]

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصــيبوا فــلا خــور و لا جــزع
نسـمواأذا الحـرب نالتنـا مخالبهـا إذا الزَّعـانف[4] مـن أظفارهـا خشـعوا

من الأمور التي يفتخر بها المسلم التوازن في حالتي النصر والهزيمة ، فعدم المبالغة في الفرحة عند النصر دلالة على التعود عليه وأنَّه ليس من المحدثات وإنما هو أصل , وعدم الجزع والحزن البالغ عند الهزيمة يدلُّ على الجلد والقوة وأنها شيء عارض سرعان ما ينسى ويزول .

وبيت كعب بن زهير كناية عن هذا التوازن في حالتي النصر والهزيمة وتتخلَّل الصورة الكنائية صورة مجازية هي قوله " رماحهم "، حيث عبَّر بالجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل ، فقد عبر بالرماح وأراد كل أنواع الأسلحة ، وقد عبر بالرماح دون السيوف مع أنَّ القتال بها هو الأعم الأغلب ، وهو مناط الفخر والشجاعة وميدان التباري ، بخلاف الرماح والسهام فإنَّها لا تدل على ما يدل عليه القتال بالسيوف ، ولعله أراد أن يبرهن – بذكر الرماح دون غيرها – على طول باعهم وأنهم ينالون من عدوهم وإن كان نائيا .

---

(1) شرح ديوانه ص25 ط دار الكتب المصرية 2002/1423

(2) ديوانه ص227 ، 228 (3) ديوانه ص239

(4) الزعانف : " الزَّعْنَفَة " كل جماعة ليس لهم أصل واحد ، والزعنفة " ردئ كل شيء ورُذَاله الوسيط مادة (زعنف) ص 394 .

وأما أبيات كعب فما أجمل تفصيلها لجلد قومه وشدتهم باستخدام الكنايات والاستعارة ودقة نظم الأبيات واختيار ألفاظها بعناية فائقة وبجودة الجناس في البيت الأخير بين " الظفر ، والأظفار " وإيحاءات الصور الرائعة في هذه الأبيات" [1] أما صورة حسان فبالرغم من وجازة عباراتها إلا أنها تحمل الكثير من المعاني ، فقد استعار المخالب لأضرار الحرب عند حديثه عن إصابتها قومه ، واستعار الأظفار لأضرار الحرب عند حديثه عن إصابتها أعدائهم – (وهما أي المخالب والأظفار من لوازم المستعار منه المحذوف) – وفي هذا إشارة إلى قوة تحملهم لأضرار الحرب وإن كانت بالغة (كأثر مخالب الحيوان المفترس) وإلى ضعف أعدائهم في مواجهة آثارها وإن كانت خفيفة (كخمش الأظفار) ، كما أن في الاستعارة لمحة أخرى وهي أن الحرب مهما نالت منهم لا يكون أثرها فيهم إلا كأثر مخالب الحيوان المفترس في فريسته ولا يمكن – بسبب قوتهم وتعودهم الحروب – أن تنال منهم أكثر من ذلك أو أن يكون أثرها قوتهم وتعودهم الحروب – أن تنال منهم أكثر من ذلك أو أن يكون أثرها بالغا وصورة كعب هي أفضل الصور الثلاث لما فيه من الدقة والتفصيل وحسن اختيار الصور البيانية وتناسبها مع الصورة الكلية تليها صورة حسان.

---

(1) انظر ص (150) من هذا البحث .

خامسا

تصوير سيلان الدماء

من الجروح

يقول الحارث بن حلزة [1]

فجبهنـاهم بضـرب كمـا يخـرج ♦ مـــن خربـــة[2] المـــزاد المـــاء

ويقول كعب بن مالك [3]

تكر القنـا فيكم كـأن فروغهـا(4) ♦ عزالــي(5) مــزاد ماؤهــا يتهــزّع(6)

ويقول حسان بن ثابت [7]

بطعن كـإيزاغ المخـاض رشاشـه ♦ وضرب يزيل الهـام من كل مفرق

إن تصوير هيئة خروج الدم من الجروح شائع ومطروق من كثير من الشعراء ، والشعراء الثلاثة تناولوا هذه الهيئة مع اختلافهم في اختيار المشبه به فالحارث اختار هيئة خروج الماء من خربة المزاد " واختيار خربة المزاد في القربة دون الفتحة العليا فيها لشدة اندفاع الماء منها " [8] ، وأرى أن الشاعر لم يوفق في اختيار خربة المزاد كمقابل للجبهة التي يخرج منها الدم إثر الطعن فيها وذلك ؛ لأنَّ الجبهة في أعلى الجسم وخربة المزاد في أسفلها ،كما أن هيئة الماء النازل من خربة المزاد ، ليست كهيئة الدم الخارج من الجروح ؛ لأنَّ الدم الخارج من الجروح خاصة العميقة يكون على هيئة متهزّعة ، بخلاف الماء النازل من خربة المزاد .

---

(1) شرح القصائد العشر للتبريزي /ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ط ثانية 1964/1384م
(2) خربة : " الخربة " الثقبة الواسعة المستديرة ، خرة المزاد ، عروتها ، الوسيط مادة (خرب)
(3) ديوانه صـ 229
(4) الفروغ : الطعنات الواسعة .
(5) عزالى : جمع عزلاء وهى فم المزادة والسقاء
(6) يتهزَّع :يتقطّع
(7) ديوانه صـ 298
(8)التصوير البياني في معلقات العرب د/عبد الحليم محمد شادي رسالة دكتوراة - كلية اللغة العربية بالزقازيق

أمّا كعب فقد وقع اختياره على عزالي المزاد بمعنى فم السقاء كمشبه به الأمر الذي جعل صورته أكثر دقة من صورة الحارث للتطابق التام بين الهيئتين ، أمَّا حسان فأحسبه أصاب التشبيه ووقع على أقرب مشبه به لهيئة خروج الدم من الجروح ، حيث شبه هيئة خروج الدم من جروح الأعداء بهيئة خروج البول من المخاض، حيث يكون له رشاش ، وتفضل صورة حسان صورة كعب والحارث لسببين :

الأول : إصابة حسان عين الشبه بين الطرفين فخروج الدم من الجروح العميقة لا ينهزع منذ بداية وإنما يكون في بدايته مندفعا في قوة وتواصل محدثا رشاشا ثم بعد أن يقل الدم في الشرايين يعتمد في خروجه من مكان الطعنة على قوة ضربات القلب والتي تخرجه من الجرح في هيئة دفقات متهزّعة ، هذه الهيئة أشبه ما تكون بهيئة إخراج المخاض بولها ففي البداية وبسبب كثرة البول المحتبس داخلهاينزل فى قوة واندفاع فغير تهزّع وبعد قليل وعندما يقلّ البول المحتبس يبدأ ما تبقى في النزول على هيئة التهزع فما أجمل وأدق صورة حسان ، وهكذا نرى " الابتكار أي ابتكار بعيد عن الأذهان لا يجول إلا في نفس أديب وهبه الله استعدادا سليما في تعرّف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه الله قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض"[1]

السبب الثاني :

في تفوق صورة حسان هو أن الشعراء الثلاثة شبهوا الدماء بالماء وهذا يوحي بأنها دماء رخيصة إلا أن حسان أضاف إلى التشبيه بالماء معنىً زائدا حين جعلها دماءً نحبسه، حيث شبهها بالبول ليس هذا فحسب وإنما جعلها كبول الحيوان ، وتلي صورة كعب صورة حسان في الدقة وحسن التصوير .

---

(1) جواهر البلاغة – الأستاذ السيد أحمد الهاشمي ص 357 ط التقدم بطنطا بدون تاريخ .

سادسا

تصوير الشجاع وتشبيهه بالأسد

يقول زهير في معلقته [1]

لـدى أسـد شـاكي السـلاح مقـذّف ♦ لـــه لبـــد أظـــافره لـــم تقلـــم

وقال كعب بن مالك في رثاء حمزة [2]

وتـراه يرفـل[3] فـي الحديـد كأنـه ♦ ذو لبـــدة شـــثن البـــراثن أربـــد

وقال عمرو بن معدي يكرب [4]

فلـــو لاقيتنـــي للقيـــت ليثـــا فوقـــه لبـــده
تلاقـى شـنبثا شـثن [6]البـراثن[7] ناشـرا كتـده[8]

اعتاد الشعراء تشبيه القوى الشجاع بالأسد ، أو استعارة لفظ الأسد له وذلك لما عهد من تصوير هذه الصفات في الأسد وهي الجرأة والافتراس والشراسة في القتال والدفاع عن صغاره .

والصورة الأولى لزهير استعار فيها لفظ الأسد للمحارب الشجاع ، المستعد للقتال ، وهذه الاستعارة كما ذكر البلاغيون في مرتبة المطلقة لذكر ملائمات منها ما هو خاص بالمستعار له ومنها ما هو خاص بالمستعار منه فقوله " شاكي السلاح مناسب للمستعار له ،ومقذّف يصلح لكليهما ، وله لبد أظافره لم تقلم ، مناسب للمستعار" [9]

---

(1) شرح شعر زهير صـ 29 تحقيق د/ فخر الدين قباوة ط بيروت
(2) ديوانه صـ190
(3) يرفل : رفل فلان جر ذيله وتبختر في مشيه ، الوسيط مادة (رفل) ص 362 .
(4) ديوانـــه صـــ 88 تحقيـــق / مطـــاع الطرابيشـــي ط مكتبـــة دار البيـــان – دمشـــق – ســـوريا 1994/1414

(5) شثن : شثنت كفه ، خشنت وغلظت ، الوسيط مادة (شثن) ص 472 .
(6) البراثن : البرثن ، مخلب السبع أو الطائر الجارح ، الوسيط مادة (برثن) .
(7) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس أو الكاهل .
(8) معاهد التنصيص 2/ 150 ت / محمد محي الدين عبد الحميد ط عالم الكتب بيروت د ت .

وأما كعب فقد سلك طريق التشبيه ، وقد جاءت صورته التشبيهية رائعة، حيث لم يقتصر على تشبيه حمزة ﷺ بالأسد في الجرأة والشجاعة فحسب ، وإنما لاحظ شبها في الهيئة أيضا ؛ لذلك استخدم الآداة كأن لما بين المشبه والمشبه به من قوة في الشبه فحمزة كان رجلا ضخما قويا يتبختر في الحديد ، وما أجمل ملاحظة كعب وجود شبه بين لبدة الأسد ، ولحية حمزة والذي دل على اعتبار هذا الوصف في وجه الشبه قوله " ذو لبدة " بإضافة ذو إلى لبدة مما يدل على المصاحبة والتلازم وترى هذا في الفرق بين قولك " هو كريم،وهو ذو كرم – وهو صادق وهو ذو صدق " [1]وهذا ما جعلني أرجح أنه يقصد بمقابل اللبدة في جانب المشبه به اللحية في جانب المشبه

كما شبّه كفيّ حمزة ببراثن الأسد في ضخامتها ، وما أجمل التعبير عن الأسد بأوصافه دون اسمه (كناية عن موصوف) ، وما من شك أن من كان شأنه أن يشابه الأسد في هيئته أنه مشابه له في صفاته . فما أجمل هذه الصورة التشبيهية التى جامعتها الكناية وأرى أنّ التشبيه إذا أصاب وآزره النظم قد يكون أبلغ من الاستعارة .

أما صورة عمرو بن معد يكرب فقد أجراها على التجريد ومع تأثرها بصورة كعب إلا أن قوله " فوقه لبده " تضعف الصورة ، ؛ لأنَّ اللبد تكون مندلية على كتفيه ، إلا أن يكون مقصده أنه يشبه في خبرته أسدا عجوزا تقدمت به السن حتى التفّت لبدته بعنقه كله وأحسب صورة كعب أجود الصور الثلاث لما فيها من دقة في التصوير ومقاربة بين المشبه والمشبه به ،وخروجها عن المألوف من التشبيه بالأسد في الشجاعة فقط إلى الجمع بين الهيئة الخارجية والصفات العقلية .

---

(1) قراءة في الأدب القديم صـ 32.

سابعا

تصوير السيوف

(1) تشبيه

لونها بلون الملح

يقول عبد الله بن الزبعرى [1]

وبـيض كـأن الملـح فـوق متونهـا ♦ بأيـدى كمـاة كـالليوث العوائـث [2]

ويقول حسان بن ثابت [3]

وقـد أرانـى أمـام الحـى منتطقـا ♦ بصـارم مثـل لـون الملـح قطّـاع

ويقول أبو العلاء المعرى [4]

ومشـهرات أشـبه الملـح لونهـا ♦ ولسـت بغيـر الملـح آكـل زادى

إن تشبيه لون السيوف فى بريقها ولمعانها بالملح تشبيه يرى للوهلة الأولى تشبيها عاديا لأنه يقف عند حدود الحواس " وأشد ما يضعف الصورة فنيا أن يقف بها الشاعر عند حدود الحس " [5]

ويلاحظ أن الملح ليس هو الغاية فى البياض فهناك ما هو أشد بياضا منه كالمرجان واللؤلؤ ، ولكن العربى الكادح الذى لا يعرف الترف فى معيشته يشبه السيوف بالملح لأنّه الشائع فى بيئته كما أنّ اللؤلؤ والمرجان يشبّه بهما الأشياء التى تستخدم فى الترف والنعيم ، أما أدوات القتال فمن التناقض أن تشبه باللؤلؤ والمرجان .

ويلاحظ أن المشبه بين السيوف والملح لا يقف عند حدود الحواس كما يفهم للوهلة الأولى وإنما يتعدى الأمر ذلك الشبه الحسى الذى يتمثل فى البياض وإنما يوحى تشبيه السيوف بالملح بأنها (السيوف) كالملح فكونها ضرورة لتناول الطعام فالسيوف هى وسيلة العربى فى كسب قوته والدفاع عنه . وبعد الوقوف على هذا الوجه يتضح أن المعنى لا يقف عند التشبه الحسى فقط .

---

(1) سيرة بن هشام جـ 2 / 189

(2) العوائث : عاث أي أفسد ، عاث الذئب في الغنم ، أفسد فيها بالافتراس والتقتيل ، الوسيط مادة (عاث) ص 639 .

(3) ديوانه صـ 336 .

(4) شروح سقط الزند جـ4 ص177 ط دار نهضة مصر الفجالة القاهرة 1977م.

(5) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص420 الديوان للعقاد 16/1، 17 ط ثانية 1921 م.

وصورةابن الزبعرى وحسان وإن كانت تحتمل هذا المعنى اللطيف إلا أنهما لم يشيرا إلى هذا المعنى بأى إشارة ؛ لذلك تقف الصورة عندهما عند حدود الحس ، مع احتمال قصد ابن الزبعرى الإشارة إلى هذه المعنى بقوله "كأن الملح فوق متونها " .

أما الصورة أبى العلاء فقد أصابت عين هذا المعنى ، وقد كساها أبو العلاء ثوبا جديدا على عادته فى تجديد الصور القديمة، حيث أردف الصورة الحسية البسيطة المألوفة–(تشبيه السيوف بالملح) – تذييلا يحمل تورية جميلة وذلك فى قوله " ولست بغير الملح آكل زادى " فانظر كيف بعث الصورة ونفض عنها غبار الإلف والعادة وألبسها ثوبه وصاغها فى قالبه ، فالمعنى القريب غير المراد هو أنه لا يأكل طعامه إلا بالملح ، والمعنى البعيد أنه يكتسب طعامه بسيفه ولا يستسيغه إلا إذا اكتسبه به ، كما لا يستساغ الطعام بدون الملح .

وتفوح رائحة التهديد من هذه التورية، حيث يهدد من خان الأمانة وغصب درعه ولم يعطها له ، ولعل أقرب صورة إلى صورة أبى العلاء هى صورة ابن الزبعرى كما ذكرت من قبل، حيث يقول "كأن الملح فوق متونها " فقد ترك الحديث عن اللون ووضع الملح فوق متون السيوف وكأنها خبز أو آنية طعام خاوية تفتقر إلى ما يأكله هؤلاء المحاربون بهذا الملح ، ولا أريد أن أحمّل النص ما لا يتحمله وإنما تحسست هذا المعنى من ذكره " الملح " دون " لون الملح " وقوله " فوق متونها " .

وأرى أن صورة أبى العلاء هى أفضل الصور الثلاث تليها صورة ابن الزبعرى للاعتبار السابق ذكره .

(2)

تصوير الضرب بالسيوف

يقول ابن الزبعرى [1]

بســيوف الهنــد تعلــو هــامهم ♦ علـــلا تعلـــوهم بعـــد نهـــل

وأجابه حسان بن ثابت [2]

نضــع الأســياف فــى أكتــافكم ♦ حيــث نهــوى علــلا بعــد نهــل

لما كانت السيوف والسنان الحادة التى تستخدم فى القتال تفتح الجسم فتحات وتستفرغ ما فيه من دماء صورها الشعراء وكأنها تشرب من هذه الأجسام دماء.

هذا المعنى تناوله ابن الزبعرى وصورة بالاستعارتين علـلا ونهـل، حيث استعار النهل للضرب بالسيوف ، ثم استعار العلل الدال على معاودة الشرب ، لتكرار الطعن بهذه السيوف .

وتخصيص ابن الزبعرى الهام بالضرب يقرب الشبه بين المستعار له والمستعار منه، حيث إن من يشرب يكون شربه من أعلى الإناء " فمه " وتكرار حرفى العين والهام له وقع وإيحاء بهذه العملية المستمرة وتكرار حرف الهاء وهو من الحروف الهوائية ، فيه إيحاء باليسر والسهوله لأن صوت الهاء (من الأصوات الرخوة)[3]

أما حسان فقد تأثر بابن الزبعرى فى الاستعارتين إلا أنه سلك طريقا آخر للدلالة على تكرار هذه العملية وسهولتها، حيث استخدم الفعل " نضع " للدلالة على السهوله فوضع الشئ فى الشئ يوحى بسهولة الفعل .

---

(1) سيرة بن هشام جـ3 /76

(2) ديوانه صـ93

(3) أصوات العربية بين الوصف والتعظيم د / محمد عبد الحفيظ العريان صـ204 ط أولى ط أبناء وهبة القاهرة 1991 م.

بخلاف ما لو قال " نطعنكم " أو نضربكم "كما استخدم الفعل " نهوى " للدلالة على تكرار هذه العملية، حيث إن من معانى الفعل : هوت يده إلى الشئ : امتدت وارتفعت ثم إن تخصيصه الأكتاف كمواضع لوضع السيوف فيها – مع أنها ليست من المقاتل التى يفتخر الأبطال بإصابتها – إشارة إلى وهنهم وكأن قتلهم لا يحتاج إلى إصابتهم فى مقتل .

فما أجمل معانى حسان وحسن نظم البيت ، وأرى أن صورة حسان بالرغم من تأثره بابن الزبعرى إلا أنها تفضلها بجودة النظم ودقته وإسهامه فى بيان الصورة وتوضيحها .

(3)

تصوير لمعان السيوف والرماح

يقول ابن الزبعرى فى يوم أحد [1]

وقد عريت بيض كأن وميضها ♦ حريق ترقى فى الإباء سريع

وقال بن مالك فى يوم الخندق [2]

جأوى ململمة كأن رماحها ♦ فى كل مجمعة ضريمة غاب

اشترك الشاعران فى تصوير الحركة التصاعدية اللامعة الناتجة عن سقوط أشعة الشمس على هذه السيوف والرماح المصقولة اللامعة ، فإذا ما تحركت فى يد حاملها فإنّ البريق يترفى صاعدا إلى أعلى وكأنه حريق فى قصب أو غاب .

وواضح تأثر ابن الزبعرى بكعب بن مالك فى مطلع بيته، حيث إن لكعب بيتا يوم بدر يقول فيه [3]

وقد عريت بيض خفاف كأنها ♦ مقاييس يزهيها لعينيك شاهر

وصورة ابن الزبعرى يصور فيها وميض السيوف إذا ما تحركت قى يد حاملها بالحريق الذى يتصاعد فى القصب سريعا .

والصورة التشبيهية هذه صورة لونية حركية صوتية فصور اللون بقوله " حريق "، حيث يشبه الوميض الأصفر المنعكس على متون السيوف بالنار وعبر عن الحركة بقوله " ترقّى " ودل على الصوت بما دل به على اللون والحركة فالحريق إذا ترقّى فى القصب فإنه يحدث صوتا يشبه صوت إخراج السيوف من أغمادها وهذا التشبيه من التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركة واقترنت الحركة باللون . وفى تقييده المشبه به بقوله سريع لمحة حسنه ضرورية لتحقيق وجه الشبه فى المشبه والمشبه به وذلك ؛ لأنَّ حركة الوميض على متون السيوف (المشبه) تكون سريعة جدا كالبرق فكان من الملائم أن يذكر هذا القيد فى جانب المشبه به .

---

(1) سيرة بن هشام79/3 . (2) ديوانه ص 181 .
(3) ديوانه صـ200 .

أما كعب فتأثره بابن الزبعرى واضح إلا أن كعبا استدرك على صورة ابن الزبعرى كون الاجتماع للسيوف أو الرماح شرط لتحقيق الهيئة فى الطرفين ، فجاء بكلمة (مجمعة) الدالة على التجمع والتقارب بين المحار بين فى الكتيبة فإذاما حدثت هذه الهيئة وهى وميض هذه الرماح اللامعة وترقى الوميض إلى أعلى مع هذا الاجتماع قاربت هذه الهيئة إلى حد كبير هيئة المشبه به .

، وقد دل كعب على السرعة بقوله " ضريمة " لأنها تدل على سرعة الاشتعال فلم يحتج إلى تقييدها بالسرعة كما فعل ابن الزبعرى .

كما أن صورة كعب هى الأخرى صوتية حركية لونية فإن مقارعة الرماح للدروع أو لبعضها البعض تشبه صوت الحريق . واللون والحركة فى قوله " ضريمة غاب " وأحسب كعبا تفوق على عبد الله بن الزبعرى فى هذه الصورة .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على قائد الغـرِّ المحجَّلـين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ .

وبعد

فبعد أن عشنا مع شعراء نبيّنا ﷺ ورضى الله عنهم من خلال فصول هذه الدراسة أسجِّل الآن هذه النتائج التى توصل إليها البحث ، وأهم التوصيات ، أما النتائج فهى:-

1- إنَّ الإسلام لم يحرِّم الشعر وإنما قوَّمه ووجَّهه الوجهة الإسلامية .

2- قام التصوير البيانى بدوره فى المجتمع الإسلامى فى هذه الحقبة حيثُ استغرق كلَّ متطلبات العصر من مدحٍ للرسول ﷺ وصحابته ، وتصوير المعارك ورِثاء الشهداء ، والفخر بالإسلام ونبيِّه ورسالته ... إلخ

3- عناصر التصوير البيانى عند شعراء الرسول ﷺ منتزعة من البيئة ففى المدح يختارون أبهى مظاهر الصحراء وأكثرها بهجةً وامتلاءً بالحياة , وفى الهجاء يختارون أقبح مظاهر الصحراء وحيواناتها فيصوِّرون بها المهجو .

4- كان لإبداع هؤلاء الشعراء أثرٌ فى ألوانهم وريشتهم فلم يحاكوا الطبيعية بنقلها نقلا بحتاً وإنما كان للإبداع والخيال الخصب دورٌ فى التصوير .

5- لم يغرق شعراء الرسول ﷺ فى الخيال , فلم تأت صُورُهم فى هيئة شطحات خيال ، وإنما كان الخيال فى شعرهم بالقدر الذى تستحسنه الأذواق وتتفق على قبوله .

6- جاءت ألفاظهم فى الأعمِّ الأغلب واضحةٌ لا تحتاج إلى المعجم وهذا فيما أرى تأثراً بالمنهج القرآنى .

7- اختِيرَت الألفاظ الموحية التى تبرز الصورة تماما ، وتجعلها تنفذ إلى القلوب بمجرد طرقها للأسماع .

8- استعانة الشعراء فى بعض صورهم بالألفاظ القرآنية ، يعطى الصورة جمالاً وروعةً .

9- تميزت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بالعمق والبعد عن السطحية ، بمعنى أنَّ الصور وإن بدت بسيطةٌ لأوَّل وهلةٍ إلا أنَّها تحمل معانى وإيحاءات جمَّه .

10- جاءت الصور البيانية عندهم مناسبة تماما للسياق قبلها وبعدها تؤثِّر فيه ويؤثر فيها ، وهذا دليل على دقة النظم وحسن اختيار عناصره ، الأمر الذى يدل على سلامة الفطرة اللغوية .

11- اتَّسمت صورهم البيانية بالوضوح فبالرغم من عمقها إلا أنَّ الفكر فيها لا يصل إلى درجة التعقيد والغموض الذى يتعب الذهن دون جدوى .

12- جاءت الصور البيانية عندهم بسيطة أحياناً ، عندما يكون المعنى بسيطاً ، وأما عندما يدقُّ المعنى ويتشعب ويتداخل مع غيره ويحتاج إلى مزيد تأكيدٍ أو توضيحٍ فإنَّهم يكثِّفون الألوان البيانية لتوضيحه ووضع الفواصل بينه وبين غيره مما قد يختلط به .

13- امتزجت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بأحوالهم النفسية ، فجاءت معبرة تماما عن أحوالهم النفسية .

14- اتَّسمت الصور البيانية عندهم بالتفصيل والاستقصاء والحرص على أن تشتمل على أدقِّ الجزئيات .

15- بالرغم من وجود بعض الصور المألوفة والتى سبقوا إليها إلا أنَّهم أضفوا عليها من بيئتهم وثقافتهم وذات أنفسهم ما يجدِّدها ويخرج بها من دائرة التكرار والتقليد .

16- امتاز هؤلاء الشعراء بحسٍّ مرهفٍ وملكةٍ قويةٍ فى اختيار الصورة البيانية الملائمة للمقام والأقدر على بيان المعنى أفضل من غيرها فجاءت صورهم مناسبة تماما للمقامات ، فهناك مقامات تتطلب التشبيه ، ومقامات تستدعى الكناية وأخرى تستدعى الاستعارة أو المجاز المرسل ، ومقامات تتطلب الاستعارة المكنية دون التبعية أو العكس .

17- الجو العام للعصر وأحداثه ، والغرض الشعرى ، يؤدى إلى شيوع أنواع معينة من الصور البيانية .

18- غلبت الحسية على الصور البيانية فى شعر شعراء الرسول ﷺ ، وهذا دليل على تأثرهم بالقرآن الكريم فى هذا النهج .

19- قلَّ شعر الغزل فى شعرهم قلة واضحة وصلت إلى حد الندرة .

هذه هى أهم النتائج التى توصَّل إليها البحث ، وأما التوصيات فهى ما يلى :-

(1) إلى كلِّ من يحملون لواء الأدب الإسلامى لا يصدنَّكم عن دراسة الأدب الإسلامى واستبانة محاسنه وأسراره ، ما يشاع عنه بأنَّه ضعيفٌ .

(2) ينبغى على الباحثين مراجعة ونقد التراث النقدى والبلاغى للوصول إلى أرجح الآراء فى القضايا التى اختلف فيها علماء البلاغة ، وذلك بغية الوصول الى نظرية نقدية بلاغية عربية لمواجهة تيارات الحداثة الخبيثة التى تسعى إلى إبعاد المسلمين عن تراثهم ، الذى هو مصدر قوَّتهم .

(3) ضرورة الحدِّ من التقسيمات والتفريعات المنطقيَّة فى دراسة البلاغة لأنَّها تنفِّر القرَّاء والباحثين ، والاتجاه إلى المنهج التحليلى البلاغى فى دراسة النصوص ، فهو يستميل القارئ ، ويساعد الباحث على التعمق فى بحثه .

(4) البعد عن السطحية ، وضرورة معايشة النص مرَّاتٍ ومرَّاتٍ لاستظهار محاسنه.

(5) على الباحث ألا يقطع الصور البيانية عن السياق ، و ألا يغفل أثر الصور البلاغية فى توضيح الصور البيانية .

(6) التأكيد على ضرورة دراسة الجو النفسى للشاعر ، فنفسية الشاعر تصبغ نصه بصبغةٍ خاصةٍ .

وبعد

فالحمد لله أولاً وآخراً ، وأسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات القليلة والتى هى محاولةٌ لباحثٍ ناشئٍ ، وضع فيها ما أعطاه الله من فهمٍ ، وما يسَّره له من علمٍ ، فإن كان قد وُفِّق فيفضله سبحانه وعونه ، ثمَّ بتوجيهات استاذىَّ الجليلين الأستاذ الدكتور / حسن أمين مخيمر – وهبه الله الصحة والعافية – وللأستاذ الدكتور المرحوم / عبد الرازق مُحَمَّد فضل– رحمه الله ، وإن كنت قصرت ، فحسبى أنَّنى بشر .

" ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيِّء لنا من أمرنا رشداً " الكهف (10)

الباحث

طاهر عبد المنعم على أبو يوسف

الفهارس

فهرس الآيات

م	الآيـة	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
1	مثلهم كمثل الذى استوقد نارا	البقرة (17)	105
2	ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم	(البقرة 127)	ى
3	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا	"(آل عمران 319)	119,152
4	ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما	النساء (10)	182
5	فلاتقعدوا معهم حتيخضوا فى حديث غيره	النساء(140)	7
6	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين	المائدة (15)	44
7	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم	الأنعام (68)	7
8	ولباس التقوى ذلك خير	الأعراف(26)	96
9	إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم	(الأنفال 12)	68
10	وعلى الثلاثة الذين خلفواحتى إذا ضاقت عليهم الأرض بمارحبت	(التوبة 88)	25
11	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة النيا وفى الآخرة	إبراهيم(27)	78
12	إنا كفيناك المستهزئين	(الحجر 95)	أ
13	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	(الإسراء 88)	8
14	وتحسبهم أيقاظًاوهم رقود	الكهف(18)	174
15	والشعراء يتبعهم الغاوون	(الشعراء 224 ، 227)	69
16	فكبكبوافيها هم والغاوون	الشعراء(94)	5
17	والشعراء يتبعهم الغاوون	الشعراء(224)	89
18	وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب	(النمل 88)	76
19	ولاتصعر خدك للناس	لقمان (18)	70

م	الآيـة	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
20	تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت	(الأحزاب 19)	70
21	ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا	(الأحزاب 25)	72
22	" إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا "	(الأحزاب 45، 46)	44
23	" وما علمناه الشعر وما ينبغي له	(يس 69)	8
24	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	(فصلت 53)	أ-52
25	ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت	(مُحَمَّد 20)	81
26	ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر	القمر(38)	88
27	ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	الطور (24)	173
28	" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين	(الطور 34)	8
29	أفرأيتم اللات والعزى	(النجم 19 ، 20)	3
30	لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أومن وراء جدر	(الحشر(14)	59
31	" ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد	(الصف 6)	58
32	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياءلله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين	الجمعة (7)	59
33	كأنهم خشب مسندة	المنافقون(4)	105
34	يوم يخرجون من الأجداث سراعاكأنهم إلى نصب يوفضون	المعارج (43)	107
35	مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا	(نوح 25)	67
36	ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا	الإنسان (19)	173
37	يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذواجفة	النازعات (8.6)	107
38	كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	(المطفيفين 14)	72

فهرس الأحاديث

م	الحديث	الصفحة
1	لأنَّ يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه خيرا له من أن يمتلئ شعرا	(7)
2	إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما	(8)
3	اهجهم أو هاجهم وجبريل معك	د-20
4	إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه	(24)
5	إنك لحسن الشعر	(24)
6	لا يقول الرفث	(27)
7	خذوا الشيطان ؛ لأنَّ يمتلئ جوف أحدكم قيحا	(44)
8	إذا رأيتم المداحين فاحثوا فوجوههم التراب	(45)
9	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	(45)
10	دعوها فإنها منتنة "	(141)

فهرس الأبيات الشعرية

القافية والبيت	قائل البيت	الصفحة
فجبناهم بضرب كما يخرج من خربة المزاد الماء	الحارث بن حلزة	210
نأت سلمى فعاودني صداع الرأس والوصب	....	121
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأيب بصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب	النابغة الذبياني	187
وبيض كأن الملح فوق متونها بأيدي كماة كالليوث العوائث	عبد الله بن الزبعري	217
غدير نقت الخرصان فيه نقيق علاجم والليل داج أضاة لا يزال الزغن منها كفيلا بالإضاءة في الدياجي	أبو علاء المعري	197
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم بكأس حياض الموت قبل التهدد	طرفة	66
أتأكل درعي أن حسبت قتيرها ، وقد أجدبت قيس عيون جراد	أبو العلاء	200
ومشتهرات أشبه الملح لوناها ولست بغير الملح آكل زادي	أبو العلاء المعري	217
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا وكأن ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا	بشار بن برد	174
ألا رب ليل بت أرعى نجومه.فلم اغتمض فيه ولا ليل غمضا كأن الثريا راحة تشبر الدجا لتعلم طال الليل أم لي تعرضا فأعجب بليل بين شرق ومغرب يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا	كشاجم الرملي	187
وقد عريت بيض كأن وميضها حريق ترقى في الأباء سريع	عبد الله بن الزبعري	223
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول	كعب بن زهير	45
أنت خير من ألف ألف من القو م إذا ما كبت وجوه الرجال	الأعشى	47

القافية والبيت	قائل البيت	الصفحة
وإنا أناس لا نرى القتل سبه إذا ما رأته عامر وسلول	السموءل	57
لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل	كعب بن زهير	66
وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي فقلت لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل كأن تاثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل	امرؤ القيس	187
لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا	كعب بن زهير	207
بسيوف الهند تعلو هممامهم عللا تعلوهم بعد نهل	عبد الله بن الزبعري	220
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم	زهير بن أبي سُلمى	2
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم	المتنبي	47
علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء زينتها النجوم	كنانة بن عبد ياليل	200
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم متى تبعثوها تبعثوها زميمة وتَضْرَ إذا ضرَّ يتموها فتضرَم فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلقح كشافًا ثم تنتج فتتئم فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرىً بالعراق من قفيز ودرهم	زهير بن أبي سلمى	202
لدى أسد شاكي السلاح متقذف له لبد أظفاره لم تقلم	زهير بن أبي سلمى	213
بفتيان يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا	عمرو بن كلثوم	57
الضاربين بكل أبيض مخذم الطاعنين مجامع الأضغان	عمرو بن معد يكرب	73
فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن في أيماننا نيران	.....	93
متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا	عمرو بن كلثوم	202
فلو لاقيتني لقيت ليثا فوقه لبده تلاقى شنبثا شثن البراثن ناشرا كتده	عمرو بن معد يكرب	213

فهرس المراجع والمصادر

(1)أثر الإسلام فى بناء القصيدة العربية د/ أحمد شاكر غضيب ط دار الضياء – عمان – الأردن 2001/1422

(2) أدوات التشبيه فى لسان العرب د/ أحمد هنداوى هلال- ط مكتبة وهبه القاهرة 2003/1424

(3) أساس البلاغة للزمخشرى –ط-دار إحياء المعاجم العربية –ط –أولى - 1372ه/م1953

(4) أسد الغابة فى معرفة الصحابة- لابن الأثير – طبعة جمعية المعارف مصر د.ت

(5) أسرار البلاغة – للإمام عبد القاهر الجرجانى – تحقيق محمود محمد شاكر-طبعة دار المدنى – القاهرة 1412ه -1991م

(6)أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء –د/ شفيع السيد – طبعة دار الفكر العربى – بيروت – د.ت

(7) أصوات العربية بين الوصف والتنظيم –د/ محمد عبد الحفيظ العريان -طبعة مكتبة وهبه القاهرة 1991

(8) أصول البيان العربى – د/ محمد الصغير – طبعة دار الثقافة – بغداد د.ت

(9) اعتذاريات الشعراء للرسول – أحمد الجدع – طبعة دار الضياء الأردن 2000/1421

(10) الأثر القرآنى فى التصوير الشعرى – د / يوسف عبد الوهاب- طبعة التركى طنطا 2001/1421

(11) الأدب الجاهلى نصوص ودراسة / دكتور محمد عبد المنعم خفاجى-طبعة دار الجيل بيروت طبعة أولى 1991

(12) الأدب المفرد – الإمام البخارى – طبعة المطبعة العثمانية – مصر 1309 هـ

(13) الأدب فى صدر الإسلام – د/محمد عبد الرحمن عبد الظاهر مطبعة الحسين– القاهرة 1996

(14)الأدب فى عصر النبوة والراشدين –د/ صلاح الدين الهادى – طبعة الخانجى – القاهرة 1988/1409

(15) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية –د/ صباح عبيد دراز – طبعة الأمانة القاهرة 1986

(16)الاستبصار فى أنساب الأنصار – لابن قدامة محمد موفق الدين-(مخطوط بدار الكتب – القاهرة 349 تاريخ)

(17)الاستعارة فى لسان العرب –د/ أحمد هنداوى هلال- طبعة مكتبة وهبه طبعة أولى 1993/1414

(18) الأسس الجمالية للنقد الأدبى –د/ عز الدين إسماعيل- طبعة دار الفكر العربى بيروت – طبعة ثالثة 1974

(19) الإصابة فى تمييز الصحابة – لابن حجر شهاب الدين – طبعة المطبعة التجارية – القاهرة 1939

(20) الأصول الفنية للأدب – الأستاذ عباس حسن – طبعة الأنجلو المصرية 1949

(21) الأغانى/ لأبى الفرج على بن الحسين- الأصفهانى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة 2001

(22) الاقتضاب للبطليوسى – تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

(23)الأكسير فى علم التفسير – للطوفى البغدادى – تحقيق د/ عبد القادر حسين -طبعة المطبعة النموذجية 1977

(24)الإيضاح للخطيب القزوينى – تحقيق د/ عبد القادر حسين - طبعة مكتبة الأداب 1999/1416

(25)البداية والنهاية/ لابن كثير – طبعة مطبعة السعادة – القاهرة 1932

(26)البديع لأسامة بن منقذ – تحقيق عبدا على مهنا – طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1987/1407
(27)البرهان فى علوم القرآن –بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى –ت-محمد أبو الفضل إبراهيم –ط-دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-د.ت
(28)البلاغة التطبيقية دكتور أحمد موسى – طبعة مطبعة المعرفة – القاهرة د.ت.
(29)البلاغة العربية بين القديم والحديث د/ عبد الحليم محمد شادى – طبعة الأمانة القاهرة طبعة ثانية 2003/1424
(30)البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابى د/ صباح عبيد دراز طبعة الأمانة – القاهرة 1986/1406
(31)البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف- طبعة دار المعارف طبعة ثالثة د.ت.
(32)البيان العربى د/ بدوى طبانة – طبعة الأنجلو المصرية طبعة رابعة 1968
(33)البيان والتبيين لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – ت.د/ عبد السلام هارون طبعة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة 2003
(34)التبيان فى أسرار البيان –د/ عبد الحليم شادى- طبعة الأمانة طبعة أولى 1999/1420
(35)التحول الشعرى فى عصر البعثة المحمدية د/ صفوت زيد – طبعة التركى طنطا د.ت
(36)التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز د/ عبد العظيم المطعنى – طبعة مكتبة وهبه طبعة أولى 2002/1423
(37)التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى د/ محمد عبد المنعم خفاجى – طبعة المطبعة الفاروقية الحديثة – القاهرة ط أولى
(38)التصوير البيانى د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه 1980/1400
(39)التصوير البيانى بين القدماء والمحدثين د/ حسنى عبد الجليل يوسف- طبعة دار الأفاق العربية القاهرة 1997
(40)التصوير البيانى فى قصيدة النابغة المشهورة د/ عبد الحليم شادى- ط الأمانة

1993/1414
(41)التعبير البيانى د/ شفيع السيد – ط دار الفكر العربى طبعة ثانية 1982
(42)التفسير النفسى لأدب د/ عز الدين إسماعيل- طبعة دار العودة بيروت د.ت.
(43)الجمال بين الفلاسفة والبلغاء د/ بسيونى عرفة رضوان- طبعة الرسالة 1981
(44)الجنى الدانى فى تذوق المعانى د/ عبد الحليم شادى – طبعة الأمانة طبعة أولى 1987/1407
(45)الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى – تحقيق – د/ فخر الدين قباوة -طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1994/1425
(46)الحياة الأدبية فى العصر الإسلامى د/ النبوى شعلان - طبعة المدنى القاهرة 1981/1401
(47)الخصومات البلاغية والنقدية فى صنعة أبى تمام د/ عبد الفتاح لاشين - طبعة المعارف المصرية د.ت
(48)الديوان –للعقاد- طبعة 1921 طبعة ثانية
(49)الرسالة البيانية- للصبَّان -طبعة المطبعة الأميرية ط أولى 1315
(50)الروض الآنف للسهيلى – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله- طبعة الجمالية – القاهرة 1914/1332
(51)السيرة النبوية لابن هشام تحقيق – عمر محمد عبد الخالق – طبعة دار الفجر – القاهرة طبعة أولى 1999/1420
(52)الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه –د/ يحيى الجبورى- طبعة مؤسسة الرسالة بيروت طبعة رابعة 1983
(53) الشعر والشعراء لابن قتيبة – تحقيق/ أحمد شاكر- طبعة دار المعارف د.ت
(54)الصناعتين/ لأبى هلال العسكرى- تحقيق محمد على البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار الفكر العربى د.ت
(55) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق د/ حفنى شرف ط-دار نهضة مصر للطبع

والنشر – ط –أولى1385 ه-1965 م
(56)الصورة الجمالية بين القدماء والمحدثين د/ عبد الحليم شادى - طبعة السعادة طبعة أولى 1999/1411
(57) الصورة الجمالية د/ محمود محمد بن – بدون معلومات عن الطباعة
(58) الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى د/ جابر عصفور طبعة دار المعارف – القاهرة .د.ت.
(59) الطبقات الكبير- لمحمد بن سعد تحقيق د/ على محمد عمر- طبعة مكتبة الأسرة 2004م
(60) العمدة فى نقد الشعر وتمحيصه – لابن رشيق القيروانى –تحقيق عفيف نايف حاطوم- طبعة دار صادر بيروت طبعة أولى 2003/1424
(61) الفاضل للمبرِّد – تحقيق/ عبد العزيز الميمنى - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975م
(62) الفن ومذاهبة فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف- طبعة دار المعارف طبعة 11 د.ت
(63) القوس العذراء وقراءة التراث د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة دار غريب – القاهرة 1983/1403
(64) المختار من علم الصوتيات د/ عبد الله ربيع محمود . د/ عبد العزيز علام- طبعة دار البشرى القاهرة 2000/1420
(65) المزهر- لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر- السيوطى – طبعة دار احياء الكتب د. ت
(66) المستطرف من كل فن مستظرف -شهاب الدين محمد بن أحمد- طبعة مكتبة الحياة 1989
(67) المطول/ لسعد الدين التفتازانى –ط-مطبعة أحمد كامل 1330ه-
(68) المعجم الوجيز – ط-مجمع اللغة العربية –القاهرة -1997/1418 م
(69) المعجم الوسيط – ط-دار المعارف - مصر – ط- ثانية 1973/1393م

(70) المفضليات – للمفضل بن محمد الضبى – تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - طبعة دار المعارف – مصر د.ت

(71) المقتصد فى شرح الإيضاح- للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق د/ كاظم بحر المرجان - طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية 1982م.

(72) المنهاج الواضح فى البلاغة –د/ حامد عونى- طبعة مكتبة الجامعة الأزهرية ط 1972

(73) الموازنة بين الشعراء د/ ذكى مبارك طبعة - البابى الحلبى 1973/1393م

(74) الموازنة: للآمدى أبى القاسم الحسن بن بشر- طبعة دار المعارف القاهرة – تحقيق أحمد السيد صقر - طبعة رابعة د.ت.

(75) الموشَّح/ للمرزبانى أبى عبد الله محمد بن عمران - طبعة المطبعة السلفية – القاهرة 1929

(76) النقد الأدبى أصوله ومناهجه للأستاذ / سيد قطب – طبعة دار الشروق طبعة رابعة 1980/1400

(77) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال - طبعة دار نهضة مصر للطباعة – القاهرة 1977

(78) النقد الأدبى عند العرب د/ طه أحمد إبراهيم - طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1989/1409

(79) الهجاء والهجاؤون فى الجاهلية د/ محمد محمد حسن - طبعة مكتبة الآداب 1948

(80) أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوى- طبعة المطبعة البهية المصرية – طبعة ثانية 1925

(81) بغية الإيضاح /الشيخ عبد المتعال الصعيدى -طبعة المطبعة النموذجية – القاهرة –ط –خامسة-1973

(82) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلى د/ بسيونى عبدالفتَّاح فيُّود -طبعة - الحسين الإسلامية القاهرة طبعة أولى 1993/1413

(83) تاريخ ابن عساكر/ لأبى القاسم على بن الحسن -طبعة العربية دمشق طبعة أولى د.ت

(84) تاريخ آداب العرب/ الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - طبعة الاستقامة القاهرة طبعة أولى 1940

(85) تاريخ الأدب العربى- الأستاذ أحمد حسن الزيات-طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر 1935

(86) تاريخ الإسلام السياسى د/ حسن إبراهيم حسن - طبعة 1948

(87) تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى د/ محمد نجيب البهبيتى -طبعة دار الكتب المصرية 1950

(88) تاريخ الطبرى /محمد بن جرير- تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار المعارف مصر د.ت

(89) تاريخ النقد الأدبى عند العرب .د/ إحسان عباس- طبعة بيروت د.ت.

(90) تحرير التحبير - لابن أبى الإصبع تحقيق دكتور / حفنى شرف -طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة 1416 /1995

(91) جواهر البلاغة – الأستاذ السيد أحمد الهاشمى - طبعة التقدم بطنطا د.ت

(92) حاشية السيد الشريف على المطول ط- مطبعة أحمد كامل- 1330

(93) حسان بن ثابت شاعر الرسول تحقيق د/ سيد حنفى حسنين - طبعة المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .د.ت

(94) خزانة الأدب/ للبغدادى عبد القادر بن عمر- طبعة السلفية القاهرة .د.ت

(95) خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه –ط- خامسة 2000/1421

(96) خلاصة المعانى/للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى - تحقيق د/ عبد القادر حسين طبعة دار النصر للطباعة الإسلامية 1993

(97) خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال -صفى الدين أحمد بن عبد الله - طبعة الخيرية مصر 1322

(98) دراسات فى الأدب الجاهلى والإسلامى د/ محمد عبد المنعم خفاجى- طبعة دار الجيل بيروت 1992/1412

(99) دراسة فى البلاغة والشعر د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة مكتبة وهبه طبعة أولى 1991/1411

(100) دفاع عن البلاغة الأستاذ أحمد حسن الزيات -طبعة مطبعة الرسالة 1945

(101) دلائل الإعجاز - الإمام عبد القاهر الجرجانى- تعليق الشيخ محمود محمد شاكر- ط مكتبة الأسرة 200 م

(102) ديوان الأعشى شرح وتحقيق د/ محمد محمد حسين -طبعة مؤسسة الرسالة بيروت طبعة سابعة 1983/1403

(103) ديوان السموءل- طبعة بغداد 1955

(104) ديوان المتنبى- تحقيق عبد المجيد دياب- طبعة دار المعارف مصر طبعة ثانية 1992

(105) ديوان النابغة الذبيانى -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -طبعة دار المعارف مصر 1977

(106)

(107) ديوان امرئ القيس -ت محمد أبو الفضل إبراهيم -طبعة دار المعارف طبعة خامسة د.ت

(108) دِيوان بشَّار بن برد –ت/محمد الطاهر بن عاشور –ط- الشركة التونسية للتوزيع ,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع –الجزائر 1976م.

(109) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ سيد حنفى حسنين -طبعة دار المعارف – مصر .د.ت.

(110) ديوان عبد الله بن رواحة تحقيق د/ وليد قصاب- طبعة دار الضياء -الأردن ط ثانية 1988/1408.
(111) ديوان عمرو بن معد يكرب- تحقيق مطاع الطرابيشى- طبعة مكتبة البيان سوريا 1994/1414
(112) ديوان كشاجم تحقيق د/ النبوى شعلان طبعة الخانجى – القاهرة ط أولى 1997/1407
(113) ديوان كعب بن مالك الأنصارى تحقيق د/ سامى مكى العانى- طبعة مطبعة المعارف بغداد طبعة أولى 1966/1336
(114) رثاء غير الإنسان فى الشعر العباسى- عبد الله عبد الرحيم السودانى -طبعة المجمع الثقافى فى أبو ظبى 1999/1420
(115) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى- طبعة دار الكتب العلمية بيروت -طبعة أولى 1982/1402
(116) شرح القصائد العشر الجاهلية للتبريزى- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - طبعة ثانية 1964/1384

(117) شرح المعلقات السبع للزوزنى-طبعة مكتبة المعارف – بيروت 1983
(118) شرح القصائد العشر الجاهلية للتبريزى- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - طبعة ثانية 1964/1384
(119) شرح النووى على مسلم -طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت طبعة ثالثة 1392 هـ
(120) شرح ديوان كعب بن زهير- لابى سعد بن الحسن السكرى - طبعة دار الكتب والوثائق القومية – مصر 2002/1423م
(121) شرح شعر زهير بن أبى سلمى تحقيق د/ فخر الدين قباوة - طبعة بيروت د.ت
(122) شروح التلخيص-ط دار السرور –بيروت .د.ت.

(123) شروح سقط الزند تحقيق د/ طه حسين-وآخرون- طبعة المجلس الأعلى للثقافة ط ثالثة مصورة عن نسخة دار الكتب 1945/1394

(124) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د/ يحيى الجبورى- ط مؤسسة الرسالة بيروت طبعة ثانية 1981/1401

(125) صحيح البخارى -ط-دار الفكر – استنبول- د.ت.

(126) طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحى- تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر- طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة د.ت

(127) عبقرية محمد الأستاذ / عباس محمود العقاد -طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة د.ت.

(128) علم البيان د/ رفعت السودانى- طبعة الأمانة 1991/1411

(129) علم المعانى د/ صباح دراز- طبعة التركى طنطا 1996

(130) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى تحقيق د/ محمد زغلول سلام -طبعة منشأة المعارف الإسكندرية 1980

(131) فن التشبيه د/ أمينه سليم -طبعة الدار المصرية- الإسكندرية د.ت

(132)فن التشبيه د/ على الجندى- طبعة الأنجلو المصرية طبعة ثانية 1966/1386

(132) فى البلاغة القرآنية –أسرار الفصل والوصل .أ.د صباح دراز -طبعة الأمانة القاهرة 1986/1406

(133) فى رحاب البيان العربى دراسة بلاغية تحليلية أ.د/ صباح دراز أ.د/ أحمد سعد ناجى - طبعة 2003/1424

(134) فى ظلال القرآن الأستاذ / سيد قطب -طبعة دار الشروق طبعة 25- 1417 – 1996

(135) قبسات من بلاغة المعانى د/ عبد الحليم محمد شادى - طبعة الأمانة القاهرة – طبعة أولى 1989/1409

(136) قراءة فى الأدب القديم د/ محمد محمد أبو موسى- طبعة وهبه 1998/1419

(137) قيم جديدة للأدب العربى د/ عائشة عبد الرحمن- طبعة دار المعرفة 1961

(138) كعب بن مالك حياته وشعره د/ عبد المنعم أحمد يونس- طبعة الأمانة-القاهرة طبعة أولى 1986/1406

(139) كنز العمال ، 3 / 576 ، المتقي الهندي ، ت / بكر حياني وصفوت السقا ط مؤسسة الرسالة بيروت

(140) لسان العرب- لأبى الفضل جمال الدين بن محمد مكرم بن منظور- طبعة دار صادر بيروت طبعة أولى 2000

(141) مباحث فى وجوه تحسين الكلام أ.د / رفعت السودانى - طبعة الأمانة طبعة أولى 1991/1411

(142) محاضرات فى علم البيان د/ ربيعى عبد الخالق - طبعة التركى طنطا 2000

(143) مختار الصحاح /محمد بن عبد القادر الرازى – ط –دار الحديث- ط أولى2000 م.

(144) مختصر الرحيق المختوم/ صفى الدين المباركفورى -طبعة رحمة للنشر والتوزيع الإسكندرية مصر طبعة أولى .د.ت.

(145) مداخل إلى علم الجمال الأدبى د/ عبد المنعم تليمه- طبعة دار الثقافة مصر 1982

(146) مستنبعات التراكيب د/ عبد الغنى بركة- طبعة دار الطباعة المحمدية -طبعة أولى 1981/1409

(147) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء جبر- طبعة مكتبة الشباب- القاهرة د.ت

(148) معانى القرآن للفرَّاء -تحقيق /أحمد نجاتى وآخرون -طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ت

(149) معاهد التنصيص/ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد- طبعة عالم الكتب بيروت .د.ت

(150) مغازى رسول الله – للواقدى أبو عبد الله محمد - طبعة السعادة – مصر 1367

(151) مغنى اللبيت عن كتب الأعاريب/ لابن هشام الأنصارى- تحقيق د/ مازن المبارك طبعة دار الفكر بيروت طبعة أولى 1992/1412

(152) مفتاح العلوم- للسكاكى- طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى 1987

(153) ملامح النقد الأدبى بين القديم والحديث د/ عبد الرحمن عبد الحميد على - طبعة مكتبة الجامعات 1980/1400

(154) من أساليب القرآن المجاز العقلى د/ عبد الرازق محمد فضل -طبعة التركى طنطا 1997

(155) من أسرار حروف الجر فى القرآن الكريم د/ محمد الأمين الخضرى -طبعة مكتبة وهبه طبعة أولى 1993/1414

(156) من النصوص الجاهلية د/ رزق محمد داود- طبعة دار الأزهر للطباعة ط 2000

(157) من بلاغة القرآن د/ أحمد بدوى- طبعة القاهرة 1955

مناهج تجديدالأدب/ الأستاذ- أمين الخولى -طبعة دار المعرفة القاهرة طبعة أولى 1960

(158) نقد الشعر – قدامة بن جعفر –تحقيق- كمال مصطفى -طبعة الخانجى القاهرة د.ت

(159) نكت الهيمان فى نكت العميان -صلاح الدين بن خليل- طبعة مصر 1911

(160) نهاية الأرب فى فنون الأدب -شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى- طبعة دار الكتب المصرية 1924

(161) التصوير البيانى فى معلقات العرب-د/ عبد الحليم محمد شادى- رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالزقازيق

(162) الشباب والشيب فى شعر ابن الرومى د/وليد حموده -رسالة ماجستير كلية اللغة العربية إيتاى البارود

(163) الصورة التشبيهية وبلاغتها فى شعر كشاجم الرملى – عبد الحميد محمود الشاذلى- رسالة ماجستير كلية اللغة العربية إيتاى البارود

الدوريات

(164) جريدة الأهرام عدد 2003/3/29 م

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	أ-ى
التمهيد	1
أثر الإسلام فحياةالعرب الاجتماعية والسياسية	2
أثر الإسلام فى حياة العرب الدينية والثقافية	3
موقف الإسلام من الشعر	5
أثر الإسلام فى الشعر	11
مصطلح شعراء الرسول	18
التعريف بشعراء الرسول	19
حسان بن ثابت	20
كعب بن مالك	23
عبد الله بن رواحة	26
مفهوم الصورة	29
وقفة مع تعريف علم البيان	34
الفصـــــــــل الأول	
التصوير البيانى وبلاغته فى شعر المدح	43
مقدمة عن المدح	44
أولا: تصوير نور النبى	46
ثانيا: مدحه بالهداية	51
ثالثا : مدح المؤمنين	56
الفصـــــــــل الثانى	
التصوير البيانى وبلاغته فى شعر الهجاء :مقدمة	64
أولا: الهجاء بالسفاهة والجهل	65
ثانيا : الهجاء بالكفر والغدر	70
ثالثا : الهجاء بالحقد والغيظ	75
رابعا : الهجاء بضعة الأصل	79
خامسا: الهجاء باللؤم	82
الفصـــــــــل الثالث	85
التصوير البيانى وبلاغته فى شعر الوصف مقدمة	
أولا: وصف أدوات القتال	86
(1) وصف الخيل	87
(2) وصف السيوف	91
(3) وصف الدروع	95
(4)وصف الرماح	98
ثانيا: وصف المعركة	104
(1) وصف المعركة وفرار الأعداء	108
(2)وصف شدة القتال وتصوير الموت	

الموضـــــــــوع	الصفحة
(3)وصف الحرب وشجاعة المسلمين فيها	112
(4)وصف الحرب وتشبيهها بالناقة	115
ثالثا :وصف الموت وبيان حقيقة الحياة	118
رابعا : وصف الأرق	120
(1)وصف الأرق بسبب الحزن	120
(2)وصف الأرق بسبب الخوف	124
خامسا : وصف الجروح	126
سادسا : وصف الكتيبة الإسلامية	128
سابعا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بموج البحر	130
ثامنا : وصف جموع المشركين وتشبيههم بحراء	133
تاسعا :وصف هداية الرسالة الإسلامية	135
عاشرا : وصف قوة الهجاء وأثره	138
الفصـــــــل الرابع	
التصوير البيانى وبلاغته فى شعر الفخر – مقدمة	141
(1)الفخر بالمجد فى الجاهلية والإسلام	142
(2)الفخر بالقوة والخبرة	145
(3)الفخر بالشهادة	152
(4)الفخر باتباع الإسلام	154
الفصـــــــل الخامس	
التصوير البيانى وبلاغته فى شعر الرثاء – مقدمة	158
(1)رثاء الرسول ﷺ	159
(2) رثاء حمزة رضى الله عنه	163
(3) رثاء عثمان رضىالله عنه	165
الفصـــــــل السادس	
الخصائص الفنية للتصوير البيانىعند شعراء الرسول ﷺ	169
(1)الخصائص الفنية للتشبيه	178
(2)الخصائص الفنية للاستعارة	181
(3) الخصائص الفنية للمجاز المرسل	183
(4)الخصائص الفنية للكناية	
الفصل السابع- موازنات	187
(1)تصوير الأرق والليل	187
(2)تصوير الدروع	196
(3)تصوير الحرب	202
(4)تصوير التوازن النفسى فى الحروب	207
(5)تصوير سيلان الدماء من الجروح	

الخاتمة	225
التوصيات	226
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية	230
فهرس الأحاديث النبوية	232
فهرس الأشعار	233
فهرس المراجع والمصادر	235
فهرس الموضوعات	248